الفيصل

مجلة ثقافية شهرية العدد (١٨٩) - ربيع الأول ١٤١٣هـ (سبتمبر) ١٩٩٢م
AL FAISAL MAGAZINE ISSUE. (189) September 1992



الغزالي:
أقف مع علماء المملكة
في خندق واحد



غداية.. جوهرة وادي ميزاب

لغة الاتصال بين الإنسان والحيوان

هو كما ترى لا يعي به حمل الى امير المومنين مع كتاب مختوم فيه ذكر حاله ومنها ما روي عن
الشافعي رضي الله عنه وارضاه قال دخلت بلدة من بلاد اليمن فرايت فيها انسانا من وسطه
الى اسفله بدن امراة ومن وسطه الى فوقه بدنان مفترقان باربع ايادي وراسين
ووجهين وهما يتقاتلان ويتلاطمان ويصطلحان وياكلان ويشربان ثم غبت عنه سنتين
ورجعت فقيل لي احسن الله عزاك في احد الجسدين توفي وربط من اسفله بحبل وثيق
حتى ذبل ومات فعهدي بالجسد الاخر في السوق جاييا وذاهبا ومنها ما ذكره ابو الريحان
الخوارزمي ان والي استجاب اهدى الى نوح بن منصور السماني فرسا له قرنان
ظاهران وثعلبا له جناحان من ريش اذا قرب الانسان منه نشرهما فاذا ابعد عنه
ضمهما بالجنب ثم قال ربما يتعجب الناس من الثعلب الطيار وان الثعالب كانت
طايرة في عهد الكانيس ومنها دجاجة باربعة ارجل ودجاج براسين والله سبحانه
وتعالى اعلم وليكن هذا اخر الكلام في علم الحيوان والله الموفق بمنه وكرمه لا رب سواه
ولا نعبد الا اياه والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين

وافق الفراغ من هذه النسخة بعون الله تعالى وحسن توفيقه
نهار السبت في ثاني عشر المحرم الحرام من شهور سنة
ثلاثة وثمانين وتسعماية احسن الله ختامها بمنه
وكرمه وحسن توفيقه على يد اضعف عباد الله
عبد اللطيف بن حاج علي المجدلاوي
غفر الله له ولوالديه ولجميع
المسلمين والمسلمات
والمومنين والمومنات

إطلالة

قواتنا المسلحة : رؤية من الواقع

القوات المسلحة في أي بلد هي درعه الحصين وذراعه الممتدة لحماية مصالحه الحيوية والاستراتيجية، غير أن القوات المسلحة السعودية تختص بميزة فريدة هي الذود عن الحرمين الشريفين، مهوى أفئدة مليار مسلم، فهي بذلك قوة تحمي عقيدة الإسلام ومقدساته.

والجولة التي أتاحها صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام لرجال الصحافة لزيارة القوات المسلحة لم تُظهر مدى حداثة الأسلحة والمعدات وتفوق التجهيزات والإمكانات المادية الهائلة فحسب، بل عرفتنا عن قرب على القدرات البشرية المتمكنة التي تدير تلك الوسائل المتطورة مستوعبةً التقنية الحديثة بكل تعقيداتها. ولا شك أن وراء ذلك كله تخطيطا واعيا وإعداداً متكاملا للعسكري السعودي.

إن السيف من ضاربه؛ **لأن القيمة الحقيقية للسلاح لا تكمن فيه بل في نوعية مستعمله وقوة تدريبه**، لذا فإن التسلح بالإيمان والعقيدة يسبق - في نظر القوات المسلحة السعودية - التسليح بالعتاد، فالولاء لله أولاً ثم للمليك والوطن. والمناهج الدراسية التي تقدمها الكليات والمعاهد العسكرية تغرس ذلك في نفوس منسوبيها، وتستبعد كل ما هو بعيد عن شرع الله من أفكار دخيلة وتيارات مستوردة، وتركز على مبادئ الإسلام الذي أكد على كرامة الإنسان. **فلا دلال ولا إذلال** قاعدة تطبقها الكليات العسكرية في تعاملها مع طلابها، **والإتقان في العمل والتعود على المهارات** من الشعارات العملية التي يمارسها الجندي والضابط بعد التخرج وعند الخدمة الفعلية. ومما أثلج صدور المشاركين في الجولة أن رأوا غراساً لما أنبتته هذه الأرض من أحفاد الأبطال الفاتحين الذين تمثلوا قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه لخالد بن الوليد: «احرص على الموت توهب لك الحياة». حقاً «وما نفع السيوف بلا رجال ؟!».

إن التعرف على القوات المسلحة السعودية - كمؤسسة حضارية - من الداخل جعلنا ندرك أن بناء هذه القوات قائم على أسس امتزجت فيها المعرفة والعلم والثقافة والفكر فأنتجت عقليات متفاعلة مع هذه المؤسسة، رأينا نماذج رائعة منها خلال الإيجازات التي استمعنا إليها والمناقشات التي دارت حولها والمشاهدات الميدانية التي تلتها.

إن المناهج الدراسية والأساليب التدريبية المتبعة لتكوين الإنسان في القوات المسلحة فاعلة ومثمرة، ذلك لأن هناك مبادئ وأسساً عقدية وفكرية تحكمها وتوجه مسارها. فكانت النتيجة هذا التوازن المتناغم بين إيجاد الطاقات البشرية ذات الكفاءة العالية وتسخير أفضل التجهيزات الفنية والمادية لتعزيز القدرات الدفاعية للبلاد.

وإذا كان المسؤولون عن القوات المسلحة قد أكدوا في أكثر من مناسبة على أن بناء القوات المسلحة سار بشكل متوازن مع البناء الشامل للدولة دون أن تتأثر قطاعات التنمية المختلفة بالإنفاق العسكري - كما ذكر ذلك سمو الأمير سلطان بن عبدالعزيز خلال لقائه برؤساء التحرير والصحفيين في ختام الجولة - فإن ما شاهدناه يؤكد على أن التطوير الذي شهدته وتشهده القوات المسلحة هو جزء من حركة التنمية الشاملة، بل إنه يحرك التنمية بشكل مباشر كما يظهر في مناطق وجدت فيها مدن عسكرية ومنشآت عسكرية.

إن ابن الصحراء الذي يطير بأحدث المقاتلات ويحرك أكثر القطع البحرية تطوراً ويدير أنظمة القيادة والسيطرة المعقدة، ليس أمره معجزة من المعجزات، بل إنها الإرادة والعزيمة والإصرار، التي تشملها عناية إلهية وتوفيق رباني من فوق سبع سماوات.

● **شكر ووعد:**

من حق القائمين على إدارة الشؤون العامة للقوات المسلحة علينا الشكر والثناء والتقدير لحسن الرعاية وكرم الاهتمام خلال الجولة التي قاموا بتنظيمها لرؤساء تحرير الصحف والمجلات السعودية وممثليها. ومن الوفاء لقرائنا - بعد هذه الجولة خصوصاً - أن ننشر استطلاعات مصورة عن القوات المسلحة في أعدادنا القادمة إن شاء الله بما يتناسب مع طبيعة مجلتنا الثقافية.

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

بسم الله الرحمن الرحيم

الفيصل

AL-FAISAL MAGAZINE

مجلة ثقافية شهرية

تصدر عن

دار الفيصل الثقافية

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE

PUBLISHED BY

AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

مجلة الفيصل العدد (١٨٩) — ربيع الأول ١٤١٣هـ — السنة (١٦) — أيلول (سبتمبر) ١٩٩٢م

رئيس التحرير

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

ملاحظات عامة

- أن يتسم الموضوع المقدم للنشر بالجدّة والأصالة والموضوعية، مع توثيق المراجع إذا اقتضى الأمر ذلك.
- ألا يكون الموضوع منشوراً من قبل، أو مرسلاً إلى أي جهة أخرى ناشرة.
- أن يكون مطبوعًا أو مكتوبًا بخط واضح، وبلغة صحيحة وأسلوب سليم.
- حين ترد المجلة على كاتب ما بأن موضوعه «غير مناسب للنشر» فإن هذا لا يعني أنه «غير صالح للنشر» في غيرها، وإنما يعني عدم مناسبته لسياسة النشر فيها.
- أن يرفق الكاتب (الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة) مع موضوعه الاسم والمؤهلات العلمية والإنتاج الفكري - إن وجد - وعنوان المراسلة، في ورقة مستقلة.
- تسلسل نشر الموضوعات تحكمه اعتبارات فنية.

- ترحب المجلة بتعليقات القراء ومناقشاتهم لما يُنشر فيها.

في هذا العدد



ص ٣٥ «غرداية» واحة وادي ميزاب، جوهرة وسط الصحراء



ص ٦٧ هناك لغات للاتصال بين الإنسان والحيوان، فتبارك الله أحسن الخالقين



ص ٧١ إعلانات التلفاز لها تأثيرها الملموس على أبنائك



ص ٨٣ معدتك تتحملك كثيراً، ولكن احترس من غضبها

الفيصل

● المراسلات

مجلة «الفيصل» ص. ب: (٣) الرياض: ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية.

هاتف: ٢٦. ٤٦٥٣ ـ ٢٧. ٤٦٥٣ ـ تلكس: ٤٠٢٦٠٠ DRFATHSJ ـ فاكسملي: ٤٦٤٧٨٥١.

●أسعار بيع النسخ في البلاد العربية: المملكة العربية السعودية ٨ ريالات ـ الكويت ٦٠٠ فلس ـ الإمارات العربية المتحدة ٧ دراهم ـ قطر ٧ ريالات ـ البحرين ٦٠٠ فلس ـ سلطنة عمان ٦٠٠ بيسة ـ الأردن ٤٠٠ فلس ـ الجمهورية اليمنية ٦ ريالات ـ مصر ١٠٠ قرش ـ السودان ١٠٠ قرش ـ المغرب ٥ دراهم ـ تونس ٥٠٠ مليم ـ الجزائر ١٠ دنانير ـ العراق ٤٠٠ فلس ـ سورية ١٠ ليرات ـ ليبيا ٨٠٠ درهم.

●أسعار الاشتراكات السنوية: للأفراد ١٥٠ ريالاً سعوديًا لغير الأفراد ٢٥٠ ريالاً سعوديًا ترسل قيمة الاشتراكات باسم مجلة «الفيصل»

●الإعلانات يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة

● ALL CORRESPONDENCE TO:

AL-FAISAL MAGASINE P.O. BOX (3) RIYADH 11411 - SAUDIA

Tel. 4653026 - 4653027, Telex: 402600 DRFATH SJ, Telefax: 4647851.

● EUROPE - AMERICA - ASIA:

Norway NKR30 - Pakistan RS15 - Portugal ESQ100 - Spain PTS150- Sweden SKR30 - Switzerland SF6 - United Kingdom £ 2 - U.S.A. $5 - Belgium BF200 - Denmark DKR30 - Finland FMK30 - France FF15 - F.R.G. DM10 - Greece DR200 - Italy L4000 - Netherlands DFL10

● ANNUAL SUBSCRIPTION RATES:

Personal Subscription S.R. 150
Others S.R. 250

Payable to AL-FAISAL MAGAZINE

حول الحداثة.. ومشكلاتها في الشعر

بقلم: د. جميل علوش

لاشك أن ما كتب عن الحداثة ومشكلاتها أكثر من أن يحصى أو أن يحاط به، فقد غصت بها وبحديثها بطون الكتب والمجلات بله الصحف والمحاضرات والندوات التلفازية وغيرها. ولقد طال حولها الجدال وامتد مجال القول واختلفت وجهات النظر. وليس من المستطاع الإلمام بها كُتِبَ بل بجزء مما كُتِبَ عن الحداثة ومشكلاتها. بل ليس هذا هو المقصود من هذه المحاضرة. فلم أكتب لألخص ما كتبه الآخرون من عرب وأفرنج عن هذا الموضوع. وكان من الممكن أن أفعل ذلك لو أردت أن أركب المركب الوطي وأتبع الطريق السهل، كما يفعل الكثيرون ممن لا يملكون رأياً أو يلتزمون موقفاً بل هم يجعلون جل همهم التقاط الفتات من موائد الآخرين.

ولابد لنا قبل كل شيء أن نعرف الحداثة فنقول: إن الحداثة أو التحديث مصطلح يقصد به أن يحمل الشيء سمات العصر الذي ينتمي إليه. والحداثة قيمة من قيم الحياة لا تخص الشعر وحده بل هي تخص كل وسائل الحياة ومرافقها وكل مجالات النشاط الإنساني وميادينه. والتحديث كما هو مطلوب في المأكل والملبس مطلوب في شؤون الاقتصاد والسياسة والصحة والتربية ومختلف مرافق الحياة. ولا يمكن لأية دولة أن تنتمي إلى عصرها الذي يظلها بجناحيه إلا إذا عبرت البوابات الثلاث التالية: الاستقلال والتنمية والتحديث.

ولاشك أن كلمة التحديث تحمل شيئاً من الغموض والالتباس في كل مجال من المجالات السابقة. ولكنها أكثر أشكالاً والتباساً فيما يتعلق بالشعر ونقده وتقييمه. ومن هنا نشأت حدة الخلافات الكثيرة حول مدلول الحداثة وشروطها وأهدافها ومهماتها. والعجيب أن جميع الأطراف المختلفة حول مدلول الحداثة تتفق فيما بينها على ضرورة التحديث. ولا يكاد يختلف طرف عن ذلك وإن اختلف معنى التحديث ومدلوله.

فقد يعني التحديث في الشعر تحسين صورته لفظاً ومعنى ووزناً وقافية.

وقد يعني التحديث في الشعر أن نجرده مما يعلق به من غريب اللفظ ومضطرب العبارات وعويص التراكيب ومستغلق المعاني.

وقد يعني التحديث ألا نستخدم من ألفاظ اللغة إلا السهل اليسير الذي يستعمله أهل العصر ويتذوقه أهل العصر.

وقد يعني التحديث أن نعلن الحرب على كل ما خلف القدامى من قواعد ومقاييس، فنضرب بها عرض الحائط، ونضع لها قواعد ومقاييس حديثة من صنع أيدينا وأفكارنا.

الحقيقة أن محاولة تحديد معنى الحداثة والتحديث شيء يقرب من المستحيل. ولكننا نفهم

لدعاة الحداثة غرائب وأعاجيب لا يصدقها العقل

مما نقرؤه هنا وهناك مما هو مكتوب بالعربية أو مترجم إليها أن المقصود بالتحديث أن يكون شعرنا صورة للعصر الذي نعيش فيه من النواحي التالية:

١ ــ أن يعبر هذا الشعر عن قضايانا ومشكلاتنا وأفكارنا، وألا يكون تقليداً لشعر سوانا سواء أكان هذا الشعر قديماً أو حديثاً.

٢ ــ أن يحمل هذا الشعر نبض صاحبه، وألا يكون صدىً للآخرين ولا ظلاً لشخصياتهم ومواقفهم.

٣ ــ أن تكون معانيه متسمة بالخصوصية. أقصد بذلك أن تكون معاني صاحبه فيها الجدة والعمق والأصالة.

هذه شروط لا يختلف فيها اثنان، وتوفرها ضروري في كل شعر يرجى له أن يكون شعراً، وفيه من سمات العصر ما يجعله قميناً بالحداثة والعصرية.

هذا شيء يتفق عليه الجميع، وليس فيه ما يمكن أن يكون سبب خلاف أو تنازع. ولكن الذي يمكن أن يتم التنازع عليه هو زعم بعضهم بأنّ من شروط الحداثة أن نبدأ من الصفر فنلغي كلّ ما عرفه العرب من أوزان الشعر وقوافيه وألفاظه وتراكيبه، على زعم أن كل ذلك قديم مستهلك لكثرة ما استعمل، فلابد له من أن يتجدد ويقوم على أسس مغايرة.

وهذا كلام مردود للأسباب التالية:

١ ــ إن قواعد الشعر وقوانينه لا تنشأ بقرار فردي ولا تُزال بقرار فردي كذلك، بل يعتمد في ذلك على ضمير الأمة وذوقها الخاص.

٢ ــ إذا كان من حق أي كان أن يضع قواعد خاصة بالشعر اندثر الشعر ودرست أصول الفن

وأصبح من الصعب أن يستمتع أحـــد بشيء، لفقدان الرسوم العامة التي يتدرب عليها الذوق وتقوم الملكة.

٣ ــ إذا أبحنا لأنفسنا أن نهدم ما تناهى إلينا من أصول الشعر وقوانينه، جاز لأي كان أن يضع قواعد جديدة وشعراً جديداً، مما يخلق حالة من الاضطراب التي تكثر فيها القوانين وتتعدد القواعد. وتفقد الأمة عندئذ حبها للشعر وتذوقها لأوزانه وأتعابه.

دون معايير.. لماذا؟!

ومما يدعو إلى العجب أنك تسمع أحدهم يتحدث عن وجوب الانقضاض على شعرنا العربي وتغييره بشعر جديد يخالفه في قواعده ومعاييره، ذلك لأن شعرنا على حد زعمه يسبب له الملال والسأم لكثرة ما ينهال على سمعه من أوزانه وقوافيه.

وحين تسمع هذا الكلام تخال أن الرجل قتل الشعر العربي درساً، وعرف أوزانه وقوافيه. وبلغ من إدراكه لأوزانه مبلغاً لا غاية بعده، فهو يعرف الوزن بمجرد سماعه، ويحدد البحر بمجرد النظر فيه، وهو خبير بالأنغام التي تنفجر من جنبات البيت الشعري. ولكنك تعرف بعد محادثة قصيرة أن الرجل لا يعرف وزناً ولا يدرك بحراً ولا يعلق بسماعه نغم، وإنما هي أخبار يتسقطها من هنا وهناك وكأنها هي أخبار العجائز والمخرفين. ويتبين لك عندئذ أن حرص هذا الرجل على التغيير كان بسبب جهله جماليات هذه الأوزان والأنغام. فلو أنه كان يحسها لما طالب بتغييرها وإلغائها. ولكن الإنسان عدو ما يجهل.

ويطالب بعضهم بتغيير شعرنا العربي تذرعاً بأن ملابسنا تغيرت وأن أثاث بيوتنا تبدل وأن محاريث حقولنا أدركتها بركة الحداثة. ولابد إذن من تبدل شعرنا على النسق نفسه. وهذا قول أقل ما يقال فيه أنه ساذج للأسباب التالية:

أولاً: لأن هذه الآلات التي نستخدمها في الحقل وغيره ليست من صنعنا بل من صنع الشعوب الأخرى. ولذلك فإن استعمالنا لها لا يدل على تقدم، ولا يشهد على وجود حضارة.

ثانياً: من المعروف أن الملابس أعراض، والعبرة بالجواهر. فالملابس لا تدل على شيء. بل الذي يدل على شيء هو العقل الذي يصنع الملابس ويخترع الآلات.

ثالثاً: كان من عظمة الشعر على مر العصور أنه يعبر عما يضطرب في الأنفس والصدور من شتى العواطف والأحاسيس. فهو يصور ما في النفس من مكر وحيلة ودهاء ورحمة وعطف وحنان. هذه هي القيم التي تفجر الشعر. وهي منذ كان الإنسان واحدة لم تتغير. أما الملابس فلا علاقة لها بالموضوع.


حافظ إبراهيم — أحمد شوقي

حافظ.. من كبار شعراء العرب رغم أنف الحداثيين

غرائب وأعاجيب

ولدعاة الحداثة غرائب وأعاجيب لايصدقها العقل. فتسمع أحدهم يقول مثلاً: إن الشعر التقليدي ــ وهو يقصد بالتقليدي شعرنا العربي الأصيل ــ لا يعبر عن بيئتنا ولا عن مطامحنا وأهدافنا ولذلك فهو مرفوض. فتقول له: ولكنك تزعم أنك تقرأ أبا تمام والمتنبي وتسر بهما؟ فيقول نعم؛ لأن المتنبي وأبا تمام يعبر كل منهما عن بيئته وعصره فهو صادق. فتقول له: أبو تمام عبر عن بيئته وعصره وكذلك المتنبي فما شأنك أنت؟ ألم تزعم أنهما عبرا عن عصرهما لا عن عصرك؟ ألم تزعم أن عصرك يختلف عن عصرهما؟ فلماذا تقرأهما وتستمتع بهما وهما لا يعبران عن عصرك؟

وتأتي على ذكر حافظ وشوقي فيشيح بوجهه عنهما مدعياً أنهما من شعراء التقليد. فتقول له:

ولماذا يكون حافظ وشوقي مقلدين ولا يكون أبو تمام والمتنبي كذلك؟ إن الصناعة الشعرية العربية لم يخلقها أبو تمام ولا المتنبي فهما ينسجان فيها على منوال فحول العرب منذ الجاهلية حتى العصر العباسي الأول والثاني. وكذلك حافظ وشوقي ينسجان على منوال من سبقهما. فهذه صناعة شعرية لا فضل فيها لمتقدم على متأخر ولا لمتأخر على متقدم كما قال ابن قتيبة في مقدمة كتاب «الشعر والشعراء». فقيمة كل شاعر تقاس بمدى ظهور شخصيته في شعره أولاً وبتمتعه بملامح أسلوبية بارزة يتميز بها عن غيره ثانياً. فليست القضية فيما يقدم الشاعر من أشكال شعرية جديدة بل فيما يأتي من ملامح أسلوبية جديدة. **وعلى هذا الأساس ليس ثمة مجال للشك في أن حافظاً وشوقي هما من كبار شعراء العرب وفيهما من أصالة الشعر ورسوخ الشاعرية الكثير.**

ويزيد بعضهم على ذلك بأن يقول: إن أبا تمام أقرب إلى الحداثة من شوقي. وعليك أن تصدق بأن هذا كلام عقلاء. أبو تمام يستخدم المحسنات البديعية استخداماً واسعاً أو كبيراً. وأبو تمام يستخدم الألفاظ الحوشية والعبارات الملتوية والمعاني المستغلقة. وأبو تمام يمدح الخلفاء والأمراء والولاة. وأبو تمام ينظم قلائد الحكمة التي تخلو من كل نبض عاطفي. ومع ذلك يعد أبو تمام شاعراً حديثاً بل من كبار شعراء الحداثة. وتسأل هؤلاء:

وأين الحداثة في المحسنات البديعية والألفاظ الحوشية والمعاني المستغلقة؟ فيقولون: إن حداثة أبي تمام تكمن في مضمونه. فنقول لهم: ولماذا تقبلون أن تبحثوا عن حداثة أبي تمام في مضمونه وتأبون إلا أن تجدوها عند شوقي في لغته وشكله؟ هل الحداثة شيء يخص الشكل أم شيء يخص المضمون؟ أم حتى عند بعض الشعراء تكمن في اللفظ وعند بعضهم في المعنى؟ وسواءً كانت الحداثة في الشكل أو في المضمون فإن المطلوب من هؤلاء أن يحددوا

مفهومهم للحداثة وأن يجسموها في نقاط محددة قبل أن يغرقون فيها وفي مصطلحاتها وأخبارها .

ويزعم دعاة الحداثة أن التغيير في أوزان الشعر وقوافيه هو من الشروط الأساسية للحداثة . ثم تسمع أدونيس يستثني الجواهري من هذا الشرط فيعترف به شاعراً أصيلاً محدثاً، ويقبل منه أن تكمن حداثته في المضمون . **والجواهري شاعر كبير دون شك**، ولسنا نناقش في ذلك، فهو من أحب الشعراء المعاصرين إليّ وأهمهم في عيني . ولكن السؤال الملح الذي يبرز نفسه هو: لماذا الجواهري دون شوقي وهما من وادٍ واحد من حيث استخدام الأوزان والقوافي والاستكثار منها؟ ومن المعروف أن الجواهري يزيد على شوقي في ذلك، فهو أطول نفساً وأكثر حوشياً وغريباً . أيكون السبب أن الجواهري ثوري وشوقي محافظ؟ ولكن ما علاقة هذا بالفن وشروط الفن وهي من المفروض أن تكون واحدة؟ .

وإذ اتسع أفق أدونيس ورأفته لأوزان الجواهري وقوافيه وألفاظه، فلماذا لا تتسع لي ولأمثالي من عشاق الأوزان والقوافي الذين تضيق بهم صدور المحدثين، فتكفهر لهم وجوههم وتنقلب حماليق عيونهم . أم أن نقاد الحداثة كالأمم المتحدة يكيلون بمكيالين ويقيسون بمعيارين؟

ونرى نقاد الحداثة يظهرون الوله والهيام بقصيدة **الشنفرى** التي يطلق عليها مؤرخو الأدب لقب **لامية العرب**، وبأمثالها من شعر الصعاليك، ويروحون يتنافسون في كشف ما بها من مظاهر الحداثة والتحديث . ويصلون في ذلك حد المزايدة، فإذا جاءوا إلى شعر كلاسيكي معاصر نادوا بالثبور وعظائم الأمور، ونسبوا تلك القصيدة إلى الرجعية والتخلف وفقدان عناصر الحداثة .

ومن المعروف أن الذي يستطيع أن يتذوق قصيدة كلاسيكية، يستطيع بالسليقة نفسها أن يتذوق قصيدة كلاسيكية حديثة . أما أن نصنع لكل صنف من الشعر مكيالاً حسب عصره وبيئته فهذا ما لا يقبله العقل والمنطق . إن قواعد الشعر واحدة وإن الذوق الشعري واحد . والناقد الذي يملك الذوق الأصيل الصحيح يعامل مختلف أنواع الشعر معاملة واحدة ويعرضها على معيار واحد . فإما أن ترفض وإما أن تقبل بغض



الجواهري

أبو ريشة

لماذا مزّقوا القصيدة تحت شعار: "مجاراة العصر"؟

النظر عن قائلها وزمنها وبيئتها .

تجربة القصيدة!!

ويصر نقاد الحداثة أو كثير منهم على تجريد القصيدة من وزنها وقافيتها اعتداداً بأن الوزن ليس شرطاً في الشعر فهم يعولون على العاطفة ويعدونها العنصر الجوهري في الشعر حتى لو صدرت من أحمق أو مغفل . ومن المعروف أن العاطفة العاقلة هي العاطفة التي ينبغي أن ينظر في أمرها وأن يحسب لها حساب . أما عاطفة الجاهل والأحمق فلا قيمة لها . ولا شك أن لكل من يستعصي عليه إدراك الوزن وتحديد اسم البحر ومعرفة أصول الصياغة الشعرية هو جاهل لا تعنينا عاطفته ولا حبه ولا كراهيته . ومِنْ تمنى المحال أن يفكر في أن يصبح شاعراً حقيقياً؛ لأن الشاعر الحقيقي هو عبقري نابغ ليس من السهل الظفر بما أنعمت عليه المقادير من خصائص وسمات .

ولست أظن عاقلاً في الوجود ينفي أهمية الوزن، ذلك لأن نفي الوزن يعني نفي الموسيقى . وللموسيقى مكانة رفيعة في الحضارة الحديثة . والدول الأوروبية مازالت تعلي من قيمة الموسيقى وترفع من قدر عباقرتها ونوابغها . فكيف تحظى الموسيقى بهذه الأهمية في جميع جوانب الحياة ويستثنى من ذلك الشعر الذي هو أكثر هذه الجوانب أهمية؟

أما أن العاطفة أهم من الوزن فهذا ليس صحيحاً . ذلك لأننا نطرب لما لا نفهم من الكلام المنغم المغنى . والدليل على ذلك ما نسمعه من أغانٍ أجنبية نطرب لها وقد نرقص طرباً ونحن لا نفهم منها شيئاً وكان أبو تمام قد سمع مغنية فارسية طرب لها دون أن يفهم ما تقول فأنشد :

ولم أفهم معانيها ولكن
ورت كبدي فلم أجهل شجاها
فبت كأنني أعمى معني
بحب الغانيات ولا يراها

ولست أصدق أن ناقداً يملك الأذن المرهفة تحدثه نفسه بالدعوة إلى إلغاء الوزن والقافية، لما في هذا الوزن والقافية من متارف ووجوه متعة . إن الذين يحسون الموسيقي في الشعر إحساساً حقيقياً صحيحاً يرفضون أن يقرأوا الشعر مجرداً من الوزن . والدليل على ذلك أني أنا مثلاً لا أحب قراءة الشعر المترجم لأنه يخلو من شيء أساسٍ فيه هو الوزن . والوزن مظهر جمالي رائع فكيف يستغنى عنه؟ أما الذي لا يدرك هذا الوزن فلا بأس عنده من إلغائه . وأؤكد أن الكثيرين ممن يتحدثون في الشعر والحداثة الشعرية هم من النمط الذي لا يحس الوزن الشعري في القصيدة . ومن ثم فلا يعزُّ عليه إلغاؤه والتخلص منه .

ومن ناحية أخرى فإنه من المعروف أن المقصود بالشعر أن يكون مقياساً لما يملك الإنسان من عبقرية . **فالشعر هو مظهر من مظاهر العبقرية في الإنسان**. فإذا كان إنسان ما لايدرك الوزن في الشعر، وهو إلى ذلك لا يتقن لغة الشعر، بل هو لا يحفظ بيتاً من الشعر، فأية عبقرية تكمن في هذا الرجل؟ وبأي مقياس سيصبح في المستقبل شاعراً؟ وهل تغنيه عن ذلك كل بحار العواطف التي يتذرع بها . فلو كان من الممكن أن توضع هذه العواطف في أكياس، وحمل هذه الأكياس على ظهره وراح يذرع المدينة بها ذهاباً وإياباً، فمن يعطيه بها فلساً واحداً؟ فليكف هؤلاء عن المتاجرة بالعواطف والإشادة بها والرفع من شأنها . ذلك لأن عاطفة الجاهل كما سبق أن ذكرنا هي عاطفة سطحية لا قيمة لها . والعواطف التي يحسب لها حساب وتقدر لها قيمة هي عواطف النوابغ والعباقرة . وليس ثمة نابغة يعجز عن إدراك الوزن ويقصر عن إتقان الصياغة الشعرية .

حول الحداثة وعلاقتها بالشعر

ويتحدث دعاة الحداثة كثيراً عن التطوير والتغيير بدعوى مجاراة العصر فيما يقدمه لنا من وسائل ومخترعات وملابس وأزياء. **والشعر ليس وسائل ومخترعات بل هو ليس ملابس وأزياء وإنما هو إنتاج فني تعني به البصيرة لا البصر.** والبصيرة التي مركزها العقل الإنساني لا تتطور ولا تتغير بهذه السرعة. والدليل على ذلك أننا جارينا العصر في تغيير الملابس واستخدام المخترعات الحديثة ولكننا لم نتقدم إلى أبعد من ذلك في ميادين الصناعة والعلم.

ثم إنه شتان ما بين التطور والتغير من جهة والتجديد والتحديث من جهة أخرى. ذلك لأن التجديد والتحديث يفترضان بقاء الأصول التي لابد من بقائها مراعاة للذوق الأدبي من جهة وحرصاً على عدم الوقوع في الفوضى والاختلاط من جهة أخرى. فلو جارينا دعاة الحداثة في حديثهم عن وجوب التطوير والتغيير لما أمكن أن يفهم أبناء اليوم إنتاج ما قبل عشرة أعوام، بل إن أبناء اليوم لايفهمون شعر اليوم. وهاهو ذا شعر اليوم، وأنا أقصد الحديث منه. منتشر في الصحف والمجلات، فليتحقق من قولي هذا من شاء وليجرب حظه إن كان يفهم منه شيئاً. ولست أسأل عن مواطن الإعجاز في هذا الشعر، فهو قاصر عن أن ينسب إلى الإعجاز، وإنما أسأل عما يحمله في أثنائه من مقاصد وأهداف، أي عما يحمله من معان. إن هذا الشعر علاوة على أنه لا يحقق أهداف الصياغة العربية الجيدة لا يتضمن المعاني الصحيحة الجليلة التي لا يكون الشعر من دونها شعراً.

ويصر دعاة الحداثة على التخلي عن مقاييس القصيدة العمودية من وزن وقافية وحسن صياغة وعمق معنى وحلاوة نغم. ولا بأس في ذلك ولكن أين البديل؟ إن الناقد القديم يكتب فيتوقف عند الوزن والقافية واللفظ والمعنى. فما المعايير التي يتوقف عندها الناقد الحديث؟ أيكفي أن يحبس نفسه عند العاطفة والصورة الشعرية؟ إن الأمم الأخرى ـــ وحسبي أن أذكر الإنجليز من بينها ـــ تحرص على إجادة لغتها في الكيمياء والفيزياء والمحاسبة ولا أقول في اللغة الإنجليزية والأدب والقصة والمسرح، بحيث يحاسب الطالب في هذه المواد وغيرها على لغته قبل مضمونه. فكيف نخلي الشاعر من تبعة الخطأ اللغوي والشعر فنٌ جمالي لا يحتمل الخطأ لأن الخطأ قبح وبشاعة.

الأسلوب . . الرجل

إن مجال القول في هذا الموضوع واسع شاسع. فلابد لنا أن نركز على بعض النقاط المهمة وهي التالية:

أولاً: ليس من التجديد والتحديث في شيء هذا الإصرار على تغيير القوالب والأشكال الشعرية. فالتجديد يكون في الأسلوب فقط. والشاعر المجيد، يخلق أسلوبه. ولذلك قال بعضهم: الأسلوب هو الرجل. **فتنوع الأساليب هو مقياس التجديد والتحديث.** ذلك لأن الأساليب غير محدودة. أما الأشكال الشعرية فهي محدودة. ولابد للاحق في النهاية أن يجري على نهج السابق فيها. ولو كان تغيير الأشكال الشعرية هو مناط التجديد والتحديث لما كان للمتنبي فضل يذكر في هذا المجال. فقد نسج على منوال القدماء في أشكاله الشعرية ولم يبتدع شكلاً يذكر. ولكن فضل المتنبي يكمن في أنه كان له أسلوب خاص وشخصية متميزة في شعره. وهذا الكلام ينطبق على **شوقي والجواهري وأبي ريشة** وغيرهم من كبار الشعراء. فمناط النظر إذن هو الأسلوب لا الشكل الشعري. ولو كان مناط النظر هو الشكل الشعري لكان هؤلاء جميعاً مقلدين لأنهم لم يبدعوا أشكالاً شعرية جديدة.

ثانياً: يقولون إن التغيير في الأشكال الشعرية هو شيء أساسي جرياً على نسق تغيير الملابس والأزياء. والجواب هو أنه إذا كانت الملابس والأزياء تتغير، فإن الشمس والقمر وكل الكواكب السيارة وغير السيارة لم تتغير وهي مجال حي لكل الشعراء. وكذلك الحديقة وما فيها من أنواع الورود والرياحين فإنها من عهد آدم حتى أيامنا هذه لم يجر عليها أيَّ تغيير. وكل يوم نرى الورود فيبعث فينا العجب والفتنة. ومازال الورد كما كان من عهد آدم حتى اليوم. فلماذا لا يغير دعاة الحداثة الورد والريحان؟ فلقد أصبح ورداً تقليدياً لكثرة ما ألفته العين مثل الشعر التقليدي. بل لماذا لا يغير هؤلاء وجه الإنسان وهو ما زال على شكله القديم منذ خلقه ربه اللهم إلا ملامح وسمات دقيقة تتفاوت من شخص إلى شخص كما تتفاوت السمات العامة في الأسلوب الشعري من شاعر إلى آخر.

ثالثاً: إن الحداثة تلقي على طلابها والمغرمين بها أعباء ثقالاً. وليس من الحداثة في شيء أن نكتفي بما نتلقفه من نتف عن تاريخ الحداثة، نأخذها من هنا وهناك كما يفعل معظم الذين لهم عناية بهذا الموضوع. وبكل ما يعلمونه عن الحداثة أنهم يقرأون نتفاً عن **رامبو وفيرلين وايلوار وكيتس** وغيرهم ممن يعدون من طلائع الحداثة في أوروبا. **فالحداثة تتطلب من صاحبها أن يتقن العربية بعلومها المختلفة وأن يحفظ الشعر بسعة وغزارة وأن يتقن النقد الأدبي العربي والأجنبي وأن يلم بفصولٍ واسعة عن الفلسفة وعلم النفس ومذاهب النقد الحديث وعلى رأسها البنيوية.** ولا يجوز أن يتوهم من له صلة بهذا الموضوع أن نتفاً قليلة من هنا وهناك كافية لأن تجعل منه شاعراً حديثاً أو ناقداً حديثاً.

وصفوة القول إن التجديد والتحديث يتهان من خلال الحرص على الصدق والصياغة الجيدة والعبارة المنتقاة والصورة الفنية الجميلة وعمق الفكرة وغير ذلك من الشروط الكفيلة بخلق قصيدة جديدة.

الحداثة ليست قراءة نتف عن تاريخ "رامبو" و"كيتس" و"إيلوار" وغيرهم


رامبو
كيتس

حوار ومراجعة مع :

الشيخ محمد الغزالي

أنا جار العاطفة.. لا حادّ الطباع

أجرى الحوار : د. عبدالحليم عويس



يواجه الشيخ محمد الغزالي محنة الأمة الإسلامية منذ أكثر من نصف قرن بعقل مجتهد وبوعي بتحديات العصر، وبرؤية ثاقبة لأسرار تأخر المسلمين .

إنه يعي التعقيدات الفكرية والتكنولوجية والعقدية التي تشكل التيارات الحضارية المعاصرة . . ويعتصره الألم، وكثيراً ما يستغرقه البكاء العميق الذي يسيطر عليه وعلى الجالسين معه حين يتذكر مأساة المسلمين . . هؤلاء الذين وكأنهم لايدركون حقائق ما يدبّر لهم، ولايعون حقيقة رسالتهم وذاتهم الإسلامية، ويبددون جلّ طاقاتهم في معارك جانبية فرعية بينما يبذلون أقل الجهد في معارك المصير الكبرى . .

وفي عصرنا هذا سادت بين بعضنا - للأسف الشديد- مظاهر متخلّفة، منها التركيز على نقاط الخلاف، وإهمال مساحة الاتفاق الواسعة، ومنها الوقوف عند هذه النقاط وعدم تجاوزها، من أجل المصلحة الإسلامية الغالبة، ومنها الرفض بالجملة لمجرد وجود اختلاف في الآراء، ومنها الارتفاع بالخلافات الفرعية إلى مستوى الخلافات الأصولية، ومنها تحويل الخطأ الاجتهادي إلى (خطيئة مقصودة)، (جريمة مبيتة) تقتضي الحكم على القلوب، والملاحقة المستمرة بالغيبة والنميمة !!

ومنذ أكثر من ربع قرن - (أعترف وأنا بكامل قواي العقلية) تربطني بأستاذنا الكبير الشيخ محمد الغزالي علاقة حميمة، وقد كان له فضل - بعد الله - عليّ وعلى جيلي في تحصيننا ضدّ الزحف الأحمر (الشيوعي) والزحف الأحقر (العلماني) في سنوات كانت صلاة الجماعة فيها في المدينة الجامعية في إحدى الدول تعتبر كافية للإتهام ببعض التهم المؤدية -أحياناً- إلى السجون الاشتراكية الثورية . . !!

وأعترف - كذلك - أني أختلف مع أستاذي الشيخ الغزالي في بعض القضايا . . بل قد عالجتُ هذه القضايا في بعض بحوثي وفي بعض المؤتمرات وفق ما أؤمن به . . بل إن صديقنا المشترك الداعية الدكتور يوسف القرضاوي خالف الشيخ الغزالي وردّ عليه في بعض كتبه، ومنها كتابه : " كيف نتعامل مع السنة " . . لكننا جميعاً نعيش في دائرة الحبّ، ونتفيأ ظلال أستاذية الشيخ الغزالي .

هذا هو الشيخ محمد الغزالي وذاك منهجه . . فلا يهم أن ينتهي بك اجتهادك إلى الاتفاق معه أو الاختلاف، بل المهم أن يكون الحق رائدك، وأن تؤثر الأخوة الإسلامية وحقوقها -وهي من الأصول-، وأن تعرف أدب الحوار، وأن تحسن الظن بأخيك وتدعو له !!

وفي هذا الحديث لا أكتب حديثاً صحافياً، وإنما أحاور الشيخ الغزالي محاورة التلميذ للأستاذ لكي نصل إلى أرضية جديدة نرأب بها الصدع، ونمضي وإخواننا على أرضية الحبّ المشتركة، ويكفينا من الهمّ مايدور في البوسنة والهرسك، وما يدبّره لنا(النظام الدولي الجديد) . . لكي نصطلح مع الله، ونتجه إليه بقلب سليم، ونتراحم حتى نستأهل رحمة الله، ونتفاعل - من ثمّ - مع سنن الله الكونية والاجتماعية المؤدية إلى الإقلاع الحضاري، والذي يحدد الله في كتابه الكريم خطوته الأولى في الآية الكريمة : ﴿إن اللّه لايغيّر ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ (الرعد ١١) .



في سؤالنـا الأول قلنا لأستـاذنا الشيخ الغزالي :

*** يـلاحظ أن في بعض كتـابـاتك - ولاسيما الأخيرة - شيئاً من الحدّة التي لم تعرف في تاريخك الطويل من قبل، فكيف تفسرون هذا وأنتم الآن في سن النضج الكامل ؟**

أجاب الداعية الكبير:

- ربما كنت حارّ العاطفة لاحادّ الطباع، فأنا أكره النَّفَس البارد في معاملة الأشخاص والأفكار، وأحسب أن الإيمان النظـري لايملك القـدرة على التحرك في هذه الحياة إلا إذا كان له قائد من عاطفة حارة تملك الحركة الدائمة واليقظة الصارمة . .

وبين الحدّة والحرارة فـروق، فقد تكـون الحدة قريبـة من القسوة وأنا أزعم أني رقيق، وقـد تكون قريبة من الإصرار، وأنا لاطاقة لي على البقاء في خطأ إذا استبان لي الخطأ.

وربما كانت الحدّة المزعومة هي مايتملكني من أسًى للهـزائم التي أصيبت بها الثقـافة الإسـلاميـة والسياسية الإسلامية على السواء .

ومع أن جميع مقـومـات النصر بين أيـدينـا فما الذي أوقع بنا هذه الهزائم . . ؟

هذا هو الذي يجعلني أحياناً أتكلم بشيء من الغيظ وأنـا أرمق دعـاة مفلسين لايحسنـون عـرْض الإسـلام -وقد قلت فيهـم ذات يوم: إن الإسـلام قضية عادلة وقعت في أيدي محامين فاشلين.

والمشكلة في نظـري أن الميدان لايـزال يضطرم بآثـار المعركة، وأن الإسـلام يواجه قـوىً خبيثة ولا أقـول ذكيـة، وهـو في هـذه المواجهـة يطلب الحماة الأيقاظ الأذكياء فلايجد . . وقد كنتُ في كندا مبعوثاً من رابطة العـالم الإسلامي . . فوجدت معـركة بين نفر من المسلمين بعضهم يريد قراءة سورة الكهف يوم الجمعة والآخـرون يرفضون، فقلت لهم: نقلتم أسباب هزيمتكم مـن الشرق إلى الغرب. هل هذه قضية يقوم فيها نزاع (؟!!) وقد أوصيت في القاهرة بفتح مسجـد الحصري للممثلات التـائبات فجـاء من يطلب منهن النقـاب بدلاً من الحجـاب ويقسو عليهن أشد القسوة عندما أعرضن عنه (ناسياً أنهن كنَّ ممثـلات)، فهل بهذا السلـوك تخدم الـدعـوة؟ وهل هذا هو فقه الداعية بأسلوب الدعوة؟

- إنني أحبّ الحلم والأنـاة لأنهما خصلتان يحبهما الله ورسولـه، وأدرِّب نفسي على هاتيك الخصال، لكني أعترف بأنني أفقد زمامي أحيانـاً عندما أجد الرويبضة يتكلم في الشؤون العامة، ويعطي توجيهات لاثمرة لها إلا ضرب الإسلام في صميمه، وإدخاله في معارك إذا انهزم فيها كان الخزْي، وإذا انتصر فيها كان التعب والإجهاد .

« لايوجد نظـام دولـي جـديد.. والهدف الصليبي واحـــد.. »

وشيء آخر أذكره ولاأدري إذا كان يصلح عذراً أو لا، لكنه أمر واقع . . إن الكلمة التي أكتبها هي التي تـذهـب دون مـراجعـة إلى المطبعـة، وقـد يقع أحياناً وأنا أدفع القلم للكتابة به أن أنسى تعقيبًا أو استـدراكـاً أو أن أصـوغ الجملة صيـاغـة كـان من الممكن أن تصب في قالب آخر أهدأ وأرفق، ولكن عـدم المراجعـة هـو السبب في أن الكلمات تكـون أحياناً نارية وكان من الممكن أن تكون أقل حدّة . .

صيحة تحذير

*** من الشــائع الآن أن بينك وبين بعض علماء السلف منذ سنوات شيئاً من الخلاف، وقد ظهر هذا في بعض الكتب والمقــالات. فما مــوقفكم الشخصي من هذا الخلاف ؟**

أجاب فضيلة الشيخ الغزالي :

الحقيقة أن هناك ظروفاً دفعت إلى شيء من الخلاف، كان في أصله خلافاً فرعياً عابراً - ولازال - لكنني كنت أتمنى أن يكون الحبّ وحسن الظن والرفق نسيج العلاقة بيننا، وأنا لا أنسى لعلماء السلف دورهم، ولا أنسى لعلماء المملكة العربية السعودية - بخاصة - ما قاموا به من نصرة للعقيدة الصحيحة، (وكيف تصح أي عبادة من قول أو فعل بدونها)ومن مقاومة للخرافات والبدع التي انتشرت في عهود التخلف في الأعصار الأخيرة، كما لا أنسى غيرتهم على الإسلام، ولي فيهم أصدقاء وإخوان كثيرون . . وأنا رجل أميل إلى تجاوز مراحل الخلاف بسرعة متأسياً بالسلف . . ولهذا أدعو الله - في هذا المقام- أن نتجاوز جميعاً المراحل الخلافية دون أن يكون ذلك على حساب دين الله . . وأقول في هذه المناسبة أيضاً: إنني أول من يخضع للحق الذي يأتيني مكلّلا بأدب الإسلام وأخلاق الإسلام، لاالذي يتوه ذهبه وسط أكوام من التراب.

وأضيف أيضاً : إن التحديات الكبيرة يجب أن تجمعنا، فنحن أمـام موجـة صليبية جديـدة كَلُوح تلبس ثوب العلمانية، ، وقد تصديت لها من قبل في عدد من الكتب، وفي الهجمـة الأخيرة تصديت لها في كتابي «صيحة تحذير من دعاة التنصير» .

وأنا أدعـو إخواني العلماء والدعـاة جميعاً -وفي المملكة العـربية السعـودية - بخـاصة - إلى تطهير قلوبنا والتفرغ للعمل الراشد والتعاون الكريم، أمام القوى المتكتلـة ضدنا والمتربصـة بديننا وحضـارتنا ووجودنا كله .

وقد كان شعاري دائماً: لنترك أي رأى إذا كان يوهن الأخوة الإسلامية أو يضعف وشائج القربى بين المسلمين أو يفرق كلمتهم وصفوفهم، فالمقاصد العليا أقوى وأولى من أي رأي فردي . . !

وأحب أن أؤكد هنـا مرة ثانيـة أنني في خندق إخـواني العلماء، وأنني مـاقصـدت ببعض تعبيراتي جمهرة العلماء، وإنما قصدت آحاداً من المحسوبين على العلم من ضيقي الصـدور والأفق الذين تعتبر نسبتهم إلى العلم مـوضع شك، وهم -غـالبـاً- حديثو السن يحتاجون إلى مزيد من الفقه والوعي. وبالطبع لست مسؤولاً عن ذلك الظن الواهم الذي

ظنه بعض العلمانيين وأشباههم، حيث تأولوا كلامي تأويلاً يتفق مع أهوائهم، فحولوا الرخصة المحدودة المضبوطة بضوابط شرعية إلى قاعدة منداحة الأفق تخدم أهواءهم، التي لاضوابط لها. وهؤلاء - إذا كانوا موضوعيين- عليهم أن يأخذوا بكل ماكتبتُه، وبالضوابط التي أضعها، ولكنهم أصحاب أهواء.

*** قلنا لأستاذنا الكبير: هناك كتابات منهجية هادئة يجمع المسلمون على الرضا عنها وعلى أنكم من خير من يكتب فيها مثل: (التفسير الموضوعي للقرآن) و (فقه السيرة) و (المحاور الخمسة للقرآن الكريم) و (صيحة تحذير من دعاة التنصير)، بينها تكتبون أحياناً بأسلوب مقاتل، فكيف تجمعون بين طريقتين مختلفتين في التأليف؟**

قال الشيخ الغزالي: الكتابة الإسلامية عندي وعند غيري مزدوجة المجرى، فنحن نكتب أحياناً عن حقيقة الدعوة أو لبّ الثقافة الإسلامية.. وأحياناً تكون الكتابة عن جهاد الدعوة وسياسة إصلاح جوانب الحياة ومواجهة تحدياتها، أعني أني كتبت (نظرات في القرآن) وفي الوقت نفسه كتبت (معركة المصحف)..

وأنا كذلك أتّبع منهاج القرآن الكريم عندما يتحدث عن أمجاد الألوهية في سورة الأنعام بأسلوب هادئ، وعندما يفضح أعداء الدعوة في (براءة) مثلاً، فليست الكتابة الإسلامية لوناً واحداً إلاّ عند الذين يشعرون بشيء من القلق عندما يكتبون في سياسة الدعوة.

والحق أن الكتابة في سياسة الدعوة ثقيلة العبء مرّة المذاق لأنها اشتباك مباشر مع الأعداء والمعوقين ومن ينظرون إلى الإسلام نظرة خامدة الأنفاس!!

وقد يرضى الكثيرون عن البحث العلمي في حقيقة الرسالة الإسلامية وعن عناصر الدعوة، ولكنهم يشعرون بالقلق عندما نشتبك مع خصوم الإسلام والكارهين للحق في هذه الحياة..

« لعلماء السلف دورهم الكبير في مقاومة الخرافات والبدع وإشاعة العقائد الصحيحة »

وسيظل جهدنا موزعاً بين الناحيتين.. عرض الدعوة في مثل: (خلق المسلم) و (عقيدة المسلم) و (ليس من الإسلام) و (كيف نفهم الإسلام) وسياسة الدعوة في مثل (كفاح دين) و(التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام) و«الاستعمار أحقاد وأطماع» و «معركة المصحف» و«صيحة تحذير».

***هل يمكن أن نتوقف قليلاً عند «التفسير الموضوعي» للقرآن على أنه نموذج من كتابة النوع الأول، ولأنه مشروعكم الذي مازال مستمراً وينتظره محبوكم وقراؤكم ويسألون الله أن يطيل عمركم لتتمّوه؟**

قال أستاذنا الشيخ الغزالي:

إنني أعتقد أن عصرنا الحاضر هو عصر التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، وليس عصر التفسير الموضعي، وإن كان الأخير لابّد منه على أن يكون خادماً وممهداً للأول، فالعقل الإنساني ارتقى كثيراً في هذه الأيام، وتفاسير القرآن يجب أن تضطرد في عروضها مع مقتضيات العصر الحاضر، ولايكفيني أن أشرح القرآن جملة جملة ولا كلمة كلمة، إنني أريد أن أقول للقارئ خذ عرضاً عاماً لسورة (آل عمران) مثلاً، وسوف تراها تدور على محورين: فنصفها الأول حوار مع أهل الكتاب اليهود والنصارى، ونصفها الثاني تعليق على هزيمة معركة أحد، وفي أواخر السورة حثٌّ للمسلم على الصبر على لأواء الجهاد المزدوج.. الفكر والحرب.. لأهل الكتاب والوثنيين.

وعندما أعطي هذا الخطّ العام للسورة فإنني أعود مرة أخرى فأبرز الخطوط الخفية التي تشدّ أجزاء السورة كما تشدّ الأعضاء أجزاء الجسم، فيظهر للقارئ أن الآيات ليست مركومة في الأوراق كيفما اتفق، وإنما هي مرتبة ترتيباً دقيقاً، تكتمل فيها أجزاء صورة واضحة المعالم رائعة الملامح.. فهذه النظرة الجديدة في التفسير لم أسبق إليها، وإنما وجدتها في نظرات شيوخ لي عكفوا على تلاوة القرآن والدعوة إليه، أولهم الشهيد حسن البنا -رحمة الله عليه- الذي كان يلقي نظرات في القرآن في المركز العام للشبان المسلمين في القاهرة.

ومن الصدق أن أقول إن (رشيد رضا) من وراء هذا التفسير، وإن كان يمزج بين الموضوعي والموضعي بلباقة، ومن أحسن من كتبوا في التفسير الموضوعي الشيخ عبدالله دراز فقد كتب كتابه (النبأ العظيم) فجعل سورة البقرة كلها على طولها باقة منسقة الورود والفروع، وجمع أوّل السورة وآخرها في نسق لم يسبق إليه.

وأنا أرجو أن أبدأ وقد بدأت فعلاً الخطوط الأولى في هذا التفسير ووصلت إلى سورة التوبة!!

*** وفي هذا الإطار التأصيلي - ياأستاذنا: نلاحظ أيضاً أن قضية تأصيل المعرفة إسلامياً تحتل من اهتمامكم جانباً كبيراً، فما مدى أهمية هذه القضية للمسلمين في رؤيتكم؟**

استطرد أُستاذنا الكبير قائلاً:

في أول كتاب ألفته في حياتي شبهت الوحي الإلهي بماء النيل في مجراه الأعلى ينزل من السماء صافياً نقياً، ثم يختلط بالأرض فيحمل من ترابها وغثائها وأخلاطها مايجعل الانتفاع به صعباً حتى ينقّى الماء فيعود سماوياً كما كان.. قلت: ما أشبه الدّين بماء النيل، وما أحوجه إلى التنقية من أهواء الناس وشهوات الأغنياء والأقوياء والضعاف.. إنّ الذي يؤسفني أن الإسلام هو أليق الأديان بالعصر الحاضر، وأقدر الأديان على اقتياد الإنسانية في هذه المرحلة اليقظة من تاريخها.. وفي تعاليمه إشباع حقيقي للعقل والضمير وإمتاع للفكر والعاطفة، لكن المأساة أن الذين يعملون به يصدّون



« أنا سلفي أصيل ، ومن يتصوّر أن هنالك فجوة فكرية بيني وبين سلفنا الأول ، فهو ضرب من الجنون »

عنه لأنهم يسيئون فهمه ويفرضون عليه صوراً لامصدر لها إلا طباعهم المريضة، وهم بذلك يجعلوننا ندعو مع الداعين: ﴿ربنا لاتجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا﴾ . . وهؤلاء الداعون كانوا يطلبون من اللّه أن لاتقع بهم هزيمة تجعل أعداءهم يقولون: لو كانوا على حق ما هزموا فتكون هزيمتهم سبباً في انصراف الناس عن الحق. ولاينكر أحد من المثقلين بالدعوة الإسلامية أنّ حالة الأمة الإسلامية يستحيل أن تكون نصيراً لدينها.

ومن هنا كان حرصي شديداً على تأصيل المعرفة الإسلامية، ووددت من أعماق قلبي لو عرض علم الكلام عرضاً جديداً يصور به عقائدنا من القرآن الكريم والسيرة العطرة تصويراً يجذب أهل الشرق والغرب إليه. . ووددت لو أنّ الفقه الإسلامي وجد عارضين جدداً يقدمون قضاياه في ملفات حيّة تجعل انجذابهم إليه من أعماقهم . . إن الثقافة الإسلامية حتى الآن لاتزال في مادتها وفي عرضها وفي رجالها مأساة لابد من معالجتها بحكمة وإلاّ ضاعت رسالتنا من بين أيدينا.

وفي يقيني أنّ الله سبحانه وتعالى ربّى محمداً ليربي به العرب، وربّى العرب بمحمد ليربي بهم الناس كلهم. . وهذا المعنى تكرّر في موضعين من القرآن الكريم. . أولهما في قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطًا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾ وثانيهما في قوله تعالى: ﴿هو سماكم المسلمين من قبل، وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس﴾ .

فنحن أمة مكلفة برسالة يجب أن تكون من الناحية العلمية مشرقة متداولة محمية، أما أن تترك لتعصف بها الأوبئة والحشرات فهذه جريمة أو خيانة عظمى . .

ولو قيل لي: كيف تُعلم العقائد الآن لقلتُ: أجيء بكتاب مثل كتاب (الله يتجلى في عصر العلم) أو كتاب (العلم يدعو إلى الإيمان) وأضع فصوله العلمية تحت الآيات القرآنية العلمية التي تتحدث عن الكون والتي تربط الأديان بالنظر في هذا الملكوت . . إنه قريب من منهاج الشيخ نديم الجسر في (قصة الإيمان) والشيخ وحيد الدين خان في كتابيه (الإسلام يتحدى) و (الدين في مواجهة العلم) .

*** يرى بعضهم أنك تميل إلى لون من التصوف، وتسميه (الجانب العاطفي من الإسلام) ويخشى بعضهم أن يكون الجانب العاطفي منزلقاً إلى الوقوع في البدع . . . فما المعادلة الصحيحة - في رؤيتكم - لمعالجة فقه النفس والقلب والوجدان في الإسلام؟**

قال أستاذنا الداعية الكبير محمد الغزالي:

أنا سميت التصوف أحياناً علم الإحسان أو علم القلوب أو الجانب العاطفي من الإسلام. وأنا مسبوق في هذا برجلين من أعمدة العلم السلفي هما ابن تيمية، وابن القيم، فلابن تيمية جزءان في فتاواه الكبرى عن علم القلوب، ولابن القيم كتاب **(مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين)** وقد قرأته كله وأنا في معتقل الطور، فكنت أشعر والأستاذ**البهي الخولي** - رحمه الله - يقرؤه عليّ أني محمول على السحاب حتى إذا انتهت القراءة استيقظت وأنا على الأرض، ويخيّل إليّ أنّ الجفاف المسعور السائد الآن في حريق المطامع المادية جاء من أن علم القلوب هجره المسلمون، وأن الجانب العاطفي من الدين أهمل، وأصبح الدين عند بعض حملة العلم مظاهر وأشكالاً . . فالذي أفترضه في الدعاة الآن أن يكون لهم زاد من هذا الجانب الروحي والعاطفي في تراثنا الثقافي وهو محرر تحريراً حسناً في كتابات ابن تيمية وابن القيم.

وقد فشل بعض الدعاة في عصرنا لتهافتهم على القضايا التافهة وجبنهم عن الانسياح في أرض الله وهما نتيجتان ترجعان إلى هذا الفراغ القلبي وللأزمة التي نهايتها في علم القلوب.

وقد يقع أحياناً أن يستهين شديد التوكل بالأسباب أو يتقاعس عن بعض النشاطات وهذا خطر على الإسلام وعلى من سلك هذه المسالك.

وعمل رجال الدعوة هو تجميع الناس على ربّ الأسباب ووظيفة الأسباب، والمعركة لن تكون على العناوين، فما يعنينا أن يحرق اسم التصوف أو يبقى . . وإنما يعنيني أن كلمة مثل كلمة ابن عطاء الله: (مابثقت أغصان ذلّ إلاّ على بذور طمع) يجب أن تكون من أصول التربية التي تقطع أطماع البشر في غير الله سبحانه وتعالى، وثقتهم جميعاً في ساحته وحده، منه يطلبون وعليه يعتمدون !!

*** قلنا لأستاذنا الشيخ الغزالي: دعنا نصل معك إلى بيت القصيد في حوارنا هذا، ونسألك عن موقفك الآن - فكرياً ونفسياً - من إخواننا السلفيين، بعد أن شعر الناس بوجود جفوة بينك وبين بعضهم؟**

أجاب الشيخ الغزالي بنبرة حزينة قائلاً:

دعني أعلن لكل الناس سلفيين وغيرهم أني سلفي أصيل، بل قد أكون درويشاً في محبة الصحابة والتابعين، وأشعر بأن هذه المعالم الغائرة في تاريخنا الطويل هي التي تحمل الإسلام من القرن الأول إلى القرن الخامس عشر، وأعي جيداً قوله عليه الصلاة والسلام: «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم» فتصوّر بعضهم أن هناك فجوة نفسية أو فكرية بيني وبين سلفنا الأول هو ضرب من الجنون، فأنا مع السلف أحمل دعوتهم وأثني عليهم . . فهم أصدق الناس فطرة.

ولكن الإسلام طويل المدى، وصاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام قال: « أمتي كالغيث لايدرى أوله خير أو آخره».

والأمة التي لاتاريخ لها ليس لها حاضر ولامستقبل، ولذلك فأنا مع حبي العميق للسلف احتفى بسائر العباقرة من أئمة الفقه والأدب والعقيدة وسائر فنون المعرفة الذين ظهروا في تاريخنا. . ولماذا تقوم بيني وبينهم خصومة وهم جميعاً يقومون على الكتاب والسنة ويرفعون علم التوحيد ويجندون مواهبهم ومن معهم لخدمة الإسلام وقيمه وأمته.

ومن ثم فأنا أحتفي بالخلف كما أحتفي بالسلف، ولاأرى أن هؤلاء لهم وجه غير أولئك فالهجرة إلى الله عندهم جميعاً والكل يبغي وجهه، ولذلك عندما سألني أحد الناس: أتتبع رسول الله أم تتبع أبا حنيفة؟ قلتُ ساخراً من السؤال: أتبع كلام رسول الله كما فسره لي أبوحنيفة. وقيمة أبي حنيفة أو ابن حنبل ليست مستمدة من ذاته، وإنما من العلم الديني الذي تصدّى له، وللانتساب إلى المنهج النبويّ الذي شرف به، وكذلك سائر أئمتنا إلى يوم الناس هذا.

والحقيقة العلمية عندي تستمدّ وجاهتها من شاهدين عدلين هما كتاب الله وسنة رسوله، فليس هناك بديل ولاشريك في هؤلاء الشهداء.

وعندما أقرأ التفسير أو السنة أو العقائد أو السيرة فالشعور المسيطر عليّ هو أنّ الحقيقة شائعة في هذه المعارف وفيمن حملها إلينامن السلف الأول إلى القرن الأخير. . نحن أمة لايجحد صغيرها كبيرها، ولايتبرم تلميذها بأستاذها ولا تتسوّل العزة إلا من مصدرها الأصلي ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾، فهل أقبل بعد هذا الشعور الغامر أن يجيء إنسان يخالفني في بعض الفروع أو الاجتهادات فيتهمني في عقيدتي وسيرتي وديني ودنياي؟!

وهذا الذي يرتكب هذه الجريمة هو كما قال ابن الجوزي في أمثاله: (في قلبه كبر فوعون).

إن العملة المتداولة في ميادين الحياة الآن هي الأخلاق التي يسمونها (إنسانية) ونبينا عليه الصلاة والسلام هو القائل: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» فأين رصيدنا منها في العملة المبذولة الآن بين الناس!!

فالعلامة المميزة للعلم الصحيح والثقافة النقية الصادقة هي الشارة المحمدية التي يجب أن تظهر ناصعة على المواريث القديمة والحديثة على السواء. .

« الشيخ عبد العزيز ابن باز عالم سلفيٌّ نقيٌّ مخلصٌ، وهو ممن يؤثرون ربهم على دنياهم »

لقد كنت أقول دائماً في عالم سلفي نقيّ مخلص مثل الشيخ عبدالعزيز بن باز إنه من طلاب الأخرة، وممن يؤثرون ربّهم على دنياهم، وقد تكون بيننا خلافات فقهية فما قيمة هذا الخلاف وما أثره؟!

إن الأئمة الكبار اختلفوا -بل إن داود وسليمان قد اختلفا في الحكم- وهما من هما في النبوّة والعلم والحكمة!!

*** وعن العلاقة بين الدولة والدعاة وموقف المسلمين جميعاً -دولة وأمة- مما يسمى بالنظام الدولي الجديد قال شيخنا الغزالي:**

إنني أؤمن بأنه من الممكن جداً أن تكون بين الدولة والدعاة شعرة معاوية، فلايستعجل أحد المعركة أو الخلاف مادامت هناك رغبة في إيثار السلام وخدمة الإسلام -وعندي أن الأمر يحتاج إلى تصحيح النيّة، وإلى إظهار الزهد الحقيقي في الدنيا ومناصبها - وأعتقد أن الحاكم الذي يشعر بأن الدعاة لايسألونه شيئاً في يده ولايزاحمونه على دنيا عنده، بل يريدون الخير له وللأمة فإنه يكفّ عن مقاومتهم بالضراوة التي نراها الآن من بعض الحكام المسلمين للأسف الشديد. .

أما النظام الدولي الجديد والقديم فكلاهما يعادي الإسلام، ولايجوز أن ننخدع بعناوين براقة مثل (حقوق الإنسان) و (كرامة الشعوب) وإحترام (الديمقراطية) وغيرها من العناوين التي يراد بها أن تكون بديلاً عن الإسلام. . فإذا كان الإسلام -كما ثبت في عشرات التجارب- سيجد التنفّس والانتعاش فيها، فإن النظام الدولي يقتلها معه. !!

ومادام المسلمون ضعفاء مستهلكين ممزقين فإن أي نظام دولي لن يعطيهم إلاّ ماينتهي به إلى تحقيق أهدافه منهم. . أهدافه هو لاأهدافهم هم. . وكفانا تعطيلاً للعقول، وامتهاناً لحقائق الأشياء. . فليس بين الحق والباطل إلاّ ماذكره القرآن حقيقةً ثابتة إلى يوم القيامة: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾ . . ﴿والله غالب على أمره ولكنّ أكثر الناس لايعلمون﴾.

تحطيم تماثيل رموز الشيوعية



الإبداع من منظور علم الجمال المعاصر

بقلم: د. رمضان بسطاويسي محمد

يتنمي موضوع «الإبداع الفني» إلى دراسات علم الجمال Aesthetics عن الخبرة الجمالية، والمقصود بالخبرة الجمالية تحليل موقف الإنسان من العمل الفني، في تذوقه أو نقده أو إبداعه على السواء، فهي تهتم بتحليل مستويات الخبرة الإنسانية المرتبطة بالعمل الفني لدى المتذوق ـ القارىء والمبدع والناقد ــ وهناك أدبيات كثيرة منذ عصر سقراط تقدم تحليلاً للخبرة الجمالية[١]، وإن كانت قديماً تركز بشكل أساسي على المبدع بوصفه منتجاً للعمل الفني.

ولقد كان الطابع الغالب على هذه الدراسات التقليدية أنها كانت تفسر الإبداع بوصفه إلهاماً يأتي للفنان من مصدر لا يعلمه. وهو أمر تبناه بعض الكتاب. فلقد تبنى شكسبير وجهة نظر **أفلاطون** في التوحيد بين المهووس والشاعر العاشق[٢] ولقد تطورت هذه النظرية في الفكر الرومانسي إلى القول بنظرية العبقرية لتفسير الإبداع عند الفنان، ولم تهتم هذه النظرية بالقارىء أو الناقد، أو محاولة تفسير جماليات التلقي لديهم، وإنما اكتفت بالإشارة إلى أن المنشأ الذاتي للإبداع ـ الإلهام أو العبقرية ــ هو ما يلهم الناقد أيضاً في تفسيره للعمل الفني، وعلى الرغم من أن صياغة **أفلاطون** للإلهام في محاورة **«أيون»** Ion[٣] تحمل قدراً من السخرية، ولا يسعى للتوقف عند مفهومه، وإنما يرمي إلى تجاوزه؛ إلا أن كثيراً من المفسرين لنظريته، توقفوا عندقوله بالإلهام، **بينما هو في الحقيقة يسعى إلى تأسيس عقلاني كلي للإبداع. ولم يركز على الإلهام في تفسير نظرية الإبداع سوى المدرسة الرومانسية التي ركزت على الفردية الجميلة للفنان بوصفها منشأ العمل الفني. ولكن الإلهام لا يشكل ــ في الحقيقة ــ العمل الفني؛ لأن الصياغة النهائية تأتي من خلال الوعي القصدي للفنان، والإلهام لا يتأتى إلا لأولئك الذين كرسوا وقتاً طويلاً وجهداً مضنياً للوصول إلى السيطرة على الوسيط الذي يتخذونه أداة لهم.** والإلهام ــ بهذا المعنى ــ ليس خبرة ميتافيزيقية، وإنما يفترض تجربة متراكمة، ومعرفة عميقة، ولذلك فالإلهام ليست قوة عشوائية مستقلة تماماً عن وعي الفنان ـ وإن كانت تبدو له كذلك ـ وإنما هو قدرة تتوقف على النشاط الواعي الخاضع لسيطرة الفنان. أما تفسير الإلهام بأنه العناصر اللاعقلية واللاواعية التي توجه عمل الفنان، فهذا يحيلنا إلى دراسات علم النفس، الذي يهتم بالكيفية التي تحدث بها عملية الإبداع وتفسيرها، وهذا قد يغفل أحداث المجتمع التي تحيط بالفنان، وتعمل فيه بوصفها استثارات تثير وعيه وكيانه الكلي، ولذلك فإن العبقرية يمكن أن تشير إلى الموهبة. وهي استعداد نفسي وعقلي خاص يميز المبدع ويجعله أكثر استعداداً من غيره للإبداع.

علم الجمال المعاصر

يدرس علم الجمال المعاصر الإبداع بوصفه جزءاً من «كل». هو العملية الإبداعية ومن ثم فالإبداع هو تعبير عن شبكة معقدة من العلاقات التي تكتنفها مستويات متعددة عند القارىء المتلقي، أو المبدع، أو الناقد على السواء، ولذلك تعددت الرؤى الجمالية واختلفت النتائج نظراً لكثرة العناصر التي تتداخل في هذه الخبرة، ونظراً لتعدد مناهج الدارسين لها ـ حسب الفنون التي يحللونها ــ لأن علم الجمال المعاصر لم يعد يبحث في قضايا الفن بشكل مجرد ومنعزل عن المواد التي تجسد هذه الفنون، وإنما أصبح البحث الجمالي مرتبطاً بكل فن على حدة لكي يبين أن الرؤية الجمالية مرتبطة بالوعي، بالإنجاز الشكلي الذي تتيحه المواد الوسيطة، فالفنون البصرية أو السمعية مرتبطة بجوانب مختلفة بالحضارة التي أنتجتها، لتعبر عن ثقافتها، كما أن المضمون مرتبط بالصياغة الشكلية التي تظهر من خلالها؛ ولهذا ظهر علم الجمال الأدبي والموسيقي والسينمائي والتشكيلي وغيرها بوصفها فروعاً لعلم الجمال،؛ فمثلاً **علم جمال السينما** يدرس الصورة السينمائية بوصفها الأداة الرئيسة للتفكير والتعبير، ويدرس الكيفية التي يستخدمها المخرج للأدوات التي تتيحها السينما مثل القطع والتوليف ووضع التأثير الحسي وعلاقة هذا بالمتفرج، وجماليات التلقي بين الإسقاط والتفكير والاستثارة والفاعلية. **وعلم الجمال الأدبي** المعاصر يدرس العلاقة بين آليات بناء العمل الأدبي وآليات المجتمع الاقتصادية في التبادل والحياة، ويدرس أيضاً أنماط الرواية ونظريات البطل، ودورها في استخدام الضمائر التي تتيح للمؤلف التعبير عن رؤى المجتمع للعالم من زوايا مختلفة. وبذلك تخلى علم الجمال المعاصر عن التناول المجرد لقضايا الفن والإبداع الذي كان سائداً في علم الجمال التقليدي.

بين الإبداع والتلقي والتنظير

اهتم علماء الجمال المعاصرون بقضية الصلة بين الخبرة الجمالية في تلقي العمل الفني والخبرة الجمالية عند المبدع. وقد رجح بعضهم أن هذه الخبرة واحدة لدى الناقد والمبدع؛ لأن تجربة القارىء الناقد هي تجربة مماثلة لتجربة الفنان المبدع، لأن قراءته للعمل الفني تنطوي على عملية إعادة تركيب وبناء[٤]، ومن ثم خلق جديد للعمل الفني؛ بينما يميل علم الجمال التقليدي إلى التفرقة بين الناقد والمبدع، على أساس أن الاستقبال والتأمل يغلبان على عمل الناقد،؛ في حين يغلب الإرسال والخلق على عمل الفنان، وهناك من يفرق بين المتذوق والفنان والناقد على أساس أن كلاً منهم يرتبط بخبرة متميزة عن الآخر في إطار

الخبرة الجمالية. فالمتلقي يرتبط بالعمل الفني من خلال خبرة التذوق الفني، بينما خبرة الفنان مرتبطة بالإحساس الجمالي، ومدى قصديته في تشكيل المادة الوسيطة، في حين ترتبط الخبرة الجمالية لدى الناقد لعملية التقييم أو الحكم الجمالي.

وهناك نظريات مختلفة في تاريخ علم الجمال تفسر الإبداع من مختلف جوانبه وهذه النظريات تشكل الخطوط العامة لاهتمامات علم الجمال بالإبداع وأهم هذه النظريات هي: **نظرية المحاكاة، والنظرية الشكلية، والنظرية الانفعالية، ونظرية الجمال الفني**(٥). وكانت هذه النظريات هي المسيطرة على التفكير خلال التاريخ (الاستطيقي) والنقدي الفني، ومن ثم كانت هي التي وجهت النشاط الخلاق والنشاط التذوقي. حيث شكلت هذه النظريات الاعتقادات المتعلقة بالفن وقيمته؛ ومن ثم فلقد أثرت في الفنان، ووجهت إدراك المتلقي نحو أشياء معينة في العمل الفني، وجعلت الناقد في حكمه على العمل الفني يركز على هذه المبادىء التي تقدمها له هذه النظريات.

ومهمة التفكير الجمالي هي التعبير بدقة عن هذه الاعتقادات خلال فترة تاريخية معينة ونقدها كذلك حتى يتحرر الفنان والناقد والقارىء من سلطة النظريات التي شكلت حساسيتهم الجمالية تجاه الفن؛ مما يتيح فتح آفاق جديدة للفن، ويكسر الحدود التي تسجن الفن في أطر ثابتة، وتجعل مهمة المبدع في تقديم صور جديدة للحياة أو نقدها، بدلاً من تكرار آليات تقتل الدهشة لدى المتلقي والناقد معاً، وتجعل عمل الفنان آلياً وليس إبداعياً.

وتركز كل نظرية من هذه النظريات على جانب معين من جوانب الإبداع. **فالنظرية الرومانسية (النظرية الانفعالية)** تركز على المبدع وحياته، ووعيه، بينما تركز النظريات **«الفينومينولوجية»** على تجربة القارىء أو المتذوق في تلقي العمل الفني وتعطيه دوراً متميزاً في استكمال ما يقدمه المبدع؛ فعمل المبدع ناقص وقاصر، يكمله المتلقي بتجربته مع العمل الفني، أما **النظريات الماركسية والشكلية والبنيوية ونظريات الجمال الفني** فهي تركز على دراسة طبيعة العمل الفني نفسه، إما معزولاً عما عداه مثل النظرية الشكلية، أوفي سياق اجتماعي وتاريخي مثل النظرية الماركسية، أو كشفرة نستخدمها في بناء المعنى، فيصبح همُّ عالم الجمال في البنيوية والسيميولوجيا هو تحليل العمل الفني واكتشاف الشفرات والعلامات التي تقوم بعملية التوصيل في العمل الفني، وتكون مسؤولة عن إنتاج الدلالة في العمل الفني.

الفلسفات السائدة والمعايير العلمية

ونلاحظ أن النظريات الجمالية السابقة متأثرة بالتيارات الفلسفية السائدة في القرن العشرين، ولذا يمكن أن نميز بين هذه النظريات على أساس الرؤية المعرفية والمنهج المستخدم؛ حيث لم يكتف علماء الجمال المعاصرون بإعادة النظر في المفاهيم التي درج علماء الجمال على استخدامها وتحليلها بل حاولوا اعطاءها دلالات جديدة، مثل: مفهوم التعبير — فلم يعد يستخدم للتعبير عن ذاتية الفنان، وإنما أصبح يعني التعبير عن ثقافة طبقة اجتماعية، أو ثقافة فئة أو شريحة من المجتمع، ويعين أيضاً: **آليات التعبير** التي يستخدمها الفنان، لأن

«علماء الجمال المعاصرون حرصوا على فهم دور الفن في المجتمع المعاصر باعتباره نشاطاً إبداعياً يكشف عن فتح آفاق جديدة للحياة..»

هذه الآليات ذاتها تتضمن قيماً جمالية. وكذلك أعطوا دلالات جديدة لمفهوم **الصورة، ومفهوم الحدس، ومفهوم الرمزية**، ولم يقتصر الأمر على ذلك، وإنما حاولوا ربط دراساتهم في علم الجمال بمباحث أخرى للعلوم المعاصرة، التي تتيح لعالم الجمال إمكانات جديدة لم تكن متاحة له؛ تساعده في فهم العمل الفني وتفسيره، وهذا ما نجده بشكل واضح عند **كروتشه حين استعان بعلم اللغويات العام في تفسيره للنص الشعري**.

وقد حرص أيضاً علماء الجمال المعاصرون على فهم دور الفن في المجتمع المعاصر، باعتباره نشاطاً إبداعياً يكشف عن حرية الإنسان ويعبر عن قدرته على تجاوز الواقع، وفتح آفاق جديدة للحياة.

وقبل أن نتحدث عن خبرة الإبداع في تذوق العمل الفني، وإنتاجه ونقده من منظور علم الجمال المعاصر، **لابد أن نشير إلى اتجاهات علم الجمال الكلاسيكي والجهود التي ساعدته على تحوله من علم معياري إلى علم وصفي. فعلم الجمال التقليدي كان يضع صورة ما ينبغي أن يكون عليه الجمال والإبداع، بينما علم الجمال المعاصر يصف العملية الإبداعية ويهتم بتحليل عناصرها، ولذلك اختفت السمة المطلقة في الأحكام، وحلت محلها السمة النسبية في التحليل والتقييم**.

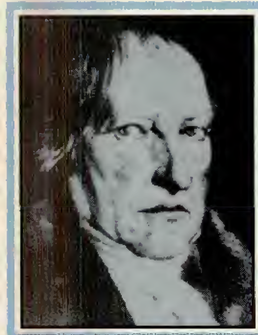
بين نظرية المحاكاة وموضوع العمل الفني

وأول النظريات الكلاسيكية التي سيطرت على التفكير الجمالي، ولا تزال آثارها تعمل فينا، هي **نظرية المحاكاة**، التي تهتم — في الأساس — بموضوع العمل الفني. وكتابات **أفلاطون وأرسطو** هي التي قدمت الأساس الفلسفي لكل الدراسات الجمالية التي تهتم بموضوع العمل الفني، برغم أن «الموضوع» هو عنصر واحد من العناصر التي يتكون منها العمل الفني، ولا يتضمن كل العناصر. ويرجع اهتمام نظرية المحاكاة بالموضوع في العمل الفني إلى نظرتها المطلقة للفن، على الرغم من أنها تستبدل البعد الكلي والأخلاقي في الفن بالعمل الفني نفسه. ومعظم الكتابات التي حاولت أن تؤرخ للنقد وعلم الجمال وفلسفة الفن لدينا قد اهتمت بعرض هذه النظرية؛ حيث ترجمت أعمال **أرسطو** في الفن: كتاب الخطابة **وكتاب** الشعر إلى اللغة العربية أكثر من مرة[٦]، ومن ثم فإن هذا يعفينا — هنا — من تكرار ما ورد في هذه الدراسات، ولكن **يمكن فقط الإشارة إلى التوحيد الذي تقيمه نظرية المحاكاة بين الفن والأخلاق، حتى يصير الفن قيمة أخلاقية**، هذا بالإضافة إلى أن الأسس الفلسفية لهذه النظرية مرتبطة بمحتواها الجمالي. ولكن ما يغيب عن الدراسات التي قدمت في

اللغة العربية عن نظرية المحاكاة هو عدم الإشارة إلى هذا الارتباط الفلسفي، أو رؤية العالم الـذي تقدمه نظريـة المحاكاة، وكيف أن هذه النظـرية تكشف عن الأسس المثـاليـة للنقد والإبـداع؛ لأنـه مـادامت المحاكـاة في الفن هي محاكـاة الموضوع الجمالي في جوهره وكليته، فهي محاكاة للمثل الأعلى والمطلق الأخلاقي. وعلى الرغم من أن الصيـاغة الكليـة العامة التي قـدمها **أرسطو** للإبداع الفني كانت مرتبطة بشروط إنتاج الفن في عصره، إلا أن رؤية **أرسطو** للفن قد فهمت في الحضارة الهلنيستيـة على أنها شروط للإبداع، بينما هي ـــ في الـواقع ـ ليست كذلـك. ولذلك جـاء كتاب «**فن الشعـر**» **لهوراس**[٧] ليضع قيـوداً على الفن والفنان، إذ كان همه الرئيسي هو وضع قـواعد للفن، وبدلاً من أن تفتح الآفاق للفن، أغلقت كل الأبـواب وكـان الفكر الجمالي المعـاصر التـالي محاولـة نقديـة للتفكير الجمالي السابق. وهذا ما نجده في تحليلات **هيدجر** **لكتابات** أرسطو، إذ تـوصل إلى أن التفكير الجمالي هـو دراسـة وصفيـة تكشف عن مـوقع الفن من سياق الوجود والخبرة الإنسانية، **وأن الفن هو أحد مظـاهر تعبير المجتمع عن نفسه في أشكال حضارية وثقافية إلى جـانب الدين والقانون والفلسفة ومظاهر الحياة كافة**، ففلسفة الفن لا تسعى إلى فـرض قواعد مـا على الفنانين في تحقيق الجمال؛ وإنما عليها أن تبحث في الجمال كما هو، وكيف عبر عن نفسه واقعياً في الأعمال الفنية، دون أن تضع شروطاً ما للإنتاج الفني.[٨]

> "كتابات "كانت" و"هيجل" أثارت قضايا الشكل والمضمون في العمل الفني"


كانت


هيجل

وإذا كانت **نظرية المحاكاة** تهتم بالموضوع بوصفه جوهر العمل الفني، فإن **النظرية الشكلية** تهتم بالشكل ذي الدلالة significant Form، وهي تهتم بالأداة أو الوسيط الجمالي الذي يقـدم الفنان إبداعه من خـلاله، وحجتها في ذلك أن الفنـان إنسان يفكـر من خـلال وسيط فني معين، ويشتمل هذا الـوسيط على عناصر حسية معينة وهي الألـوان والأصوات والكلمات والكتلة. ويقوم الفنان بترتيب المادة والربط بينهـا. وقد أكد **بندتو كروتشه** Banedetto croce ذلك، وبين أن المواهب الخلاقـة لدى الفنـان لا يمكن أن تنفصل عن الوسيط الـذي يعمل فيه[٩]، وتبعاً لمصطلحات **كروتشه**فإن الحدس الفني لا يوجـد إلا مرتبطاً بـالوسيـط المادي مثلما لا يمكن أن توجـد فكـرة شعريـة منفصلـة عن كلمات القصيدة وأوزانها وتنظيمها الشكلي.

أما **النظرية الانفعالية فهي** تفسر الإبداع عن طريق إعطاء انفعالات الفنان دوراً كبيراً في بناء العمل الفني. كما تربط بين العمل الفني ومـا يثيره من قضايا نفسية وانفعالات جمالية[١٠].

أما **نظرية الجمال الفني** فإنها توسع من دائرة الإبداع ـــ باعتباره مفهـوماً ـــ بحيث لا يقتصر على الفن وحده، وإنما تطلق صفة «الجمال الفني» على كل ما ينتجه الإنسان، ويتسم بذاته أنه جميل، وتعتمد هذه النظرية. في تمييز الجميل على التركيب الذي يصوغ به الفنان مـوضوعه فيتحول إلى تجربة جمالية. وتفسير الإبداع هنا يعتمد على مقاصد الفنان الواعية في إنتاج أعماله الفنية.

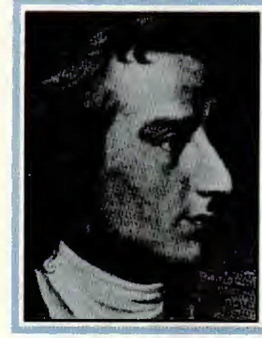
بين نظريات الفكر الجمالي وتاريخ الفن

ونـلاحظ في هذه النظـريـات التي سادت الفكـر الجمالي فترة طـويلة منـذ العصر اليوناني حتى **كانت** Kant؛ أن كل نظرية تركز على عنصر ما من عناصر العمل افني، وكل نظـريـة تطـرح أسئلـة مختلفـة، عن الإبـداع الفني؛ فلقـد ارتبطت كل نظريـة بمرحلـة ما من تـاريخ الفن؛ فنظرية المحـاكاة مثـلاً أو ما تطلق عليـه في التـاريخ الفلسفي «**نظرية الماهية**» أو المثـل الأعلى تحلل الفـن الكلاسيكي الجديد، بينما تقوم النظريـة الشكلية بتحليل الفن التجريدي، في حين ارتبطت النظرية الانفعالية بـالفن الرومانتيكي. والسبب الذي جعل هذه النظريـات تقليديـة، ولا تضيف جديـداً، أن كثيراً منها لا ينفـذ بنا إلى صميم العمل الفني وتركيبه الداخلي، وإنما يحيلنا إلى خارج العمل الفني، مثلما تفعل **نظرية المحاكاة** حين لا تنـاقش العمل الفني، وإنما مـوضوعـه، ومثل **النظرية الانفعالية** التي تدعـونا إلى البحث في سيرة الفنـان، وهذه الإحـالات تجعلنا لا نناقش الإبداع في الفن، وإنما نناقش موضوعاً آخـر هو الدافعية للأبداع، وهو ما قد يمس العلم الفني في بعض العناصر.

ولهذا فقـد حـدث تحول مهم في الفكـــر الجمالي بعـد ذلك، وذلك نتيجـة الحاجة إلى تقـديم تفسيرات جـديدة للإبـداع، مع الاستفـادة بما أتاحـه تقدم العلوم الإنسانية المعاصرة لفهم **الظاهرة الجمالية**، وموقعها من الحضارة المعاصرة، مع التأكيـد على تفـرد العمل الفني وتكـامله، ودراسـة الإبـداع لـدى المبـدع والمتذوق والنـاقد. ويرجع هـذا التحول في الدراسات الجماليـة إلى جهود **كانت** (١٧٢٤ ـ ١٨٠٤) **وهيجل** (١٧٧٠ ـــ ١٨٣٠) لأن كتاباتها أثارت قضـايا لم تكن مثارة من قبل مثل: الشكل والمضمون في العمل الفني، تصنيف الفنون، الجميل والجليل، مـاهيـة الفن وصلتـه بـالـواقع، طبيعـة العمل الفني، الفن والإبداع الثقافي لـلأمة، تاريخ الفن وتاريخ الـوعي الإنساني، الموهبة هل هي استعـداد عقلي أم تراكم خبرة ومعـرفة، تحول علم الجمال من علم معيـاري إلى علم وصفي[١١]. كل هذا قد أتاح للـدراسات الجمالية المعاصرة أن تتطور إلى

ما هي عليه الآن، فرؤى **كانت وهيجل** وقد وضعت الفن في سياق التعبير عن تنامي وعي الإنسان لذاته وواقعه، ووضعت الفن ظاهرة بشرية إلى جانب الدين، ومؤسسات الدولة السياسية التي يبدعها الإنسان لتحقيق حلمه، مما مهد لظهور مدارس متباينة في الفن؛ يهتم بعضها بالبعد الاجتماعي والسياسي، مثل محاولة **شارل لالو** في كتابه **(الفن والحياة الاجتماعية)** الذي أخذ يفسر الفن في ضوء العلاقات القائمة بين الفن والمجتمع.


ريتشاردز


شيللر

بين خبرة الإبداع وخبرة تذوق العمل الفني

اهتم **علم الجمال المعاصر** بالخبرة الجمالية لدى المتذوق القارىء/ المتلقي، واعتبرها خبرة إبداعية مماثلة لخبرة المبدع، لأنها تعيد بناء العمل الفني وتركيبه على نحو خاص. ولذلك تتميز الخبرة الجمالية عند تلقي العمل الفني بموقف خاص مختلف عن الموقف الذي يتخذه الإنسان في حياته اليومية وظواهرها في الخبرة العادية؛ لأن الإنسان في الخبرة العادية ينظر للأشياء نظرة مرتبطة بمصالحه المباشرة، ويسعى من خلال نظرته إلى أن يدخل في سياق السلطة الاجتماعية بأشكالها المختلفة، ويرتب سلوكه بما يساهم في الممارسة التسلطية في محيطه الخاص، بل يمارسها على نفسه ــ دون وعي ــ ليجد له مكاناً في الوجود الاجتماعي؛ بينما يحاول الإنسان في الخبرة الجمالية أن يتحرر من أسر التسلطية ــ سواء تلك التي يمارسها الإنسان على نفسه، أو يمارسها النظام القانوني والاجتماعي والسياسي والأسري عليه ــ ويتحرر من المنفعة بصورتها الكمية المباشرة.

«يختلف علماء الجمال في تحديد ماهية الخبرة الجمالية عند المتلقي وعلاقتها بالحياة..»

وإقبال الإنسان الحر على العمل الفني (لأنه ليست هناك قوة تقهر الإنسان على قراءة عمل أدبي ما دام لا يشتغل بوظيفة تربطه بهذه الأعمال الأدبية)؛ هو محاولة لممارسة الوجود الحر الذي ينمي مختلف جوانب الذات الإنسانية.

وقد اختلف علماء الجمال في تحديد طبيعة هذه الخبرة الجمالية، عند المتلقي، وعلاقتها بخبرة الحياة اليومية بين الاتصال والانقطاع، فهناك اتجاه يرى أنها متصلة بخبرة الحياة اليومية بين الاتصال والانقطاع، فهناك اتجاه يرى أنها متصلة بخبرة الحياة اليومية، ولكنها تتميز بالدقة في النظام والتركيب، ويمثله «ريتشاردز». **وجون ديوي John Dewey** الذي يرى أنها تمثل أسمى الخبرات التي يعيشها الإنسان لما تتميز به من حرية، ولكنها مماثلة للخبرة اليومية، وهو يوسع من دائرة الخبرة الجمالية ليجعلها تضم كل سلوك إنساني يحقق التفاعل البناء بين الإنسان وبيئته؛ إذا كان الإنسان ينظم عالمه وبيئته وفقاً لحاجاته، كذلك فإنه يحدث تنظيم مماثل في النشاط الفني لدى المتلقي حيث يعيد تنظيم المادة الفنية المتاحة له على نحو يحقق له في النهاية متعة جمالية (Aesthetic pleasuer) لأن المتذوق لا يقف عند حد التذوق السلبي ولكنه يعيد بناء ما حققه الفنان من تصميم وتنظيم، مع تقديره، بحيث يجعله متآلفاً وذا دلالة. وهذا يعني أن المتلقي يشارك في إنتاج الدلالة في العمل الفني بما تتيحه له خبراته وثقافته ومدى إيجابيته في تناول العمل الفني. وهذا الاتجاه يرى أن الخبرة الجمالية عند المتلقي هي خبرة إنسانية تعكس الظواهر الاجتماعية في الحضارة التي ينتمي إليها المتلقي، وهي ليست منقطعة الصلة عن سائر خبرات الحياة.

وهناك اتجاه آخر، يرى أن الخبرة الجمالية لدى المتلقي منقطعة الصلة بخبرات الحياة العملية، ويمثل هذا الاتجاه الشاعر الألماني **فريدريش شيللر** (١٧٥٩ ــ ١٨٠٥) حين قدم نظريته الجمالية، وربطها بنظريته في اللعب ــ والمقصود باللعب هنا، كل نشاط إنساني حر، تحقق فيه الذات نفسها في الشكل ــ والعمل الفني في جوهره هو شكل وصياغة من خلال ما هو متاح من إمكانات.

الهــوامــش

١ ــ د. مصطفى سويف: الأسس النفسية للإبداع الفني - دار المعارف القاهرة ط ١٩٥٩م الفصل الأول ص ٢٥.

٢ ــ أفلاطون: محاورة فايدروس، ترجمة د. أميرة حلمي مطر - دار المعارف القاهرة ١٩٨٦م ص ٧٠

٣ ــ جيروم ستولينتز: النقد الفني: دراسة جمالية وفلسفية ترجمة د. فؤاد زكريا - مطبعة جامعة عين شمس القاهرة ١٩٧٤ ص ٢٨٥.

٤ ــ أرسطو: فن الشعر: ترجمة د. إبراهيم حمادة مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، بدون تاريخ ص ١٨٥.

٥ ــ د. أميرة حلمي مطر: مقدمة في علم الجمال - دار النهضة المصرية، القاهرة ص ١٩٥.

٦ ــ د. أميرة حلمي مطر: فلسفة الجمال من أفلاطون إلى سارت ص ٨٠:

٧ ــ كروتشه: المجمل في فلسفة الفن ترجمة د. سامي الدروبي - دار الفكر العربي ١٩٤٧م القاهرة ص ٤٩ - ٥٥.

٨ ــ د. رمضان بسطاويسي: فلسفة هيجل الجمالية - المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر بيروت ١٩٩١م ص ٢٠.

٩ ــ جيروم ستولينتز: النقد الفني ص ٢٣٦.

١٠ ــ المرجع السابق: الموضع السابق نفسه.

١١ - Hegel: Aesthelics p. 18

الإعلام الإسلامي

ضرورة لا ترف

بقلم: د. عبد القادر طاش

إن القول بضرورة صياغة إعلامنا صياغة إسلامية أمر طبيعي ينسجم مع إيماننا بأن الإسلام نظام متكامل ومنهج شامل للحياة كلها. وإذا كان لليبراليين الرأسماليين إطار فلسفي يحكم إعلامهم، وإذا كان للشيوعيين الماركسيين إطار فلسفي يحكم إعلامهم فإن للمسلمين أيضا إطارا فلسفيا يحكم إعلامهم.

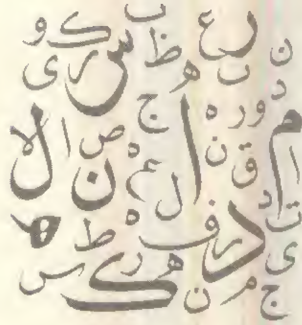
والمسلمون مطالبون دائما بأن يحكّموا مبادئ دينهم وحضارتهم في جميع جوانب حياتهم: **﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك لـه، وبـذلك أمرت وأنـا أول المسلمين﴾**(الأنعام ١٦٢ - ١٦٣) كما أن المسلمين مطالبون دائما بأن يتميّزوا من غيرهم، ويبتعدوا عن تقليد من سواهم، فهم أمّة متفردة: **﴿وكذلك جعلناكم أمةً وسطا لتكونوا شُهداء على النّاس ويكونَ الرسولُ عليكم شهيدا﴾**(البقرة١٤٣).

واستنادا إلى هذا التصور الأساسي يمكننا أن نحدد مفهومنا لفلسفة الإعلام الإسلامي بأنها إطار فكريّ عام يؤصل طبيعة النشاط الإعلامي من حيث منطلقاته وغاياته، ويحدد تركيبة النظام الإعلامي في المجتمع المسلم، ويوجّه مسيرة الممارسة الإعلامية وفق تصورات الإسلام الفكرية وتشريعاته الاجتماعية وتوجيهاته الأخلاقية.

ولذلك نرى أن كثيرا ممن يتناولون قضية الإعلام الإسلامي اليوم يحجّمونها عندما يحصرون القضية في مضمون وسائل الإعلام، وهل يكون دينيا أم عامًا؟ أو يحصرونها في أخلاقيات الممارسة الإعلامية، أو يحصرونها في أدوات الإعلام وأشكاله، أو يحصرونها في ملكية وسائل الإعلام وهل تكون للدولة أو للأفراد أو القطاع العام؟.

إن قضية الإعلام الإسلامي ــ في نظرنا ـ تشمل كل هذه الأمور، كما تشمل قبل ذلك كله نظرة الإسلام إلى طبيعة النشاط الإعلامي، ومشروعيته في حياة الإنسان والمجتمع. إن الإطار الفلسفي الإسلامي العام ينبغي أن يجيب على هذه التساؤلات جميعا في الميادين الثلاثة السابقة: **طبيعة النشاط الإعلامي، وتركيبة النظام الإعلامي، وأخلاقيات الممارسة الإعلامية.**

وفي تصورنا أن هذا الإطار الفلسفي العام للإعلام الإسلامي، والذي قد يسميه بعضهم بنظرية الإعلام الإسلامي، لم يكتمل وجوده من



الناحية النظرية، فضلا عن التطبيق العملي، إذ لا يزال كثير من النصوص والاجتهادات الإسلامية في هذا الصدد مبثوثة في المصادر الأصلية للإسلام من قرآن وسنة، وفي العديد من الكتب التراثية التي تشتمل على اجتهادات علماء المسلمين وممارساتهم الإعلامية.

ولذلك فإن الحاجة لا تزال ماسة إلى تكثيف الجهود وتنظيمها في سبيل الكشف عن معالم هذا الإطار الإسلامي في ضوء الاجتهاد العصري الذي يربط بين الماضي والحاضر ليقدم في النهاية النظرة العلمية المتكاملة لنظرية الإعلام الإسلامي. وهو عمل ضخم لا ينبغي التقليل من شأنه أو الاستعجال في نتائجه، إذ يحتاج إلى وضوح في الرؤية وتخطيط موضوعي سليم ومدى زمني مناسب، كما يحتاج إلى عوامل عديدة تُهيِّئ له المناخ الملائم لنموه وتطوره كما تَهيَّأ ذلك المناخ للنظريات الإعلامية الأخرى كالليبرالية والماركسية.

الإعلام الديني

أما فيما يتعلق بالعلاقة بين الإعلام الديني والإعلام الإسلامي فإنها علاقة جزء بكل، فالإعلام الديني جزء من الإعلام الإسلامي بمفهومه الشمولي الصحيح. إن الإعلام الإسلاميّ ـ كما أسلفنا سابقا ـ إطار فكريّ وأخلاقيّ عام يحكم العمل الإعلاميّ كله بمختلف صوره وأشكاله. ومادام الحديث هنا عن المضمون فإن الإعلام الديني إذا كان المقصود به ما يعالج المسائل الدينية البحتة كالفتاوى والتوجيه الديني المباشر، أو ما يقتصر على تقديم مواد دينية محددة كتلاوة القرآن الكريم ونحوها. إن الإعلام الديني بهذا المفهوم جانب من جوانب المضمون الإعلامي، وهناك جوانب أخرى كالإعلام السياسي والإعلام الاقتصادي والإعلام الاجتماعي والإعلام الترفيهي والإعلام العلمي وغير ذلك من الجوانب. وحصر الإعلام الإسلاميّ في مجال الإعلام الديني فقط لا يتفق مع حقيقة ذلك الإعلام أبدا، فالإعلام الإسلاميّ يوجّه جميع جوانب المضمون الإعلامي، وما الإعلام الديني إلا نوع متخصص من أنواع المضمون في الإعلام الإسلاميّ.

اعتراض مردود

إن الذين يعترضون على مصطلح الإعلام الإسلامي يخلطون ـ في نظرنا ــ بين مستويين من مستويات هذه القضية؛ المستوى الأول: إطلاق الوصف في نطاق المجتمعات الإسلامية المعاصرة، والمستوى الثاني: إطلاقه في نطاق الدراسات

"قيام نظام إعلامي إسلامي متكامل رهن بقيام مجتمع إسلامي ملتزم .."

الإعلامية ونظريات الإعلام المختلفة. ولا شك أن الأصل هو كون الإعلام في المجتمعات الإسلامية إعلامًا إسلاميًا كما أن الإعلام في المجتمعات الغربية إعلام لبرالي وفي المجتمعات الشيوعية السابقة إعلام ماركسي.

ولكنّ هذا التصور المثالثّ ليس واقعا بوصفه الصحيح، إذ إنّ واقع اةعلام - نظريا وتطبيقيا - في كثير من المجتمعات المسلمة تشوبه شوائب عديدة، فنظريات الإعلام التي تدرّس في جامعات العالم الإسلامي - إلا من رحم ربي - هي النظريات الوافدة المشحونة بالفكر اللبرالي أو الماركسي. والنظم الإعلامية قائمة في كثير من البلدان

أما الإعلام **فهو فرع من العلوم الاجتماعية، يتلون دون شك بالأفكار والفلسفات التي يعيش في أحضانها وينبع منها.** لذلك اختلفت النظريات الإعلامية أو الفلسفات بحسب اختلاف العقائد والأيدلوجيات التي تحكمها وتوجهها.

ومن ثمّ فإن وصف الإعلام الذي ينبع من عقيدة الإسلام وفكره وأخلاقياته «بالإعلام الإسلامي» أمر طبيعي لا غبار عليه، كما يوصف الإعلام الذي يصدر من التراث اللبرالي الرأسمالي بأنه إعلام لبرالي، وكما يوصف الإعلام الذي يصدر من التراث الماركسي بأنه إعلام شيوعي، بل إن هذا الوصف ضرورة لازمة تحقيقًا للتميّز الذي يدعو

الخطأ أن نقبل هذا القول، إذ الإسلام ليس اسما فقط بل هو التزام عملي وممارسة واقعية.

الإعلام جزء من كل

إن قيام نظام إعلاميّ إسلاميّ متكامل رهن بقيام مجتمع إسلاميّ ملتزم في نظامه السياسيّ والاقتصاديّ والاجتماعيّ، إذ لا يمكن عزل النظام الإعلاميّ عن بقية النظم التي تحكم المجتمع، وخصوصا إذا سلّمنا بأن النظام الإعلامي يتأثر كثيرا بهذه النظم، وفي كثير من الأحيان يكون نتاجا طبيعيا لها.

ولكنّ الإعلام - في جانبيه النظري والتطبيقي - يمكن العمل على أسلمته في المجتمعات المسلمة التي لا تلتزم بالإسلام في نظام حكمها وأسلوب حياتها، و إن كان مقدار الأسلمة تختلف نسبته من مجتمع إلى آخر. إنّ الإنسان المسلم يستطيع في مجتمعه أن يَعْلم ويُعلِم وفقا لتعاليم الإسلام وأخلاقه، كما أن العلماء يمكن أن يعالجوا القضايا النظرية في الإعلام الإسلاميّ، وكذلك يمكن للإعلاميين الملتزمين بالنظرة الإسلامية أن يمارسوا ألوانا من النشاط الإعلاميّ التي تحكمها قواعد الإسلام وضوابطه.

وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ

الإسلامية على أسس غربية أو شرقية. والممارسة العملية في مجال الإعلام تسيطر عليها المفاهيم والقيم الغربية. وأساتذة الإعلام ممن يعارضون إطلاق وصف الإعلام الإسلاميّ هم أول من يعترفون بهذا الواقع وينقدونه. أما في نطاق الدراسات والنظريات الإعلامية فلا بد من الاعتراف بأن الإعلام ليس علما محايدا كالعلوم الطبيعية التي لا تختلف من مجتمع إلى آخر، فقواعد الرياضيات ونتائج الاختبارات الكيماوية والتجارية الفيزيائية لا تخضع للاجتهادات الشخصية بل تحكمها قوانين وسنن كونية واحدة.

الإسلام أتباعه إليه: **﴿هو سمّاكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على النّاس﴾** (الحج ٧٨) **﴿ومن أحْسنُ قولا ممّن دعا إلى الله وعَمِل صالحا وقال إنني من المسلمين﴾** (فصلت ٣٣).

إن القول بأن الإعلام الإسلامي لا داعي له بين المسلمين باعتبار أن حياة المسلمين كلها إسلامية، وأن هذا الوصف تحصيل حاصل قول صحيح إذا كانت المجتمعات المسلمة تحكم بالإسلام وتُخْضِع الإعلام لتوجيهات الإسلام وقيمه ومعاييره وضوابطه. أما عندما لا يكون الأمر كذلك فإن من

وبرغم اقتناعنا بأن الوضع الطبيعي للإعلام الإسلاميّ - بنظريته ونظامه وممارساته التطبيقية - لن يكون إلا في كنَف مجتمع إسلامي ملتزمٍ الإسلامَ في نظمه المختلفة إلاّ أنه لا ينبغي التقليل من ثمرات الجهد الذي يُبْذَلُ في المجالين النظري والعملي سواء على مستوى التنظير والتدريس أو على مستوى الممارسة المهنية؛ إذ إن هذه الثمرات ستصب في النهاية، إذا ما أُحسنَ التخطيط لها واستوفى حقها من الإخلاص والإتقان. في نهر دافق يسير صوب غاية كبرى هي تحكيم الإسلام بشموله وتكامله في حياة المسلمين.

الأسلوب البياني والإبداع الفني

دراسة تطبيقية

بقلم : محمد محمود عبدالرازق

لا يزال نقاد القصة لدينا يعنون بالمضمون أكثر من عنايتهم بالشكل، رغم أن الشكل هو المضمون. وبالشكل أكثر من عنايتهم بالأسلوب، رغم أن الأسلوب هو الشكل. والأسلوب هو الذي يفرق بين الأدب وغير الأدب، وبين القصة وغير القصة. ومن أجل هذا – في زعمنا – يهتم الدكتور عبد القادر القط بالأسلوب. ويرى أننا نفتقد هذه الأيام الاحتفال المشروع بالتعبير، والسلامة في اللغة، وبناء العبارة دون سعي مقصود إلى الصنعة البيانية. فالأسلوب المحكم البناء عنده، لا تطغى نزعته البيانية على ما ينبغي له من تلون ومجاراة للموقف والشخصية، ولا ينساق وراء الرغبة في الثرثرة أو ابتكار صور جديدة قد تفسد ما قبلها، وينأى عن الترادف أو الألفاظ المتقاربة في الدلالة، أو الجمل المتشابهة في الإيقاع والتركيب إن لم يكن لها مقتض.

دراسات تطبيقية

ونستطيع ان نستخلص هذه المبادىء من خلال عدة دراسات تطبيقية لأعمال **محمد سليمان ورمسيس لبيب** ، **وعبدالله جفري** ، **وناصر العديلي** ، **ومحمد المخزنجي** . فهو يرى أن **محمد سليمان** في روايته : «**الجدران**» يكتسب من طبيعة المأساة وشخصيتها الأولى شيئاً من الأناة و«التحفظ» في التعبير عن الانفعالات والعواطف ، إلا في مواطن نادرة يستخدم فيها انماطاً تعبيرية معروفة جرى عرف كثير من كتابنا على استخدامها في تصوير بعض المواقف ، كقوله مثلاً مصوراً حال الشخصية الأولى حين دق جرس الباب ونهض ففتحه ليجد «سعدية» أمامه : «أفسح لها الطريق مرحباً .. قلبه يرقص طرباً». وهو تعبير مستهلك مسرف في العاطفية لا يناسب طبيعة الشخصية كما رسمها المؤلف . وقوله أيضاً حين خيل إلى «صابر» أن «سعدية» قد قبلت أن تتزوجه : «عربد الأمل في قلبه» وقوله «أحس ضربات قلبه كقرع الطبول» . وبرغم هذه التعبيرات النمطية النادرة يظل اسلوب الكاتب رصيناً مشرقاً[1] .

والميل إلى إضفاء طابع شعري على القصة – في تصميمها وتصويرها وتعبيرها ، يكاد يكون اليوم – كما يقول – ظاهرة ملحوظة عند كثير من كتابنا ممن ينأون بقصصهم عن الواقعية المباشرة ، فيختارون تجاربهم من وقع العالم الخارجي على النفس لا من العالم الخارجي نفسه ، ويظل الواقع المجرد مثير للخواطر والمشاعر دون إلحاح من الكاتب على تفصيلاته ودلالاته المباشرة . وبمقدار نجاح الكاتب في الملاءمة بين طبيعة التجربة وروح الشعر ، وبمقدار سيطرة الكاتب على لغته وقدرته على التعبير والتصوير يكون نجاح مثل هذا اللون من القصص . و**رمسيس لبيب** من هؤلاء الكتاب الذين يحققون هذا التوازن بين التجربة القصصية والشعر ، لولا إسراف ملحوظ في بعض الأحيان ، وانسياق وراء العبارات والصور التي قد تكون جميلة في ذاتها ، لكنها تسم القصة بشيء غير قليل من الإطالة والتكرار . وقصة : «**في الخلاء**» بأكملها قصيدة نثرية ذات حركة درامية واضحة . واللغة والأسلوب هما جوهرها ، فبهما يرسم الكاتب لحظات من الهدوء والعنف والمفارقة معتمداً على الفاظ منتقاة ذات دلالات خاصة ، ومترادفات وجمل متزاوجة ، ومقاطع متعاقبة يصور كل مقطع حركة من حركات الريح أو مشهداً من مشاهد التصدي والدفاع ، في القصر وفي بيوت القرية . ويلجأ إلى ما يلجأ إليه كتاب القصة في السنوات الأخيرة من القطع بين الجمل القصيرة تمثيلاً للحركة المتوالية السريعة ، أو تأكيداً للشعور او المعنى الواحد ، ثم يعاود الوصل بعد أن يتم له ما أراد[2] .



عبدالله جفري

ويلحظ أن «**الخيالات الحادة**» عند **عبدالله جفري** تستدعي اسلوباً بيانياً فيه كثير من الترادف أو الألفاظ المتقاربة في الدلالة على سبيل التأكيد ، وفيه بعض الجمل المتشابهة في الإيقاع والتركيب : «أريد أن أحيا كل العمر .. احترق فيك ، أسمعك وأراك وألجأ إليك .. إنه جنون ، فقد أصبحت أنت كل شيء في حياتي ، وملامح كل شيء ونبض عروقي وخفق قلبي .. سعادتي وتعاستي ، جنوني ومكنوني .. أشعر أنك النسمة الحانية العطوف ، وأنك تمثل واقعي وعمري وشجوني وهمومي وسعادتي .. أريد أن تعود كما أحببتك قلباً ، حناناً ، فهماً ، عطاء ...» على أن أسلوب الكاتب يختلف اختلافاً كبيراً عن ذلك الأسلوب العاطفي البياني حين تروى العاشقة في رسالتها جانباً من نشأتها وحياتها في بيت أبيها وصلتها بأمها من الجيل القديم ، ومأساة أمها مع زوجها الذي تزوج بأخرى أكثر شباباً وجمالاً من زوجته الوفية القديمة . وهنا تقترب التجربة من واقع الحياة ، وتتحدث عن مشكلات المرأة النفسية والاجتماعية فيصبح الأسلوب أكثر واقعية وأقل إسرافاً في الخيال[3] .

ولأن القصة عند **ناصر العديلي** تكاد تخلو من الحدث إلا من لحظة مادية عارضة ، فانه يستعين في تصوير المشاعر الباطنية للشخصية بوضعها أمام خلفية طبيعية «يسقط» عليها بعض تلك المشاعر ويمزج من خلالها بين العالم الخارجي والعالم النفسي الداخلي ، ويبلغ أسلوب الكاتب في تلك المقدمات مشارف الشعر ذي المسحة الرومانسية الغالبة . وقد تطول تلك المقدمات أحياناً حتى تغلب على القصة كلها ، وكأنها قطعة من الشعر المنثور . وسواء وصف الكاتب هواجس اللاشعور أو وصف إطارها من مشاعر الطبيعة ، فإن ذلك يقتضيه أن يجسم تلك الهواجس الخفية لكي يخرجها من وجودها المجرد إلى حقائق ملموسة ترتبط بمناظر ولحظات من الطبيعة معروفة – في



ناصر العديلي

بعض الصور المجازية والتشبيهات ـ لقدرتها على انبعاث مشاعر وجدانية خاصة . وقد يسرف الكاتب أحياناً في السعي وراء تجسيم المجرد أوخلع الحياة على بعض مشاهد الطبيعة فينتهي إلى صور غير مقبولة كقوله مثلاً : «الليل يزداد حدة كمنشار ، يرن صداه في أذني ، ينفذ إلى الأعماق كمسمار في رحم الخشب الصلد» . وما كان أغنى الخشب عن «الرحم» في هذا المقام ! ولا أدري إذا كان الكاتب قد بلغ من العلم بأمور الضفادع حداً يفرق فيه بين نقيق ضفدعة شابة وضفدعة عجوز ! لكن يبدو على أية حال أنه مشغول بأمر الضفادع ، إذ يقول في إحدى القصص : «قذفت بهذه الكلمات وكأنها تتقيأ ضفادع في بطنها !» . وهو أحياناً يبدأ الصور بتجسيم جميل ، ثم ينساق وراء الرغبة في ابتكار صور طريفة فيفسد ما كان قد بدأه[٤] .

الحوار في المسرحية والرواية

ويثير أستاذنا **الدكتور القط** قضية هامة طالما أثيرت حول **الحوار المسرحي والحوار في الرواية** ، وهل ينبغي أن يخضع للمستوى الوجداني والفكري واللغوي لصاحب الحديث ، أو يتسمح الكاتب فيعبر بطريقته الخاصة مفترضاً أن المتحدث لو أوتي قدرة الفكر والبيان كان يمكن أن يعبر بمثل ما جاء به الكاتب . وتصبح القضية أكثر إلحاحاً ـ كما يقول ـ حين تروى القصة بضمير المتكلم الذي قد يكون صبياً غير قادر على مثل هذا البيان . ويناقش هذه المشكلة بمناسبة حديثه عن تخلي **محمد المخزنجي** عن إطار القصة القصيرة جداً . فلم يكن من عادته في مجموعته الأولى : **«الآتي» أن يستخدم شيئاً من الأساليب البيانية المعهودة في بعض القصص القصيرة والروايات من مترادفات أو ازدواج بين الجمل ، أو التعبير عن معنى المشهد بأكثر من حركة وأكثر من وجه ، إذ كان شديد الاقتصاد في استخدام المفردات وبناء العبارة المحكمة في أقاصيصه الأولى . وحين تخلى عن القصر البالغ في بعض قصص مجموعته الثانية** : **«رشق السكين»** بدأ يبيح لنفسه مزيداً من الحرية والإفاضة في البيان والتصوير ، قد ينتهي به أحياناً إلى شيء من المبالغة والخروج من طبيعة الموقف والمراقب المحايد ، إلى حدة الاحساس والشعور . وسبق للأستاذ أن أشار إلى قصة وحيدة من المجموعة الأولى لجأ الكاتب فيها إلى هذا الأسلوب من المبالغة في وصف إحساس الراوي ببرد الليل وصقيعه ووحشته التي لم يأنس فيها إليه الا بعض القطط والكلاب . فهو يخرج في هذه القصة عن أسلوبه الهادىء المحايد ليلح إلحاحاً ظاهراً على تأكيد إحساس الشخصية بمعنى من المعاني ، من خلال ركائز لغوية وأسلوبية مكررة مسرفة في دلالتها على المعنى . وقصة : **«في الليل الصقيع»** نموذج فريد لهذا الأسلوب البياني المغرق في التعبير عن الذاتية . وفي تصويره للوحشة يدور حول كلمة الصقيع ومشتقاتها ومرادفاتها على نحو مسرف



د. عبدالقادر القط

في «رشق السكين» أباح المخزنجي لنفسه مزيداً من البيان والتصوير



محمد المخزنجي

يحول الوحشة النفسية الباردة إلى محض برودة مادية ، ويحبس الأسلوب في دائرة ضيقة من التعبيرات المحدودة . ولعل هذا الإسراف في الوصف المادي لبرد الليل قد وجه القصة إلى نهاية غير متوقعة . وفي المجموعة الثانية نظير لهذا الأسلوب في قصة : «الجانب الآخر» .

الصور البيانية

وتجيء التفصيلات وحدة الأحاسيس في بعض قصص **المخزنجي** ـ كما يقول الأستاذ ـ في صورة مقاطع شبيهة بمقاطع القصيدة ، تربط أحياناً بين بداية القصة ونهايتها وتكسبها «تصميماً» فنياً ظاهراً ، أو تسوق صوراً متعددة مشتركة في الدلالة لتنبىء عن المعنى الكلي للقصة أحياناً أخرى . وتبدو تجسيم الحركة المادية امتداداً للقطات التصوير التي شهدناها في بعض قصصه السابقة ، ويستخدم فيها الكاتب ـ كما استخدم من قبل ـ أداة التنبيه والضمير واسم الاشارة ـ هاهوذا ـ ليشد انتباه القارىء أو «المشاهد» ويحوله إلى المشهد المختار . ولعلنا نلاحظ في قصة **«رشق السكين»** كيف تتشابه الجمل في بناء بداياتها ، وكيف يختمها للراوي بفعل مضارع متأخر ليكسبها جميعاً ايقاعاً متماثلاً : «مازال في المقابر يكمن .. مازال تحت الشجرة يدور .. مازال بي يتربص» . وحين يتدرب الصبي على رماية السكين نحو جذع شجرة العنب ، يستحضر صور أعدائه الثلاثة على هذا النحو من التركيب البياني في مقاطع ثلاثة . وقد نلحظ أيضاً انسياق الكاتب وراء الصور البيانية في ختام القصة انسياقاً يدفعه إلى التصريح بمعناها الكلي في غير ضرورة ، على حين كان ينبغي أن يقف عند المقطع قبل الأخير . وفي قصة **«سفر الشجر»** نموذج آخر لقصة «المقاطع الشعرية» ـ ان صح التعبير ـ و«التصميم فيها أكثر وضوحاً ، وصورها المتخيلة قائمة على اختيار الألفاظ ونسق الأسلوب وترتيب المقاطع . ويعبر الكاتب عن كل صورة في مقطع صغير ينتهي بنهاية ذات بناء لغوي متميز كأنه **«الإيقاع»** أو **«اللازمة»** . ويصادف قارىء المجموعة الثانية بعض «لوازم» أسلوبية لعلها جاءت نتيجة تلك النقلة اليسيرة من الأقصوصة المحكمة إلى القصة التي تقف وسطاً بين القصة البالغة القصر والقصة في طولها المعهود . من تلك «اللوازم» ربطه بعض جوانب الحدث بقوله : «ثم أن» وهو أسلوب معروف في السير الشعبية التي يغلب عليها سرد الوقائع والأحداث . ويحاول فيها أن يثير فضول السامع بتهيئته لتلقى جانب جديد من جوانب الحدث . لكن قصص **المخزنجي** ـ بالرغم من طولها النسبي ـ ليست قصة حادثة على هذا النحو . ومن الظواهر الأسلوبية إستخدامه «قد» و«لقد» في مقام لايراد به التحقيق فيضفي على القصة صفة الخبر والتقرير .

القصة المألوفة

وفي مجموعته الثالثة : **«الموت يضحك»** يدخل عالماً جديداً من عوالم القصة شبيهاً بالقصة القصيرة المألوفة ، في طبيعة التجربة والفن ، فلم تعد التجربة لقطة مفردة مركزة . ولم يعد الراوي مراقباً أو راصداً أو مجرباً ، بل أصبحت الحياة نفسها بصراعاتها وتناقضاتها وتعدد أشخاصها تشد بصر الراوي ووجدانه وفكره إليها . وتفرض عليه صوره المركبة الممتدة التي قد تتضمن معنىً كلياً ، لكنه يجيء في ثنايا كثير من المشاهد والمواقف والأحاديث الصغيرة والخلفيات الاجماعية والطبيعية ، تتضمن بدورها

كثيراً من المعاني والدلالات والرموز . ويدل أن كانت عدسة الراوي «تجمد» المشهد ليسهل الاقتراب منه والوقوف عنده وقفة الدارس ، أصبحت المشاهد أكثر حركة في إطار أرحب بكثير من منضدة المعمل ، أو فراش العنبر ، أو سطح «الغلاية» الساخن ، وينكر المؤلف في كلمة كتبها على غلاف المجموعة أنه قد انتقل بها من مرحلة القصة القصيرة جداً إلى مرحلة جديدة ، ويرى أن «هذه القصص الأميل إلى الطول هي طبقة من طبقات الصوت القصصي الذي لا ينبغي أن يكون أحادي النبرة ، بل ينبغي أن يكون قادراً على الانتقال بين النغمات إذا تطلب الأمر ذلك» .

أما أستاذنا **الدكتور القط** فيرى أن عبارته الأخيرة ذات دلالة غائمة ، ومع ذلك فإنها قد تعني أنه لا يفرق بين هذين اللونين من القصص إلا بمقدار ما يكون في أحدهما من «احادية» الشخصية أو الموقف ، وما في أحدهما من تعدد . لكن الحق - عند القارىء الدارس - أن هذه المجموعة مرحلة متميزة كل التميز في صورتها الفنية ، وإن ظلت ترتبط في بعض جوانب التجربة بقصص المجموعتين الأوليين . وأن الكاتب قد تحول فيها إلى كتابة القصة القصيرة في صورتها المألوفة ، وإن ظل له - كما ينبغي لأي كاتب موهوب - تفرده الملحوظ داخل ذلك الإطار الفني العام .

بين الفكر والشعور

وتفرض القضية الفكرية والشعورية والبيانية نفسها على القارىء بقصة : «**البلاد البعيدة**» ، إذ تختلط فيها مشاعر الصبي وطريقته في التعبير ، بتحليل الكاتب ووصفه وأسلوبه ، اختلاطاً يبدو أحياناً في معجم الفقرة الواحدة وبنائها اللغوي ومستوى الاحساس والفكر فيها . وتبدأ القصة بمقطوعة وصفية تمتزج فيها المشاهد الطبيعية واللحظات الزمنية بالمشاعر النفسية في أسلوب «رصين» فيه لمسات شعرية لا يمكن أن تكون من صنع صبي صغير . ثم يبدأ الاختلاط بين المستويات التعبيرية واللغوية والمعرفية ، فتضم الجملة أو الفقرة ألفاظاً يريد الكاتب بها أن يقترب من طبيعة الطفولة ، وأخرى لا تكون إلا لكاتب على قدر كبير من المعرفة باللغة وبألفاظها وأبنيتها . ومن ثم يكثر التفاوت الشعوري واللغوي بين أجزاء كثيرة من القصة ، فتبدو المفارقة البينة في مستوى الشعور والبيان . ويدرك القارىء أن للقصة - في الحقيقة - راويين يفترقان ويمتزجان بلا نظام مرسوم . وقد جاءت هذه المفارقات لأن الكاتب يؤثر في أغلب قصصه أن يرويها بضمير المتكلم . وهي طريقة لها ميزاتها المعروفة ، وفيها أيضا عثراتها . ولا بأس أن «يترجم» الكاتب عن إحساس الشخصية وتفكيرها ويعبر لها بأسلوبه الخاص . لكن المزاوجة بين المستويين بلا نظام مرسوم تصيب القارىء بكثير من القلق . والطريف أن الكاتب بمقدار ما كان حريصاً في أقاصيصه على الاقتضاب والإحكام يجنح هنا إلى الإفاضة والإطالة و«التفريع» فيسوق كثيراً من النقد الاجتماعي والنفسي - على لسان الصبي - لمظاهر من نظام العيش والسلوك التي ضاق بها وفر منها إلى البلاد البعيدة . وهو نقد - وإن اتصل في أغلبه بحياة الطفولة وصلتها بعالم الكبار - يقوم على وعي نفسي وأخلاقي واجتماعي لا يمكن أن ينبع من الممارسة وحدها ، بل لابد أن يكون وراءه قدر كبير من الثقافة والفكر والمقدرة على البيان[٥] .

الابداع .. والأسلوب

وقضية الأسلوب البياني وعلاقته بالإبداع الفني تشغل **الدكتور القط** شاعراً وناقداً منذ أمد بعيد . وقد أثار هذه القضية عام ١٩٥٨م عندما نشر قصيدته : «**انطلاق**» فعلق عليها **محمود أمين العالم** في باب : «**قرات العدد الماضي من الآداب**» قائلاً : «الدكتور عبد القادر القط يتمسك بالصياغة التقليدية ، بالبيتية


محمود أمين العالم

المقفلة ، والرتابة في عدد أبيات المقطوعة الشعرية ،، مما يجعل لبلاغته طبيعة زخرفية تفقد الكثير من صوره الرائعة حيويتها الدافقة . إن الطاقة الشعرية الكبيرة للدكتور القط يتنازعها عاملان : الأول حيرته في تحديد موقف إنساني واضح ، والثاني صياغته التقريرية التي تثقلها بلاغة زخرفية . ولكنه شاعر متمكن حقاً من تعبيره وصوره البلاغية التي يبرز بها وجدانه القلق الملول» .

وفي مجال الرد على هذا النقد استنكر **الدكتور القط** أن تكون البيتية المغلقة والرتابة في عدد أبيات المقطوعة داعياً إلى الزخرف : «أفهم أن يكون ذلك في بعض الأحيان حائلاً دون التعبير المتكامل إذا لم يكن الشاعر متمكناً من لغته ، صادقاً في أدائه . اما أن يكون سبيلاً إلى الزخرف فأمر غير مفهوم» . ثم يبين قيمة الزخرفة قائلاً : «على أن الزخرف في ذاته ليس عيباً إذا كان هدفه إبراز إحساس الشاعر في صورة قوية مؤثرة . ونحن نلجأ إليه في حديثنا العادي - غير واعين - كلما انفعلنا بما نقول أو أردنا تأكيد ما يجول في نفوسنا من خواطر . أما إذا كان الزخرف تغطية لضحالة الاحساس أو تفاهة الموضوع فذلك عيب لاشك فيه» . ومع ذلك فإنه لا ينكر جمال البساطة بل يدعو لها ، لكن «البساطة مع جمالها لا تصلح للتعبير عن كل الأحاسيس والصور ، فهناك موضوعات لابد للشاعر أن يستعين فيها بشيء من الخيال الجامح ، والتعبير المنمق ، ليبرزها في أسلوب قوي مؤثر . ويرى أن أصحاب **المدرسة الجديدة** من الشعراء يغلون غلواً كبيراً في هذه البساطة» فيجيء شعرهم في كثير من الأحيان غير قادر على النفاذ والتأثير . والدعوة إلى البساطة المفرطة - في نظره - وليدة الرغبة في أن يكون «**الشعر المكافح**» مفهوماً عند أكبر عدد من القراء . وهي رغبة يحمدها لهؤلاء النقاد ، ولكن الشاعر - مع ذلك - لا حيلة له في هذه المشكلة مادام يكتب بلغة لا يحسنها كثير من القراء «فهو لكي يكتب شعراً ناجحاً لابد أن يستغل كل إمكانيات اللغة التي يكتب بها ، وموهبته وثقافته هما اللتان تحددان موقفه من بعض الأساليب والألفاظ»[٦] .

> لكي يكتب الشاعر شعرًا ناجحًا لابد أن يستغل الإمكانات المبهرة للغة التي يكتب بها ..

لغة الشعر

وقبل الصياغة الزخرفية يأتي **الاهتمام اليقظ باللغة** ، باعتبارها البنية الأساسية في أي عمل أدبي ، لا فرق في ذلك بين الشعر والنثر . وقد أثار **الدكتور القط هذه القضية في حواره مع «لجنة الشعر» بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب** . إذ رأت اللجنة في مذكرتها التي رفعها المجلس إلى **وزير الثقافة** ، أن **مجلة «الشعر»** التي يرأس تحريرها **الدكتور عبد القادر القط** «تبرز ما يسمى بالشعر الجديد بقدر ما تخفي ما يسمى بالشعر التقليدي» .. «وإنا لنعلم فداحة الخطر إذا علمنا أن فن الشعر هو الفن الوحيد الذي يجعل صياغة اللغة جزءاً من كيانه ، لأن اللغة المنتقاة هي نفسها جزء من الهدف المقصود ، كما يذهب إلى ذلك نقاد الشعر جميعاً على اختلاف مذاهبهم في التفكير وتباين مواطنهم وعصورهم حتى ليلاحظ أن أبناء اللغة ولو لم يكونوا من قراء الشعر ، يحسون الفخر دائماً بشعرائهم لانهم يحسون الصلة الوثيقة بين الشعر والعبارة المنتقاه ، دائما يدركون العلاقة القوية بين اللغة وقوتها من جهة والروح القومية من جهة أخرى . فإذا كان مجد اللغة الذي هو عماد المجد القومي ، مرهوناً بفن الشعر قبل أن يرتهن بأي فن آخر ، كان واجباً على رعاة الشعر في اي بلد عربي ألا

يفرطوا أقل تفريط في سلامة العبارة وصحة الصياغة لأن التبعة هنا مضاعفة ، إذ التفريط في اللغة هنا معناه تفريط مباشر في القضية الكبرى ، قضية القومية العربية الواحدة .

ويرى **الدكتور القط** أن «**لجنة الشعر**» تورد في هذا المقام «بديهية» من بديهياتها «العجيبة» فتجعل للشعر وضعا خاصاً بين فنون القول جميعاً «وكأنها اللغة في النثر شيء ثانوي لا بأس من أن يخرج على الإطار القديم لأنه غير مرتبط بمجد اللغة وكأن النثر ليس الفن القولي الذي يمارسه أغلب المواطنين بالكتابة أو القراءة ، وبذلك يكون خطره في الحياة العامة أبعد بكثير من خطر الشعر . فإذا كنا نسلِّم بحق النثر في التطور وكسر الإطار الأبدي فلماذا نريد أن يكبل الشعر بهذه القيود الخالدة ؟ ومجد اللغة الذي تتحدث عنه «**اللجنة**» ليس شيئاً جامداً محفوظاً في المعاجم ودواوين الشعر القديمة ، وإنما هو ظاهرة حضارية تنمو وتتغير بنمو الحضارة وتغيرها وتختلف مفاهيمها على مر العصور» .

بين الجديد والقديم

موقف اللجنة - كما يقول **الدكتور القط** - ليس جديداً على الشعر العربي فمن قبل قال المحافظون - كما جاء في كتاب «**الموازنة**» وغيره من كتب النقد القديم - أن **مسلم بن الوليد** أول من أفسد الشعر لأنه كان رائداً لاتجاه جديد خالف فيه مفهوم التعبير الشعري والصورة الشعرية عند القدماء . وكذلك قال **ابن الاعرابي** عن شعر **أبي تمام** «ان كان هذا شعراً فكلام العرب باطل !» وسأل ناقدان محافظان **أبا تمام** : «لِمَ تقول ما لا يفهم ؟» فأجابهما : «لم لا تفهمان ما يقال ؟» فقد نضج ذلك الاتجاه الجديد عند **أبي تمام** وأصبح رأس مدرسة شعرية معرفة قامت حولها تلك المعركة الخالدة بين القديم والجديد . ولكن شعر **أبي تمام** ظل شعراً مرموقاً في تراثنا العربي رغم قول **ابن الاعرابي** ، ولم يبطل مع ذلك ما قاله القدماء من شعر لأن لكل عصر روحه وحضارته اللتين تطبعان الشعر والفن بطابعهما . وكذلك قال **ابن بسام** عن الشاعر الأندلسي **عبادة بن ماء السماء** «وغلبت الموشحات على ذاته وذهبت بكثير من حسناته» فجعل تلك الحركة التجديدية الكبيرة عيباً يحط من قدر الشاعر . كما اتهمت حركة الجديد في الربع الأول من هذا القرن بما تتهم به الآن حركة الشعر الجديد . ومع ذلك فقد رسخت هذه الحركة لأن الظروف لم تقيض لها «**لجنة الشعر**» تسد أمامها كل أبواب النشر وأصبح أعضاء «**اللجنة**» أنفسهم يكتبون على غرارها دون أن يروا فيها إفساداً للشعر العربي أو خروجاً على القومية العربية .

ورحم الله **ابن قتيبة** الذي فطن إلى سنة التطور الخالدة منذ الف عام فقال عبارته المحكمة : «**كل قديم كان جديداً في عصره**»[7] .

الهوامش

(١) الكلمة والصورة ، المركز القومي للآداب ، ١٩٨٩م ، (من ص ١٧٣ إلى ص ١٨١) . ونشرت الدراسة لأول مرة بمجلة (ابداع) ، ابريل ١٩٨٦م .

(٢) ابداع ، سبتمبر ١٩٨٩م .

(٣) الكلمة والصورة (من ص ١٨٣ إلى ص ١٨٧) ونشرت لأول مرة بجريدة «الشرق الأوسط» ، ولم يذكر بالكتاب تاريخ النشر .

(٤) الكلمة والصورة (من ص ١٢٩ إلى ص ١٣٣) جريدة «الشرق الأوسط» في ١٦ يناير ١٩٨٦م .

(٥) الكلمة والصورة (من ص ٨٣ إلى ص ١١٨) وابداع ، فبراير ١٩٨٩م .

(٦) الآداب ، مايو ١٩٥٨م ، وتراجع أيضاً مقدمة ديوان «ذكريات شباب» الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٧م ، ص (٥٣) وما بعدها .

(٧) الثقافة ، ٢٤ نوفمبر ١٩٦٤م ، وانظر أيضاً : قضايا ومواقف ، الهيئة العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧١م ص (١٨) وما بعدها .

أنفاس الزمن

شعر : هادي الربيعي

إذا أودى بـــك الخطـــبُ العـليُّ
فـفـــوقَ الخطـــبِ والبَلـوى عـليُّ
وللـــدنيـا بما تـأتـي امـتحـــانُ
وأنـــتَ بحمـــدِهِ أبـداً قـويُّ
رأيـتُـــكَ زهــرةً والــريـحُ تـعـــوي
يـقـهـقـه فــوقـهـا الـرعـــدُ العـتيُّ
فـلـــمْ يـرهـــبْ كيـانَـكَ صـوتُ رعـــدٍ
ولـــم يخطـــرْ بمســمِعكَ الـــدوي
كـطـــودٍ يـرهـــبُ الأحـــداث عـزمـاً
يئـنُ بـصـــدرِهِ قـــلـــبٌ شـــقـيُّ
ولـلأحـــــرار عـــبر الدهـــرِ ذكـرٌ
يـطـــوفُ بـه الزمـــانُ الســرمديُّ
كـتـــابُك يـا أخـا روحـي حـــديثٌ
يـــذوبُ لوقعِـــهِ القـــلبُ العصـــيُّ
ففي عنـــوانِـهِ سحـــرٌ خـــفـيُّ
وفي أحـضــــانِـهِ لحـنٌ شـــجـيُّ

الجوانب الاقتصادية لظاهرة المخدرات

بقلم: د. محمد محمد النجار

الجريمة ظاهرة إنسانية لها أبعادها الاجتماعية والنفسية والاقتصادية والبيئية والسياسية، وتتمثل هذه الأبعاد في كونها دافعا للجريمة من ناحية أو متمخضة عنها من ناحية أخرى

وتشير تقارير هيئة الأمم المتحدة إلى ازدياد معدلات الجريمة منذ منتصف عقد الخمسينيات بمعدل حوالي ٥٪ سنويا، أي بمعدل أكبر من معدل النمو السكاني. ويحذر تقرير لجنة منع الجريمة التابعة للأمم المتحدة والصادر في عام ١٩٩٠م من أن الأرباح الهائلة غير المشروعة من الجريمة تؤدي إلى تطوير فنون الجريمة ووسائلها تبعا لتقدم وسائل الاتصالات والمواصلات وتحويل الأموال والسلع بمعدلات أسرع من تطور فنون ووسائل سلطات مكافحة الجريمة.

وقد ابتلي المجتمع الإنساني بظاهرة المخدرات (جلبا وإنتاجا واتجارا وتعاطيا) منذ عصور بعيدة حين ظن البعض أن تعاطي المخدرات قد يروّح عنه أو قد يشفيه من بعض الأمراض أو قد يهدئه أو ينشطه أو يذهب به إلى عوالم وردية يستغني بها عن واقعه البائس والتعس. ومن يومها، وكأية ظاهرة إنسانية سوية أو انحرافية، تدعمت هذه الظاهرة أو انكمشت تبعا للعوامل المنشئة والمغذية لها على المستوى المحلي والإقليمي والدولي؛ ولأن القرن العشرين ليس ككل القرون السابقة له من حيث كثافة أحداثه وزخم إنجازاته على المستوى العلمي والتقني والثقافي والحضاري والسكاني، ومن حيث وسائل الاتصال والمواصلات التي جعلت العالم قرية صغيرة ناهيك عن ثورة التطلعات التي دفعت أبناء الجنس البشري، على اختلاف قارات العالم، على التطلع إلى استهلاك منتجات العلم والتقنية والتي ألهبت وسائل الإعلام والإعلان أشواقهم إليها.

وكشأن معظم ظواهر القرن العشرين في ظل ثورة الاتصالات خاصة في النصف الثاني من هذا القرن، اكتسبت ظاهرة المخدرات بُعدًا عالميا من حيث إنتاجها وتداولها واستهلاكها والتجارة الدولية فيها وتنظيماتها وتقنياتها، والعوامل الدافعة إليها والآثار المترتبة عليها، والجهود المبذولة لاحتوائها وقاية أو علاج. ولعل خطورة هذه الظاهرة الإجرامية تتبدى في كونها جريمة منظمة على مستوى إنتاجها وجلبها والاتجار فيها تستخدم أحدث الأساليب وأكثرها تقدما تقنيا نظرا للأرباح الهائلة المترتبة عليها. ثم إنها من خلال نفوذ المهيمنين عليها وسلطانهم وقوتهم ومالهم يمكن أن تخترق كل شيء بما فيها الأجهزة المنوط بها مكافحتها. ليس هذا فقط وإنما تحدّي أنظمة الحكم أحيانا إذا ما أدركت أنها تعوق نشاطها الإجرامي.

وبقدر ما ترتبط بعض الجرائم بطبقة أو فئة اجتماعية معينة أو بشريحة عمرية معينة أو بظروف معيشية معينة **فإن جريمة تعاطي المخدرات في العالم امتدت إلى أعمار لم يكن مألوفا قبل ذلك أن توقعها في شباكها، وإلى فئات اجتماعية موسرة وفقيرة،** في النوادي الاجتماعية للموسرين، وفي مساكن علب الصفيح على حواف المدن، في فئة العمال وفي فئة أصحاب الياقات البيضاء، إلى المتعطلين والصعاليك، وإلى صفوة التجار والوسطاء ونجوم الفن. والاقتصاديون في تعاملهم مع المخدرات كظاهرة ترتبط بسلعة لا يبحثون في تجريمها من عدمه أو في كونها منافية للأخلاق السوية أو تمثل عصيانا لأوامر الدين بقدر ما يهتمون بالعوامل الاقتصادية المرتبطة بها كإنتاجها وعرضها وتداولها واستهلاكها والتجارة الداخلية والخارجية فيها. . والعوامل الاقتصادية المؤدية إليها والمترتبة عليها، وتكلفة هذه الجريمة من وجهة نظر الجاني (منتجا أو جالبا أو تاجرا أو مستهلكًا) ومن وجهة نظر المجتمع، ناهيك عن ارتباطها بنظم اقتصادية واجتماعية وسياسية معنية تتيح لها مناخا مواتيا لظهورها وتناميها.

إنتاج وعرض المخدرات

تتنوع المخدرات كسلعة منتجة ما بين الحشيش والأفيون والهيروين والكوكايين والقات والحبوب الدوائية أو المواد التخليقية. وليست كل بلاد العالم منتجة للمخدرات سواء على مستوى زراعة النباتات المنتجة لها أو الصناعات المخلقة لها. ولئن كان الكثير من بلاد العالم يعرف زراعة أشجار النباتات المنتجة للمخدرات كسلوك إجرامي خفي يغيب عن أعين سلطات مكافحة المخدرات، إلا أن هناك دولا ومناطق معينة في العالم تتخصص في إنتاج المخدرات مثل لبنان وباكستان والهند والمغرب وأفغانستان في إنتاج الحشيش، وبورما وأفغانستان وتايلاند في إنتاج المورفين، وأفغانستان وتايلاند والهند في إنتاج الهيروين، وكولومبيا وبيرو في إنتاج الكوكايين.

وترتبط قضية إنتاج المخدرات كإنتاج أية سلعة بالحافز على الإنتاج والطلب المتوقع ونفقة الإنتاج وطبيعة النظام الاقتصادي القائم وطبيعة التنظيم الإنتاجي. فالحافز القوي على إنتاج المخدرات يتمثل في الأرباح الهائلة المتحققة من إنتاجها حيث الفارق الكبير بين إيراداتها ونفقاتها، فإيراداتها الكبيرة تتأتى من خلال ثمنها المرتفع نظرا للطبيعة الاحتكارية لإنتاجها من ناحية وعدم أو ضعف مرونة الطلب عليها من جانب مستهلكيها، فارتفاع أثمانها لا يدفعهم إلى تنكب الطريق إلى

المخـدرات والانصراف عنها بقـدر ما يـدفعهم إلى تنـويع مسلّتهم الاستهـلاكية من المخـدرات تبعـا لاختلاف أثمانها النسبية من نـاحية ودرجة الميل إلى صنف معين من هـذه السلعة دون غيره من نـاحية أخـرى . أمـا نفقـات إنتـاجهـا فشأنها شأن السلع الزراعية الأخرى اللهم إلا في درجة المخاطرة الكبيرة المرتبطة بإنتاجها والتي تتوقف على البيئة الاجتماعية والأمنية . وهذه المخاطر باختلاف درجاتها تتطلب نفقـات حراسـة واستطـلاع ، فضلا عن النفقـات المخصصـة لاختراق أجهـزة مكـافحـة المخـدرات وإفسـاد ذمم القائمين على أمرهـا والعاملين فيهـا ويمكن القـول بأن نمط الإنتـاج الـرأسمالي يـرتبط ارتباطـا عضويـا بظاهـرة المخدرات ، فـالإنتاج في النظـام الرأسمالي للسـوق ، يلبي طلب المستهلكين أي رغباتهم المرتبطة بـالقدرة على دفع الثمن بصرف النظـر عن أهميـة الحاجـة أو الـرغبـة وضرورتها أو كمالياتها وسوائها أو انحرافهـا واحترامها للقانون أو تجاوزهـا لـه ومـوافقتها للشرع أو ابتعـادهـا عنـه ، والإنتـاج في النظام الـرأسمالي دافعـة تحقيق أقصى ربح ممكن . وهكذا فسلعة كسلعة المخدرات تحقق أرباحا هائلة وتقـابل ميلا من بعض الأفراد نحوها مرتبطًا بالقدرة على دفع قيمتها يدفعا إلى إنتاجها من ناحية ، والاتجار فيها عبر حلقات الوساطة المختلفة من نـاحية أخـرى ، وطلبها من نـاحية ثـالثة . وفي إطار الحديث عـن إنتاج المخدرات يـذهب بعض الخبراء إلى أن التسعينيـــات قـــد تصبح «عقـــد الهيروين» بعـــد أن كـــانت الثمانينيـــات «عقـــد الكوكايين» ويدللـون على هذا بأن مساحة الأراضي المزروعـة بـالخشخـاش في كولـومبيا والمقـدرة بعشرة آلاف هكتـار يمكن أن تزيـد إلى مائة ألف هكتـار سنويا في الأعـوام القادمة بما يعد تحولا جـذريا من الكوكايين إلى الهيروين حيث إن الأول أقل ربحا من الثاني ، فالكيلوجرام من الكوكايين يباع في الولايات المتحـدة الأمـريكيـة بما يتراوح بين ٢٢ ــ ٢٣ ألف دولار في حين أن الكيلـوجـرام من الهيروين يصل ثمنه إلى (١٥٥) ألف دولار .

وجدير بـالذكر أنه في دولـة «بيرو» إحدى دول أمريكا اللاتينية يـزرع حوالي ٦٠٪ من نبات الكوكا الذي يستخرج منـه الكوكايين في العالم . وقـد ذكر المكتب القومي الأمـريكي لمكافحـة المخدرات بأن دول أمريكا اللاتينية أنتجت ٧٠٠ مليون طن متري من الكوكـايين عام ١٩٩٠م استهلك الأمـريكيون في الولايات المتحدة الأمريكية ٧٠٪ منها .

وتمثل دول أمريكـا اللاتينية بيئة مـواتية لإنتاج المخدرات والاتجار فيهـا واستهلاكها نظـرا لنظمها السياسية الهشة والتـي تتراوح في هذا الصدد ما بين نظم متحالفة مع منظمات إنتاج المخدرات والاتجار فيهـا أو نظـم تغض الطـرف عن هـــذه الأنشطـة الإجـراميـة ، بل إن الأمر وصل إلى حـد أن يتـورط «نوريجا» رئيس بنما السابق في هذه التجارة الآثمة .

„ البناء الاجتماعي غير المتماسك في بعض الدول الغربية دفعها إلى قبول ظواهر الإجرام .. "

ولعل البناء الاجتماعـي المضطرب وغير المتماسك في الكثير من دول أمريكا اللاتينية قد دفع هذه الدول إلى قبول هـذه الظواهـر الإجراميـة والتعايـش معها وعدم التصـدي لها ، بل إلى حد تصعيـد كبار تجار ومنتجي المخدرات إلى المجالس التشريعية ليكتمل استحكام حلقـات الظاهرة عبر الحصـانة النيـابية لهؤلاء ، وعبر جيـــوش هي في معظم هـذه الـــدول أقـرب إلى العصـابـــات المسلحـة ، وعبر قيـادات سياسية تنفيذية ، وتشريعية ضالعة في هذا السلوك الإجرامي أو متواطئة معه . ووصل جبروت تنظيمات إنتـــاج المخدرات والاتجار فيهـــا إلى حـد وجـــود تنظيمات مسلحة لديها قادرة حتى على تحدي سلطة الدولة واختراق معظم أجهزتها بل ومحاربتها إذا لزم الأمر كما حدث في كولومبيا .

استهلاك المخدرات

يستهلك الإنســـان السلعـة أو الخدمـــة لأنها تحقق لـه منفعة أو إشباعـا من وجهـة نظره بصرف النظر عن تقـدير الآخرين لهذه المتعة وهـو يوازن في هذا الصـدد بين الإشباع المتحقق لـه من استهلاك الوحدات المختلفة من هذه السلعة أو تلك الخدمة وبين الألم الذي يتحملـه ممثلا في الإنفـاق على هذا الاستهـلاك ، أي في ثمن الـوحـدات المستهلكـة . ويتوقف الاستهلاك من سلعة أو خدمة على عوامل عديـدة منها الدخل والثروة وثمن السلعـة وأهميتها لدى المستهلك ، ووجود سلع منافسة لهذه السلعة في استهـلاكها أو مكملـة لها ، وأثمان هـذه السلع المنـافســة أو المكملـة . وفي سلعـة كـالمخـدرات بمختلف أنـــواعهـــا يتمثل إشبـــاع المستهلك (المتعـاطي أو المدمن) فيما يتصوره من آثـار لها على تحسن حالته المزاجية أو تهدئته أو تنشيطه أو علاجه من بعض الأمراض أو زيـادة نشاطه الجنسي . ومع زيادة الدخل أو الثروة يزداد إمكان الاستهلاك من المخدرات بيد أن مرونة الاستهلاك السعرية أي تغير عدد الوحدات المستهلكة بالنقص من جراء ارتفاع الأسعار هي مرونة ضعيفة أو منعدمة خاصة للذي وصل إلى مرحلـة إدمان المخـدر، إذ إنه لا يستطيع الفكاك من تأثيره ولا يملك أن يوقف استهلاكه أو يقلله إذا ما ارتفع سعره .

وإذا كانت المرونة السعـرية للمخدرات ككل ضعيفة أو منعـدمة إلا أنها ليست كذلك لأنـواعها المختلفة ، إذ إن ارتفـاع ثمن أحد أنـواع المخدرات بالنسبـة للأنـواع الأخرى قد يـدفع المستهلكين من أصحـاب الدخـول المتـوسطة إلى التخلي عن هـذا النـــوع أو الصنف واستبـــدال غيره من أصنـــاف المخدرات الأخرى به .

التجارة في المخدرات

تمثل تجارة المخدرات سواء على المستوى المحلي أو الدولي نشاطا اقتصـاديا رائجا بغض النظر عن إثمه أو أضراره بـالنشاطـات الاقتصاديـة المنتجة . ورواج مثل هذه التجـارة والأرباح الهائلـة المتحققة من ممارستها يتأتى من خـلال التفاوت الشاسع بين تكلفة إنتـاجها وثمن بيعها من منتجها من نـاحية وبين ثمن بيعهـا لمستهلكهـا النهـائي من نـاحيـة أخـرى ، إذ إن هـذا الفـارق الكبير يسمح بتعـدد حلقات الوساطـة بين المنتج والمستهلك النهائي مما يـوفر مكـاسب عـديـدة لأفـراد وتنظيمات عديـدة ضـالعـة في هذا السلـوك الإجـرامي ، ويمكن من الإنفاق على هذه التجارة الآثمة بغير حدود أو قيود ما دامت هنـاك إمكانية مؤكدة لتعـويض كل هذه البنـود الإنفـاقية في ظل ضعـف أو انعدام مـرونـة استهلاك أو تعاطي المخدرات .

وترتبط التجارة الداخلية للمخدرات بالتجارة الخارجية عبر تنظيمات إجرامية تستخدم أحدث الأساليب والوسائل التقنية والعلمية في ممارسة عملياتها وفي اجتياز حدود الدول واختراق أجهزتها الأمنية. وترتبط هذه التجارة بحركات كبيرة لرؤوس الأموال عبر الدول والمصارف المحلية والدولية. ثم إنها ترتبط على المستوى المحلي والإقليمي والدولي بتجارة الأسلحة والممنوعات وبأنواع أخرى من الجرائم المنظمة وغير المنظمة. وتمثل هذه التجارة أحد جوانب الاقتصاد الخفي، ومن ثم فإن تيارات الإنفاق عليها لا يتم تضمينها في الحسابات القومية أو التوقع بمسارها مما يعرقل إمكانية التعرف الحقيقي على كل التدفقات النقدية والسلعية في الاقتصاد القومي.

تكلفة ظاهرة المخدرات

تحمل هذه الظاهرة الاقتصاديات الوطنية أعباء كبيرة تتمثل في النفقات التي تتحملها الدولة في مكافحة هذه الجريمة والوقاية منها وعلاجها وتتوقف هذه النفقات على مستوى النشاط الإجرامي من ناحية ومستوى مكافحة الجريمة والوقاية منها من ناحية أخرى. ومن المؤسف أن الدول النامية (المتخلفة) التي تعاني من قصور مواردها وانخفاض مستويات المعيشة بها تضطر إلى تخصيص جزء من هذه الموارد المحدودة للإنفاق على مكافحة هذه الجريمة والوقاية منها وعلاجها بدلا من استخدام هذه الموارد في مجالات أهم فيما لو كانت مثل هذه الظواهر منتفية أو محدودة النطاق.

ولعل جزءًا من التكلفة التي تتحملها المجتمعات من جراء مثل هذه الظاهرة تتمثل في تكلفة الفرصة البديلة، أي في البديل الآخر إن لم يكن ثمة أفراد وتنظيمات إجرامية في المجتمع منخرطة في عمليات إنتاج المخدرات أو جلبها أو الاتجار فيها أو استهلاكها، وبممارستهم أنشطة إنتاجية سلعية أو خدمية تساهم في إحداث عملية تنمية حقيقية من جهة وتستمر مهاراتهم ومواردهم وكفاءاتهم فيما هو أنفع وأجدى. وهكذا فمثل هذه الظاهرة تبدد جزءًا من موارد المجتمع في الإنفاق الوقائي والعقابي والعلاجي لها من ناحية، وتضيع على المجتمع إنتاجية المنخرطين في هذه الظاهرة الإجرامية فيما لو كانت جهودهم موجهة صوب مجالات إنتاجية سلعية وخدمية أجدى من ناحية أخرى.

أما على مستوى الفرد فتتمثل تكلفة هذه الظاهرة الإجرامية في الإنفاق المخصص للحراسة أو الاستطلاع أو تجنب الوقوع في قبضة القانون أو شراء الأسلحة والإنفاق في إطار كون الفرد مستهلكا فقط غيره في إطار كونه منتجا أو جالبا أو تاجرا وباستخدام أدوات التحليل الاقتصادي فإنه يتوقع أن الفرد يقترف الجريمة إذا كانت منفعة الجريمة التي تؤول إليه (في صورة الإشباع الذي يتحقق له كمستهلك أو الأرباح المتحققة له كمنتج أو جالب أو تاجر) تفوق تكلفة الفرصة البديلة من وقت وموارد لأنشطته الأخرى.

وهكذا يتحدد مستوى نشاط هذه الظاهرة الإجرامية بتفاعل قوى عرض الجريمة وقوى منعها، أي تتأثر معدلات الجريمة باحتمالات القبض على الجناة ومعاقبتهم وهي متغيرات مانعة للجريمة والعوائد المتحققة منها ــ إنتاجا أو اتجارا أو استهلاكا ـ وتعتبر متغيرات دافعة للجريمة.

وثمة اتجاه يرى أن معدلات الجريمة تتأثر بمدى إمكان الكشف عنها أكثر من تأثرها بالعقوبة، ذلك أن المنفعة الحدية المتوقعة من الجريمة تتغير تبعا لتغير مقدار المخاطرة الناتج عن زيادة احتمالات القبض على الجناة. ومن ثم فإن زيادة احتمالات القبض على الجناة تؤدي إلى تخفيض معدل الجريمة نظرا لاتصاف الجناة بالمخاطرة وتوقف المخاطرة على درجة احتمال كشف الجريمة. وهكذا كلما زاد احتمال القبض على الجناة وإدانتهم ومعاقبتهم انخفض مستوى النشاط الإجرامي، وبافتراض ثبات المتغيرات الأخرى على حالها وكذلك افتراض ثبات العقوبة في الفترة القصيرة يكون العامل الأساسي المحدد لمستوى النشاط الإجرامي هو احتمال القبض على الجناة وهذا يتوقف بدوره على كفاءة الشرطة في القبض على الجناة وإدانتهم. ومن هنا فإن عرض جريمة المخدرات في ظل وجود الشرطة وارتفاع كفاءتها يختلف عنه في ظل غيابها أو تقاعسها وذلك بافتراض ثبات العوامل الأخرى على حالها.

ويتوقف احتمال ضبط الجريمة على عدد قوات الشرطة وتجهيزاتها ومعدل الجريمة والحذر الذي يبديه المجرم لتجنب القبض عليه.

ويختلف تأثير العقوبات في ردع الجريمة تبعا لوقع تكلفة العقوبة على عوائد الجريمة ويتوقع أن تتغير معدلات الجريمة في الاتجاه العكس لدرجة شدة وصرامة العقوبة. وإذا كانت العقوبة الصارمة تثني المجرم عن عزمه قبل التورط في الجريمة فإن احتمالات كشفها قد تدفعه إلى أخذ رد فعل عنيف لتجنب القبض عليه. وتعد العقوبة الأكثر صرامة أكثر مخاطرة وتكلفة على المجتمع وعلى الشرطة. ومن هنا فإن العقوبة المثلى يتعين أن تأخذ في حسبانها التكلفة الاجتماعية نظرا لأن المجتمع يمول نفقات تطبيق العقوبات على المذنبين (مثل تكاليف الحراسة والإصلاح وإعادة التأهيل والتغذية والرعاية الصحية والاجتماعية ومخصصات إهلاك وصيانة مباني ومعدات السجون مطروحا منها عوائد تشغيل المسجونين في المشروعات الإنتاجية).

وهكذا تناولنا اقتصاديات ظاهرة المخدرات إنتاجا وتجارة واستهلاكاً وتكلفة على مستوى الفرد والمجتمع. ويبقى أن نشير إلى أن ثمة عوامل اقتصادية تساهم مع غيرها من العوامل الاجتماعية والبيئية والنفسية والسياسية في وجود هذه الظاهرة وتناميها، منها فترات التقلبات الاقتصادية، فالرواج وإن كان يحد من بعض الجرائم إلا أنه في ظل سيادة القيم الاجتماعية السلبية، وتفشي حمى الاستهلاك وسيادة قيمة الاقتناء على حساب قيمة العمل قد يدفع إلى انتشار ظاهرة المخدرات. والبطالة كمصدر للقلاقل الاجتماعية والسياسية قد تحدث انخفاضا حادا غير متوقع في دخل الشخص المتعطل تحرمه من إشباع كل أو بعض حاجاته الأساسية مما يكون سببا محتملا ـ مع ظروف نفسية

> ”ظاهرة المخدرات هي علاقة بين مورد بشري ونظام اجتماعي، ومعدلات جريمتها تتأثر بمدى إمكان الكشف عنها أكثر من تأثرها بالعقوبة..“

واجتماعية معينة ـ في تفسخ الموانع الذاتية ودفع الشخص المتعطل إلى الانخراط في جماعات مرجعية منحرفة توقعه في هوة المخدرات. ومصدر الدخل أو الثروة يساهم في هذا الشأن بدور هام، فالدخل غير الشرعي المترتب على تجاوز القانون أو اختراق الأجهزة القائمة عليه أو ممارسة صور الفساد كالرشوة والاختلاس أو امتهان مهن غير شريفة ومتدنية خلقيا سيجد مسلكه الطبيعي في استهلاك المخدرات أو الاتجار بها.

وثمة عوامل أخرى عديدة في هذا الصدد، منها المستوى التعليمي والثقافي ونمط القيم السائدة ومدى إيجابيتها وطبيعة العمل يدويا كان أم ذهنيا وعدد ساعاته وطبيعة المرحلة العمرية ونمط الجماعات المرجعية وموقع السكن وكيفية قضاء أوقات الفراغ (النادي ـ المقهى . . . الخ) ونمط الزوجة ودرجة تطلعاتها والنظرة إلى المستقبل والإطمئنان إليه من عدمه، ودرجة الرضاء المهني والحياتي والأسري، والقيم الدينية ودرجة تمثلها والتزامها والوشائج الاجتماعية القوية واستقرار السياسات الاقتصادية والاجتماعية.

ويبقى أن ظاهرة المخدرات في عقول الاقتصاديين هي تفاعل بين قوى عرض وقوى طلب، حيث دافع العرض والإنتاج هو الربح الكبير ودافع الاستهلاك هو الإشباع المتصور من المخدرات من وجهة نظر متعاطيها. . وما دام الربح وفيرا للمنتجين والتجار، وما دامت المنفعة أو الإشباع متصورة أو قائمة في نفوس المستهلكين (المتعاطين) فالظاهرة قائمة. واتساع هذه الظاهرة أو تقلصها يتوقف على انكماش الطلب من جانب المستهلكين وانتفاء الحافز على إنتاجه والاتجار فيه من جانب المنتجين والتجار.

ثم إن ظاهرة المخدرات هي في التحليل النهائي علاقة بين مورد بشرى ونظام اجتماعي، ففي ظل نظام اجتماعي يتيح للفرد أن يكون منتجا تتقلص هذه الظاهرة أو تنتفي، وفي ظل نظام اجتماعي لا يحسن الاستفادة من موارده البشرية في عملية تنمية جادة ويحول طاقاته الإنتاجية إلى غيلان استهلاكية تجد ظاهرة المخدرات مناخ نشأتها وتناميها.

○ ○

الطبيبة

شعر: فوزي الرفاعي

وقصدتها وأنا أظن	شفاء قلبي في يديها
فهي الطبيبة كل ما	في القلب لا يخفى عليها
ودفعت أجر الفحص ثم	جلست أرقب من لديها
حتى إذا فرغت أتتني	وهي تبسط ساعديها
قالت تفضل ما الذي	تشكو؟ وقادتني إليها
فإذا بها حسناء ترسل	أسهما من مقلتيها
وإذا بها ياويح قلبي	سحرها في ناظريها
ترمي النبال على القلوب	فترتمي صرعى عليها
شقراء ربي قد حباها	الحسن والوجه البهيّا
قلبي الضعيف لدى رؤاها	بات خفاقاً غويّا
ما هذه تشفي القلوب	تعيدني رجلاً سوياً
بل إنها ستزيدني	عللاً وتجعلني شقيا
فنهضت قالت ما بدا	لك أين تذهب، قف مليا
فأجبت طبك ليس ينفع	والشفاء غدا عصيا
فجمالك الفتان يشغل	بالهوى قلباً خليا
حسناء مثلك ليس يشفي	القلب بل يشويه شيا

www.ahlaltareekh.com

الإعداد العِلمي للمقررات المدرسيّة في اللّغة العربيّة
بين صيغة غالبة وصيغة غائبة

بقلم: د. عبدالرحمن كامل عبدالرحمن محمود

يكاد يعتمد إعداد المقررات المدرسية في اللغة العربية في أغلب البلاد النامية على الخبرة الشخصية لمؤلف أو أكثر من المختصين لغويًا، إذ يعول على حدس المؤلف في تصور ميول من يعدّ لهم المقرر اللغوي المدرسي ورغباتهم وحاجاتهم، فينطلق يُعِدّ ويكتب مؤلفاً المقرر المدرسي، ويمكن أن تسمى هذه الطريقة بـ« الطريقة الحدسية».

وبرغم تخصص القائمين بإعداد هذه المقررات وخبراتهم، فإننا «نسمع شكاوى كثيرة عن عدم ملاءمة كتب القراءة، والأدب، والتدريب على الكتابة» (١)، وفي النحو «ينبغي أن نفكر في تغيير الأساس الذي تقوم عليه دراسة القواعد النحوية، بحيث يتعلم التلميذ مايحتاج إليه فعلاً، لا مايرى النحاة أنه ضرورة لفهم الظاهرة اللغوية وتحليلها» (٢).

كما أكد بعض الباحثين ممن تدارسوا مشكلة نوعية اللغة التي تستهدف في مراحل التعليم في ضوء البحوث والتقارير التي قدمتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم على أننا نفتقر إلى دراسات علمية عن المادة اللغوية التي تناسب كل مرحلة من مراحل التعليم العام (٣).

ومن ثم يبدو لنا أن الإعداد العلمي للمقررات المدرسية في اللغة العربية يتخطى كثيراً مجرد الاعتماد على الخبرة الشخصية فقط للمؤلف أو للمؤلفين، فكم من دول بذلت جهوداً كبيرة لتطوير مقرراتها المدرسية، لكنها أخفقت، ولم تنجح في تحقيق الأهداف المنشودة؛ لأنها اعتمدت على الآراء الشخصية والارتجال، واتخاذ القرارات غير الموضوعية، وجعلت ذلك أسلوبها في التطوير.

التجريب العلمي

إنّ الذي يميز التطوير المبني على أساس علمي عن غيره من أساليب التطوير الأخرى هو التجريب العلمي. ويلاحظ أن غالبية الدول النامية نادراً ماتلجأ إلى التجريب، وحتى إذا تم التجريب، فإنه يتم بطريقة سطحية غير فعّالة (٤)، فلا يؤدي إلى تحقيق الأغراض المنشودة من المقرر المدرسي في اللغة العربية، ومن ثم تظهر الشكوى منه، وتبدو عدم مناسبته، مما يجعل كثيراً من المتخصصين ينادون - بعد فترة وجيزة من تعميمه - بضرورة تحديد مدى مناسبته في ضوء تجريب علمي، ليس سطحياً.

وقد أيدت ذلك نتائج بعض الأبحاث في طرق تدريس اللغة العربية، ومن ثم تبدو أهمية هذه المحاولة لتحديد الأسس العامة التي يقوم عليها التجريب للإعداد العلمي للمقررات المدرسية في اللغة العربية.

فإذا سلَّمنا بأن التلميذ في العالم العربي عامة بحاجة إلى أن يدرس اللغة العربية فيجب أن يوفر له مايجب أن يدرسه، وما ينبغي أن يقرأه، على أن يخضع ذلك لمحددات علمية في التجريب، تقيس مدى صلاحه لقراءته، وتعتمد على البحث في اهتماماته، وحاجاته، ومستوى مهاراته اللغوية، ودراسة الموضوعات المناسبة، وهذه الطريقة يمكن أن تسمى بالطريقة المنهجية Systematic Method

وإذا كانت الطريقة المنهجية المقترحة للإعداد العلمي للمقررات المدرسية في اللغة العربية تقوم على التجريب واستخدام الطرق الإحصائية المناسبة Statistical Methods، فإنها تأخذ أيضاً بأهمية الخبرات الشخصية للمؤلف أو للمؤلفين، لأنها ترمي إلى تحديد مدى مناسبة الموضوعات أو الأفكار اللغوية لدى التلميذ، وتحديد المشكلات التي تواجه تطبيق المقرر اللغوي وتنفيذه في أثناء تجريبه تجريباً علمياً.

وفي ضوء الأسس العامة للتجربة العلمية - بصفة عامة - تكاد تتحدد مراحل التجريب للإعداد العلمي للمقررات المدرسية في اللغة العربية - أخذاً بهذه الطريقة - فيما يأتي:

* **المرحلة الأولى**: وضع خطة عامة لتجريب المقرر اللغوي، تحدد أهدافه، وموضوعاته، ومدى استمراره، ومراحله، والقائمين به، والخاضعين له.

* **المرحلة الثانية**: اختيار عينة ممثلة Representative Sample من المدارس والفصول والأفراد، فليست أية عينة صالحة للتجريب، بل لابد من أن تكون هذه العينة ممثلة للمجتمع الذي أخذت منه، ويعرف ذلك باستخدام بعض مقاييس للدلالة Tests of Significance على مدى تمثيلها للمجتمع الذي أخذت منه مثل: تحليل التباين Analysis of Variance، وهو يفيد حينما نختار العينة التجريبية مكونة من عدة مجموعات من جهات متعددة «فإذا كان التباين بين المجموعات بعضها مع بعض لايزيد على التباين داخل المجموعات بنسبة كبيرة تجعلنا نشك في تناسق المجموعة الكلية المكونة منها، فإننا نستطيع أن نقول إن هذه المجموعات قد أخذت كعينات من مجتمع أصلي واحد، ويكون الاستنتاج الأخير سهلاً في حالة عدم دلالة الفروق بين المجموعات، لأن هذا الاستنتاج يتضمن عدم وجود فرق جوهري يميّز أي مجموعتين من مجموعات التجريب. أما إذا كان هناك فرق جوهري بين أي مجموعتين فإن تحليل التباين سيوضح أن المجموعات كلها لم تأتِ من

مجتمع أصلي واحد، وتكون نسبة (ف) ذات دلالة إحصائية» [٥].

كما يفضل حساب معاملات ثبات إحصائات العينة، ومدى الاعتماد عليها، بمعنى مامدى الثقة التي نضعها في النتائج التي نحصل عليها؟

* **المرحلة الثالثة**: تجريب المقرر اللغوي، وتشمل:

(١) تحديد اتجاهات التلميذ نحو الموضوعات أو المفردات اللغوية التي سيدرسها، بعد أن وضعها المتخصصون، ورأوا أنها ضرورية في فروع اللغة العربية، استماعاً، وكلاماً، وقراءة، وكتابة. بمعنى هل اتجاهات التلميذ نحو المفردات اللغوية التي سيدرسها الجهل؟ أم اللامبالاة؟ أم المعارضة؟.. الخ وتفيد مقاييس الاتجاهات Attitude Scales في ذلك.

(٢) برمجة الموضوعات أو المفردات اللغوية - وفقاً للاتجاهات المنشود تنميتها لدى التلميذ - في أفكار أو معلومات لغوية صغيرة، تنتهي كل منها بسؤال يجيب عنه التلميذ.

(٣) فحص وحدات المقرر اللغوي لاستبقاء ما تثبت قدرته على تحقيق أهدافه، ويتأتى هذا باستخدام اختبارات إحصائية عديدة منها [٦]:

(أ) حساب معامل السهولة في وحدات المقرر اللغوي، ومفردات الاختبارات اللغوية، فيتم تصميم جداول مناسبة، ترصد فيها نتائج استجابات التلاميذ الناتجة عن التطبيق الاستطلاعي، موضحاً فيها رقم السؤال، وعدد الإجابات الصحيحة، وعدد الإجابات الخاطئة والمتروكة، وتطبيق المعادلة:

$$\text{معامل السهولة} = \frac{\text{عدد الاجابات الصحيحة}}{\text{عدد الإجابات الصحيحة + عدد الاجابات الخاطئة}}$$

فإذا كان الناتج غير واقع في المدى من (٣ر. إلى ٨ر.) فتجب إعادة النظر في المفردات اللغوية مرة أخرى بالحذف أو بالتعديل، ثم إعادة التطبيق.

(ب) حساب معامل الصعوبة في وحدات المقرر اللغوي، ومفردات الاختبارات اللغوية بتطبيق المعادلة:

معامل الصعوبة = ١ - معامل السهولة.

(ج) حساب قدرة الوحدة اللغوية على التباين، بمعنى ما مدي قدرتها على أن تميز بين التلميذ الجيد، والتلميذ الضعيف؟ بتطبيق المعادلة:

القدرة على التباين = معامل السهولة x معامل الصعوبة

وحدد المدى المقبول للتباين إحصائياً من (٢٠ر. إلى ٢٥ر.).

(د) حساب معامل ثبات الوحدات اللغوية.

(هـ) حساب معامل الاتفاق الداخلي للوحدات اللغوية.

(و) تحديد العلاقة بين «صحة» الوحدات اللغوية وطولها.

لجان لمتابعة وتقويم المنهج اللغوي في ضوء الواقع، وتحليل الاختبارات سنوياً

* **المرحلة الرابعة**: تحليل النتائج التي يتم التوصل إليها في ضوء الأهداف التربوية المنشودة من عملية التجريب، ومناقشتها في عدة ندوات أو جلسات خاصة لتحديد ما أدت إليه من تغيير أو تعديل في المنهج اللغوي المقترح، ومناقشة التعديل الجديد.

* **المرحلة الخامسة**: إعادة التجريب مرة أو عدة مرات بعد إدخال التعديلات أو التغييرات اللازمة حتى يمكن الوصول بالمقترحات إلى أحسن صورة ممكنة.

* **المرحلة السادسة**: الاستعداد لتنفيذ المنهج اللغوي المقترح بما يأتي:

(١) إعداد المدارس وتجهيزها بما يلزم من معامل لغوية أو أجهزة وأدوات تعليمية.

(٢) عقد عدة دورات لتدريب مدرسي اللغة العربية على التدريس وفقاً للطرق والأساليب الحديثة المتضمنة في المنهج اللغوي المقترح.

* **المرحلة السابعة**: تنفيذ المنهج اللغوي المقترح.

* **المرحلة الثامنة**: متابعة وتقويم المنهج اللغوي المقترح عن طريق:

(١) تكوين عدة لجان، تكلف كل لجنة بمتابعة جانب من جوانب المنهج اللغوي في ضوء الواقع، وتتولى تحليل نتائج الاختبارات في نهاية كل فصل أو عام دراسي، حتى يمكن الاستفادة من الأخطاء الشائعة في تحسين أهداف تدريس المنهج اللغوي.

(٢) دراسة التقارير التي يُعدها الموجهون والمديرون والخبراء بعد زياراتهم الميدانية لبعض المدارس متابعةً وتقويماً للمنهج اللغوي باستمرار.

الهوامش

(١) أحمد محمد عيسى - «أنماط الجملة الشائعة في اللغة الشفوية لتلاميذ الصفوف الثلاثة الأخيرة من الحلقة الأولى من التعليم الأساسي. ومقارنتها بأنماط الجملة في كتب القراءة - رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة عين شمس: كليه التربية، ١٩٨٥م) ص ٣.

(٢) محمود رشدي خاطر وآخران: الاتجاهات الحديثة في تعليم اللغة العربية والتربية الدينية، (القاهرة - مطابع سجل العرب - ١٩٨٤م) ص ١٨٠.

(٣) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، حلقة العناية بالثقافة القومية للطفل العربي، التقرير النهائي والتوصيات (القاهرة - دار الهنا للطباعة، ١٩٧٠م)، ص ٣٠٩.

(٤) حلمي أحمد الوكيل وحسين بشير محمود - الاتجاهات الحديثة في تخطيط وتطوير مناهج المرحلة الأولى (القاهرة - مطابع مجموعة مؤسسات الهلال ٨٤/ ١٩٨٥م) ص ١٤٧.

(٥) السيد محمد خيري: الإحصاء في البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية (القاهرة - دار النهضة العربية - ط ٤، ١٩٧٠م) ص ٣٩١.

(٦) المرجع السابق - ص ص ٣٧٥-٤١٤.

قراءة في دفاع آخر ملوك غرناطة

بقلم: د. عبد الرحيم يوسف الجمل

كانت القرون الثلاثة الأولى في الأندلس عهد تأسيس وازدهار للدولة الإسلامية، وما تلاها كان عهد تقويض وانحدار، ففي أواخر القرن الرابع الهجري بدأ الاختلاف بين ملوك الطوائف ودب الضعف في أوصال ملوكهم، فسقطت طليطلة (عام ٤٧٨هـ ١٠٨٥م) وأفزع سقوطها زعماء ملوك الطوائف، فالتمسوا العون من يوسف بن تاشفين زعيم المرابطين في المغرب، فعبر إليهم بجيشه القوي، وكانت معركة الزلاقة في رجب سنة ٤٧٩هـ (أكتوبر ١٠٨٦م) وفيها هزم الفونسو السادس ملك قشتالة.

وبقي المرابطون في الأندلس بعد أن قضوا على ملوك الطوائف الضعفاء، وظلوا يحكمون الأندلس قرابة نصف قرن حتى سقوط دولتهم في المغرب على أيدي الموحدين مما جعل الثورة تشتعل ضد حكمهم في الأندلس، وعبر الموحدون إليهم، واستولوا تباعا على القواعد الأندلسية الكبرى، وبسطوا حكمهم قرابة قرن آخر، وفي ظل حكم هؤلاء أحرزت جيوشهم النصر في معركة الأرك الشهيرة سنة ٥٩٣هـ (١١٩٥م)، ولم يهنأ المسلمون طويلا بهذا النصر حتى لحقت بهم الهزيمة في موقعة العقاب المشؤومة التي فنيت فيها معظم الجيوش الموحدية الأندلسية سنة ٦٠٩هـ (١٢١٢م).

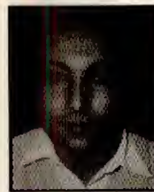
وبدأ النصارى يلقون بشباك الفتن والدسائس بين حكام المدن التي لم تسقط؛ فدبت الثورات بين أبناء العمومة والأهل فكان النصارى في بعض الأحيان يناصرون زعيما ضد آخر، إلى أن استطاع **محمد بن يوسف بن الأحمر** بالدهاء تارة وبالقتال تارة أخرى أن يبسط سلطانه على ما بقي من بلاد الأندلس متمثلاً في مملكة غرناطة التي دخلها في مغيب شمس يوم من أيام رمضان الأخيرة سنة ٦٣٥هـ (أبريل ١٢٣٨م) وهو يرتدي ثيابا خشنة وحلة مرقعة، ونزل بجامع القصبة وأمّ الناس لصلاة المغرب، ثم خرج من المسجد إلى قصر باديس والشموع بين يديه، ونزل فيه مع خاصته، وبذا غدت حاضرته ومقر حكمه. ويرجع **بنو نصر أو بنو الأحمر** نسبتهم إلى **سعد بن عبادة** صاحب رسول الله ﷺ، وسيد الخزرج، وتعاون مع ابن الأحمر في استقرار حكمه أصهاره **بنو أشقيلولة**، وهم أسرة قوية نابهة. وما كاد يستقر الحكم في غرناطة حتى نشط إلى محاربة النصارى، وكانوا قد عاثوا في أحواز جيّان وغيرها الفساد والنهب، حتى إنهم حاصروا غرناطة نفسها سنة ٦٤٢هـ (١٢٤٤م) في محاولة لاختبار القوة إلا أنهم ردوا عنها بعد أن لحقت بجيشهم خسائر جسيمة، وبعد هذه المعركة رأى **ابن الأحمر** التفوق العسكريّ لجيش النصارى فآثر أن يعقد هدنة مع ملك قشتالة على أن يؤدي ابن الأحمر جزية سنوية مقابل احتفاظه بغرناطة.

وتوالى على حكم غرناطة في تلك الفترة ملوك أقوياء وملوك ضعفاء، وفي ظل الأقوياء تحتفظ الدولة بهيبتها وقوتها وتسترد بعض ما يغتصبه النصارى من مواقع، وفي ظل الضعفاء يضيع العديد من المدن والبلاد، فسقطت لوشة سنة ٨٩١هـ (مايو ١٤٨٦م)، **ومالقة** سنة ٨٩٢هـ (١٤٨٧م) **والمنكب وبسطة وسكوبانية** في سنة ٨٩٥هـ (١٤٨٩م) **ووادي آش والمرية** سنة ٨٩٥هـ (١٤٩٠م)، ولم يبق إلا **غرناطة** المدينة أمام الملكين **فرناندو** ملك أرجون، **وإيزابيلا** ملكة قشتالة.

وذلك بعد زواجهما وتوحيد المملكتين، فطلبا من **أبي عبدالله بن الأحمر** تسليمها لهما وأن يبقى مقيما فيها آمنا؛ إلا أن أبا عبدالله رفض مطالب الملكين في رسالة بعثها إليهما في ٢٩ صفر سنة ٨٩٥هـ (٢٢ يناير ١٤٩٠م). ودفع هذا الموقف شعب غرناطة إلى الوقوف بجانب مليكهم، فاستمرت المعارك بين المسلمين والنصارى سجالا، وتسجل الروايات استبسال الجنود المسلمين ودارت في الخفاء مفاوضات على بيع أبي عبدالله ممتلكاته، وحذا حذوه الوزراء في **غرناطة** وذلك عندما رأى سلطانها أنه لا محيص من سقوطها في أيدي القشتاليين، وكانت هذه القوات تحاصر **غرناطة**، واستمرت المفاوضات، ووقعت المعاهدة في اليوم الخامس والعشرين من شهر نوفمبر ١٤٩١م (٢١ محرم ٨٩٧هـ) على تسليم **غرناطة** وخروج أبي عبدالله وأهله وأمواله، وتم التسليم النهائي في الثاني من يناير ١٤٩٢م (الثاني من ربيع الأول سنة ٨٩٧هـ)، وتنص المعاهدة أن يتجه **ابن الأحمر** إلى مقاطعة البشرات، ولكن ما لبث الإسبان أن دفعوه إلى ترك الأندلس، ولم يبق أمامه إلا المغرب، فنزل **مليلة** ثم قصد إلى

من كتاب العدد

- د. عبد الرحيم يوسف الجمل.
- دكتوراه الآداب من جامعة القاهرة..
- مدرس الأدب العربي في كلية الآداب/ فرع الفيوم
- أطروحته للدكتوراه حول الأدب الأندلسي في غرناطة..
- له جهود متعددة في تحقيق التراث، آخرها دراسة حول المعلقات «السبع» بشرح جديد..
- يُعد معجماً لغويا باسم (معجم الجمل)..



فاس، واستقر بها. وقد كانت تلك الأيام ولا شك ثقيلة على نفسه، والعار يلاحقه وهو قابع في قصره لا يبرحه، وتتجه إليه أصابع الاتهام في أنه السبب في سقوط الأندلس، فأحزنه هذا، وتقدم إلى ملك فاس **أبي عبدالله محمد الشيخ** زعيم بني وطاس الذين خلفوا بني مرين في الملك، مستجيراً ومستظلاً بلوائه ورعايته، متبرئاً مما نسب إليه من إثم وتفريط في حق الوطن والدين، وقد بسط أبو عبدالله بن الأحمر في دفاعه الذي كتبه بلسانه العربي العقيلي. ويعد هذا الدفاع من أقدم النماذج التي يدافع فيها ملك أو خليفة عن سقوط مملكته في أيدي أعدائه، وسمي هذا الدفاع: **«الروض العاطر الأنفاس في التوسل إلى المولى الإمام سلطان فاس»** وفيه يدافع عن موقفه، وربما يتخفف من هموم هذا السقوط، ويدل ذلك على استشعاره بفداحة ما حدث وأنه وحده يتحمل تبعات ذلك أمام الله وأمام التاريخ، وأنه أراد أن يدلي بأقواله حتى يصدر التاريخ حكمه عليه من خلال هذا الدفاع، بادئاً بقصيدة ميمية طويلة جداً، فيها الكثير من التأسيّ، ويقول في مطلعها:

الإنصاف يقتضي سماع الدفاع ومعرفة مجريات الأمور، وبعدها يكون الحكم وتسجيل التاريخ..

مولى الملوكِ ملوكِ العُرْبِ والعَجَم
رعْيًا لما مِثْلُه يرعى من الذِّمَمِ
بك استجرنا ونِعْمَ الجارُ أنت لمن
جار الزمانُ عليه جَوْر مُنتقم
حتى غدا مُلكه بالرّغم مستَلَبًا
وأفظعُ الخطْبِ ما يأتي على الرَّغَم
حُكمٌ من الله حتمٌ لا مَرَدَّ له
وهل مَرَدٌّ لحكم منه مُنْحَتِم
وَهْيَ الليالي وقاك الله صَوْلَتَها
تصُولُ حتى على الآساد في الأجَم
كنا ملوكاً لنا في أرضنا دُوَلٌ
نمنا بها تحت أفنانٍ من النِّعَمِ
فأيقظتنا سهام للردَى صُيُبٌ
يُرْمَى بأفجع حَتْفٍ مَنْ بهنَّ رُمِي
فلا تنم تحت ظل المُلْك نومتنا
وأيُّ ملْكٍ بظل المُلْك لم يَنَم
يبكي عليه الذي قد كان يعرفه
بأدمُعٍ مُزِجَتْ أمواهُهَا بدَم

وهي قصيدة مؤثرة في مضمونها، شجية في انتقاء ألفاظها، ثم يقدم بعد ذلك رسالته التي تبدأ بآيات من القرآن الكريم في بلاغة آسرة مقتبسة من سور مختلفة: ﴿ربنا ظلمنا أنفُسَنَا وإنْ لم تغفر لنا وترحمنا لنكونَنّ من الخاسرين﴾ (سورة الأعراف/ ٢٣) ﴿أنتَ وَلِيُّنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين﴾ (سورة الأعراف/ ١٥٥) ﴿ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير﴾ (سورة الممتحنة/ ٤) ﴿ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم﴾ (سورة محمد/ ١١) ﴿نعم المولى ونعم النصير﴾ (سورة الأنفال)/ ٤٠.

أما بعد، حمداً لله الذي لا يحمد على السراء والضراء سواه، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذي طلع طلوع الفجر بل البدر فلاح.

ثم يوجه حديثه إلى سلطان بني وطاس الذي فتح أبواب مملكته أمامه، محتمياً في ظله من خناجر الاتهام التي توجه إليه، طالبا عطف قلب السلطان وهو في محنته هذه، بعد أن أخرس اللسان عن سرد الأسباب، فقد قضي الأمر، والاعتذار لا يفيد في إصلاح الأمر، وهو في هذا الموقف المؤلم للنفس، ومن الصعب أيضا أن يقتنع أحد أنه برئ من تهمة السقوط: «... **ولئن أنكرت ما تقولون لا تصدقوني، فأقول ما قاله أبو يوسف ﴿فصبر جميل والله المستعان على ماتصفون﴾** (سورة يوسف/ ١٨) على أني لا أنكر عيوبي فأنا معدن العيوب، ولا أجحد ذنوبي فأنا جبل الذنوب، إلى الله أشكو عُجَرِي وبُجَرِي، وسقطاتي وغلطاتي «ويقصد بعجري وبجري، همومي وأحزاني، أو ما أبدي وأخفي».

ويسترسل في إيراد الحجج والبراهين موجها قوله إلى الذين يقدحون في إسلامه بأن عليهم التريث، فالإنصاف يقتضي سماع دفاعه، ولهم بعد ذلك الحكم، ثم يوجه بعد ذلك خطابه إلى السلطان الوطاسي يسأله: هل كل ما يزاول في إدارة المملكة يأتي مطابقا للمراد منه، وهل كل ما يتمناه المرء يدركه، ألم يفلت الصيد كثيراً من أشراكه ؟ ثم يورد أمثلة من سقوط ممالك عربية في أيدي الأعداء كسقوط بغداد في أيدي التتار، وهي واقعة شهيرة لدى المؤرخين، وأنّ دفع ما هو مقدر لا يجدي معه ولا قلامة ظفر من دفاع «فالدهر غدار، والدنيا مشحونة بالأكدار، والقضاء لا يرد، ولا يصد، ولا يغالب، ولا يطالب، والدائرات تدور، ولا بد من نقص وكمال للبدور، والعبد مطيع لا مطاع، وليس بطاع إلا المستطاع، وللخالق القدير جلت قدرته في خليقته علم غيبٍ للأذهان عن مداه انقطاع».

ويذكر في ثنايا دفاعه هذا أسباب اختياره فاس مُقاما، وقال إنه تلقى دعوات كريمة من الشرق للذهاب والإقامة، لكنه أثر الجواز إلى المغرب دار آبائه من قبل، وملاذهم عند النوائب، ولم يرتض سوى الانضواء إلا لذلك الجناب المغربي تنفيذاً لوصية آبائه وأجداده في اللجوء إليهم، ثم يشيد بسلاطين فاس ومآثرهم، وأنه يضع نفسه تحت حماية السلطان ورعايته، متشرفا بخدمة عليائه ليقضي بقية عمره في كنفه مصونا من المخاطر والضيم.

وهذه الرسالة طويلة جداً، ونكتفي بهذا القدر بعد أن طوّفنا في أرجائها، موجزين أهم سماتها وملامحها. وتذكر كتب الأدب أن أحفاد أبي عبدالله بن الأحمر امتهنوا التسول، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

دراسة تاريخية تحليلية

جورباتشوف أشعل الحرب العالمية الثالثة!

بقلم: بكر السيد زيدان

إن ما حدث ويحدث في أوروبا عمومًا، والاتحاد السوفييتي (سابقا) وأوروبا الشرقية خاصة يُعَدّ بكل المقاييس العلمية كما لو كان نتيجة حرب عالمية ثالثة خاضها الاتحاد السوفييتي (سابقا) ضد الولايات المتحدة وحلفائها وخرجت منها الولايات المتحدة منتصرة تماما، ونجحت في فرض شروطها على الاتحاد السوفييتي؛ فمن كان يتصور أن تتهاوى الإمبراطورية السوفييتية التي كافح القياصرة والبلاشفة في بنائها باذلين الغالي والنفيس كأوراق الخريف في لحظات... تغيير هائل يذهل النفس ويحبس الأنفاس علينا أن نتمعن فيه لنستخلص الأسباب والنتائج في ضوء المعطيات كافة، ولا سيما المعطيات التاريخية.

وتعالوا معي لنتخيل أن الحرب العالمية الثالثة قد دارت رحاها بالأسلحة التقليدية[1] وانتصرت الولايات المتحدة وحلفاؤها على الاتحاد السوفييتي فما هي شروط المنتصرين؟.. يمكن تحديدها فيما يلي:

١ - **تحطيم الإمبراطورية السوفييتية** بإخلاء أوروبا الشرقية من الجيوش السوفييتية، وعدم الاعتراض على دخولها أوروبا الموحدة. (وهو ما حدث فعلا).

٢ - **الموافقة على توحيد ألمانيا بلا قيد ولا شرط**. (وهو ما حدث فعلا).

٣ - **انسلاخ بعض الجمهوريات من الاتحاد السوفييتي وتقوية النزعة الاستقلالية لديها** (وهو ما يحدث الآن).

٤ - **إنهاء سيطرة الحزب الشيوعي على الحياة السياسية** في الاتحاد السوفييتي والسماح بتكوين الأحزاب، وحرية اقتصاد السوق (وهو ما يحدث الآن).

٥ - **الكف عن التدخل في بؤر الصراع العالمية** مثل كوبا وبنما والشرقين الأوسط والأقصى (وهو ما حدث فعلا).

٦ - **العيش كدولة أوروبية عادية** سينظر إليها في المستقبل بعين العطف لإمكان إدخالها في المجموعة الأوروبية أو بمعنى آخر: الإقرار بالأمر الواقع وهو أن الولايات المتحدة الأمريكية أصبحت القوة العظمى المنفردة في العالم للمرة الثانية في التاريخ بعد تحطيم روما لقرطاجنة وقبل بزوغ قوة الإمبراطورية الفارسية.

والآن تعالوا معي كي نلقي نظرة تحليلية على هذا التغيير الهائل في نسيج التاريخ الذي كان سداه ولحمته جورباتشوف، وجورباتشوف وحده.

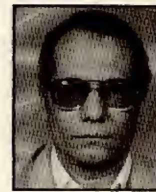
أولاً: الأب الشرعي للتغيير

من دون شك لا بد أن ينسب هذا التغيير الضخم في نسيج التاريخ إلى الزعيم السوفييتي السابق **جورباتشوف**، وهذه الحقيقة لا مراء فيها ولا جدال ولكن هل ابتدعها جورباتشوف من عندياته أو تراءى له أن يجري هذه التغييرات فأجراها؟.. هذا بلا شك تصور ساذج بالنسبة لقرارات صناعة التاريخ.. فالتاريخ لا يجري بمصادفات أو عبثية وإنما يتم وفق أصول وقواعد موضوعية من أدركها جيدًا كتبت له النجاة، ومن عمي عنها أو تجاهلها راح في غياهبها السحيقة.

ولقد أدرك جورباتشوف أن النظرية الشيوعية قد وصلت لمرحلة الجمود والعجز عن العطاء وبدأت تفقد مصداقيتها في تحقيق الفردوس الموعود لملايين البؤساء في العالم، بل إن الاتحاد السوفييتي نفسه فقد مصداقيته كداعية للسلام العالمي عندما انقض على دولة أفغانستان والتهمها على أنها غنيمة

من كتاب العدد

● بكر السيد زيدان



— ليسانس الحقوق/ جامعة القاهرة.
— ليسانس الآداب، قسم التاريخ/ جامعة عين شمس (مصر).
— دراسات عليا في التاريخ بجامعة عين شمس.
— خبير قانوني بمجلس الشعب المصري، ومعار لوزارة الكهرباء والماء في دولة قطر.

باردة وإذا به يفاجأ أنه قد ابتلع شوكة تسبب له آلاما حارقة في حلقه وفي بطنه.

ثانيًا: دور المجاهدين الأفغان الكبير

لقد وقع الغزو السوفييتي لأفغانستان وكان للمقاومة الباسلة التي أبداها المجاهدون - دون أدنى تحيز - دورها الكبير في انكشاف الاتحاد السوفييتي كدولة استعمارية لا تختلف عن أية دولة أوروبية أخرى. وكانت مقاومة المجاهدين الأفغان لدولة عظمى مناظرة تقريبا للمقاومة الفيتنامية برغم اختلاف وقسوة الظروف في حالة أفغانستان لملاصقتها للحدود السوفييتية أولاً ولقلة العدد والعتاد في يد المجاهدين ثانيا.

إن مقاومة الأفغان الباسلة قد أسقطت وإلى الأبد المقولة التي كان يروج لها بعض الناس وكأنها قانون من القوانين الأزلية وهو أن الشيوعية إذا دخلت بلدًا لا تخرج منه أبدًا، فلقد **أرغم المجاهدون الأفغان السوفييت على الخروج من أفغانستان، وبالطبع كان لتلك الهزيمة أثرها الكبير لدى قادة الاتحاد السوفييتي (سابقا) الذين أعادوا ترتيب أفكارهم.**

ثالثًا: عودة الإمبراطورية الرومانية

باتحاد أوروبا الغربية هذا العام وسقوط ورقة التوت عن أوروبا الشرقية وسعيها المحموم والحتمي والمؤكد للدخول في وحدة مع أوروبا الغربية سوف يرى العالم عامة والعالم العربي على وجه الخصوص الولادة الجديدة الثانية للإمبراطورية الرومانية (مع اختلاف المسميات طبعا) التي كانت تشمل أوروبا كلها تقريبا. وبالتأكيد فإن وحدة أوروبا هذا العام كانت من الدوافع الأساسية للتغيير الجوهري في الاتحاد السوفييتي، فبدلاً من أنه كان يواجه دولاً مختلفة النوازع والقوميات - هذا الاختلاف الذي أتاح للاتحاد السوفييتي البقاء في بداية تكوينه - فسيواجه دولة واحدة ذات ساعد قوي وفتي ربما تكيل له ضربات أقسى من الضربات الأمريكية.

وبطبيعة الحال يجب ألا ننسى أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت من أشد مؤيدي الوحدة الأوروبية لدافعين أساسيين:

(الأول) أنها، أي أوروبا الموحدة، سوف تشكل حائطًا قويًا ومنيعًا ضد الاتحاد السوفييتي (سابقا) تستوعب الصدمة الأولى للحرب ثم تنقض عليه الولايات المتحدة بعد ذلك بعد أن تكون قواه قد أنهكت، كما حدث تماما مع ألمانيا القيصرية وألمانيا النازية قبل ذلك، فبعد أن أنهكت الجيوش الألمانية في أوروبا انقضت عليها الجيوش الأمريكية لتجني أعظم الثمار بأقل الخسائر.

(الثاني) أن الولايات المتحدة تريد تخفيض نفقاتها العسكرية حتى تستطيع أن توجهها لأغراض التنمية في الداخل لمواجهة خطرين أصفرين هائلين هما اليابان والصين ويتمثل الخطر الأول في الاكتساح الاقتصادي والتكنولوجي والتجاري الياباني للعالم، بينما يتمثل الخطر الثاني في النظرية الشيوعية التي ما زالت مستمرة في الصين والخوف من اكتساح جنوب شرق آسيا.

رابعًا: جورباتشوف مؤسس الرايخ الرابع

من سخريات التاريخ أن يكون الأمر كذلك فلقد كانت وحدة ألمانيا تتحقق دائما على أيدي أبنائها ودائما كانت تسبب الدولة الوليدة إزعاجا لأوروبا فينقض الجميع عليها لتحطيمها.. الرايخ الأول تحقق على يد **شارلمان** (الإمبراطورية الرومانية وتحطم بنفوذ أمراء الإقطاع والملوك والنزعة القومية، الأمر الذي دعا الفيلسوف الفرنسي **فولتير** إلى أن يقول عنها ساخرًا: لا هي إمبراطورية ولا رومانية ولا مقدسة. وتمكن **بسمارك** بعد سلسلة طويلة من الحروب من بناء الرايخ الثاني الذي دخل ميدان الاستعمار بقوة وشراهة قبل أن يشتد عوده الأمر الذي أزعج أسود أوروبا الضارية بريطانيا وفرنسا وتمكنوا بمساعدة الولايات المتحدة من كسر هذا العود. وظن الإنجليز أنه بنتائج الحرب العالمية الأولى لن تقوم قائمة لألمانيا مرة أخرى وأن الرايخ الثاني قد أصبح ذكرى من ذكريات التاريخ، ولكن ما أن انقضت سنوات قلائل حتى أزعج **أدولف هتلر** العالم أجمع ببعثه الرايخ الثالث على أنقاض جمهورية فيمار التي ورثت أشلاء ممزقة من رايخ **بسمارك**، وتكالب العالم مرة أخرى على ألمانيا حتى حطمها تحطيما ووصل الأمر إلى تقسيمها أربعة أقسام بين أمريكا والاتحاد السوفييتي وبريطانيا وفرنسا وتوحدت الأقسام الغربية فيما عرف سابقا بألمانيا الغربية أو الاتحادية بينما بقي القسم الشرقي


جورباتشوف



الخاضع للاتحاد السوفييتي فيما عرف بألمانيا الشرقية أو الديمقراطية.

وظن العالم أجمع ولا سيما بعد سياسة المستشار الألماني الغربي الأسبق برانت (الانفتاح على الشرق) أن تقسيم ألمانيا سوف يدوم إلى الأبد، بل ظن العالم أجمع أن الحرب العالمية الثالثة ستنطلق شرارتها إذا ما حاولت ألمانيا الوحدة مرة أخرى. وكان الجميع يظن أن معارضة الغرب لوحدة ألمانيا أكثر من معارضة الاتحاد السوفييتي (وهل نسيت أوروبا الغربية مآسي الأمس).

إن المفاجأة كل المفاجأة أن الرايخ الرابع تم على يد جورباتشوف. وأيّ منصف للتاريخ لا بد أن يقر بذلك ويعترف ويضع هذا الرجل في صورة بطل الرايخ الرابع ولا أظن أن الألمان سيدّعون يوما أن هيلموت كول هو بطل هذا الرايخ وإلا صار ذلك عبثا بالتاريخ ومدعاة للسخرية.

خامسًا: وتحققت الأهداف بالسلام

من يقرأ كتاب «كفاحي» لهتلر يتضح له أنه كان يرمي إلى بناء أوروبا موحدة تسيطر عليها ألمانيا أو الجنس النوردي وكان يقول ذلك صراحة وبلا مواربة مما أثار نقمة العالم عليه، والآن تعالوا لنتأمل هل ستتحقق مقولة هتلر أم لا؟.. أكاد أجزم أنها قد تحققت بالفعل ولكن بالسلام ودون حرب مجنونة أودت بحياة ملايين البشر، **وسوف تتم وحدة أوروبا كما هو محدد لها بسيطرة ألمانية**، وعلى حد تعبير مجلة أمريكية وتعليقها على ما يحدث في أوروبا الآن فإن ألمانيا تقود أوروبا وكأنها قاطرة منطلقة على شريط سكة حديد بسرعة الصاروخ... ولا شك أن هذه الوحدة الأوروبية وبالسيطرة الألمانية قد أقلقت بعض المسؤولين الذين عاصروا الحرب العالمية الثانية ومن أشهرهم وزير التجارة البريطاني في حكومة تاتشر الذي انتقد سيطرة ألمانيا على أوروبا، وكأن تضحيات الحرب العالمية الثانية والتي ضعضعت أكثر ما ضعضعت بريطانيا قد ذهبت هباء تذروه الرياح.

التاريخ يمنحنا الآن فرصة ذهبية لكي نقيم بإرادتنا الحرة تجمعًا عربيًا يأخذ مكانه بين القوى العالمية..



سادسًا: قبل أن تدهمنا الأحداث ويغمرنا الطوفان

وللعالم العربي أقول: **إن العالم سوف يشهد قبل مغيب القرن العشرين مولد عملاق جبار لم يشهد له مثيلا من قبل وهو الولايات المتحدة الأوروبية** ممتدة من المحيط الأطلسي غربا إلى حدود الصين شرقا ومن المحيط المتجمد الشمالي شمالا حتى البحر الأبيض المتوسط وحدود إيران والهند جنوبا، وذلك بإمكانات اقتصادية وبشرية وتقنية تفوق قدرة الولايات المتحدة الأمريكية نفسها. وأخشى ما أخشاه أننا في العالم العربي يمكن أن نظل أسارى العجز واللامبالاة، ولقد كانت لنا سابقة مؤسفة في التاريخ في القرن السادس عشر عندما كانت أوروبا تشتعل على الضفة الأخرى من البحر المتوسط حماسة ونهضة وترسل الأسطول تلو الأسطول لاكتشاف طريق بحري آخر إلى الهند حتى تم اكتشاف الأمريكتين وثلاثة أرباع أفريقيا بينما كنا نحن العرب نغط في سبات عميق لم نستيقظ منه إلا على طلقات مدافع الموجات الاستعمارية الأوروبية في القرنين التاسع عشر والعشرين تلك التي نهشت في جسم العالم العربي وتركته أشلاء ممزقة.

والآن ها هو التاريخ يعطينا فرصة ذهبية أخرى كي نتجمع ونقتدي بالآخرين وبالسرعة ذاتها لكي نقيم وبالإرادة الحرة والرغبة المشتركة تجمعًا عربيًا يمتد من المحيط إلى الخليج، ولنبدأ بالحد الأدنى وهو السوق العربية المشتركة فهل نحن فاعلون؟ أم سوف تشغلنا الصراعات الجانبية والمغامرات الحمقاء البلهاء (مثل مغامرة الغزو العراقي الفاشلة لدولة الكويت) التي يستفيد منها الأعداء أول ما يستفيد؟ هل سنشمر عن ساعد الجد والعمل الجاد؟ أم سنفعل كالنائم في الطريق الذي يستيقظ عند سقوط بعض حبات المطر عليه ثم ينظر إلى السماء ببلاهة ثم يغط في نومه ولا يستيقظ إلا والسيل يجرفه كما يجرف الحشرات والهوام والغثاء[٢].

الهامش

(١) تخيلنا أن الحرب قد دارت بالأسلحة التقليدية، ذلك لأن استعمال الأسلحة النووية سيترتب عليه فناء العالم.

---

(٢) المراجع

أ - تاريخ أوروبا المعاصر، فيشر
ب - كفاحي، أدولف هتلر
ج - استراتيجية الاستعمار والتحرير، د. جمال حمدان
د - التاريخ الروماني، محاضرات للدكتور مصطفى عبد العليم جامعة عين شمس
هـ - الاستعمار ومذاهبه الاستعمارية، د. محمد عوض
و - سقوط واضمحلال الإمبراطورية الرومانية، جيبون
ز - الجغرافيا السياسية، د. محمد الديب



استطلاع العدد:

غرداية

جوهرة وادي ميزاب

أعده: بريم عبد الرزاق

بين ربوع صحرائنا الشاسعة ومجرى وادي ميزاب، تظهر أضواء مدينة غرداية تلّوح من بعيد؛ فترى مسجدها العتيق ونسيجها العمراني الذي أشاد به فنانو العمارة العالميين أمثال: حسن فتحي، لوكور بوزييه، بول فاليري، ريكاردو بوفيل . . .

من يزور المدينة اليوم ينبهر بواحاتها الغناء وبأصالة أهلها الكرماء، ويستريح في تلك الأجواء الشاهدة على التاريخ.

فعلى امتداد مجرى **وادي ميزاب**، وبالضبط في الشبكة العمرانية الميزابية تظهر للسائح خمس **واحات ميزابية** غنّاء وسط منطقة صحراوية وعرة المسالك. وتعد غرداية "GHARDAIA" واحدة من الخمس واحات التي تزخر بها منطقة ذلك الوادي حيث تتشابه مع أخواتها الأخريات بنورة، مليكة، بني يزقن، **العطف - أو العاطف**.

وهي اليوم عاصمة ولاية غرداية، التي تقدر مساحتها بنحو (٨٦١٠٥) كلم. وتقع جنوب الجزائر العاصمة بحوالي (٦٠٠) كلم وبالتحديد في الطرف الشرقي من العرق الغربي الكبير.

تحيط بها عدة ولايات منها ولاية تامنغست ناحية الجنوب، ومن الشرق ولاية ورقلة، ومن الجنوب الغربي ولاية أدرار، ومن الشمال ولاية **الأغواط**، ومن الشمال الشرقي ولاية الجلفة، ومن الشمال الغربي ولاية **البيض**.

ويبلغ تعداد سكان الولاية بنحو (٢١٦٠٥٩) نسمة، وتقدر الكثافة السكانية بحوالي (٢,٥١) نسمة/ كلم وهي مقسمة إداريًا إلى (١٣ بلدية) و (٣) دوائر هي: **القليعة، متليلي، بريان**.

وتعد غرداية منطقة صحراوية، حيث تنتشر

غرداية
جوهرة وادي ميزاب



منظر عام لمدينة غرداية، ويظهر في مقدمة الصورة السوق الشعبي

بها عدة كثبان رملية، بالإضافة إلى الجبال والمرتفعات الصخرية المتوسطة، والتي يتراوح علوها بين (٧٠٠ - ١٠٠٠) متر، وهي تنتمي إلى سلسلة **جبال الأطلس الصحراوي**، وعموماً فالمنطقة ترتفع عن سطح البحر بنحو (١٥٠) متراً.

تجري عدة أودية في تراب ولاية غرداية ومن أهمها: **وادي ميزاب، وادي لزعزير، وادي المتليلي، وادي الطويل**. ويطغى على المنطقة مناخ صحراوي جاف إلى حد ما، حيث يتراوح معدل تساقط الأمطار سنوياً بين (٢٠ - ٥٠) مم، بينما تعد الحرارة مرتفعة جداً بهذه المنطقة لا سيما في شهر (يوليو) حيث تتراوح بين (٣٠ - ٣٥م°).

أما في شهر (يناير) فتكون ما بين (١٠ - ١٥م°)، والمنطقة لا تخلو من أهم سمات الصحراء ألا وهي الرياح بأنواعها المتعددة، حيث تهب في فصل الصيف الرياح المحلية والرياح المتبدلة مثل الريح الحار والجاف المعروف عالمياً باسم «السيروكو» "SIROCCO"، والمعروف محلياً باسم الشهيلي "CHILI".

الميزاب في اللغة

إذا تصفحنا قواميس اللغة العربية فإننا نجد كلمة ميزاب جاءت من فعل **وَزَبَ وُزُوْباً** الماء ونحوه: **سال، أَوْزَبَ إِيْزَاباً** في الأرض: ذهب الماء.

المِيْزَابُ والمِئْزَابُ جمعه **مَيَازِيبٌ وَمَآزِيبٌ** وقيل أيضاً **مَوَازِيبٌ**: **القناة** يجري فيها الماء (فارسية) وحسب التفسير السابق لكلمة ميزاب فإن **وادي ميزاب يعني وادي القناة**؛ ويرى بعض مشايخ المنطقة أن تلك التسمية ربما تعود إلى كثرة تواجد القنوات الجوفية المعروفة باسم **«الفقارات» "LES FOGGARAS" وهي طريقة تقليدية في الري أكثر فعالية من الآبار، حيث تساعد على استقرار النشاط السكاني وارتفاع المردودية بفضل استرجاع المياه الزائدة عبر منافذ مخصصة لهذا الغرض - الأروقة الجوفية.**

وهكذا أثبتت هذه الطريقة التقليدية في الري فعاليتها منذ سنين دون الاعتماد على الوسائل التقنية العصرية للفلاحة. ولذلك تُسْقَى قطع هامة من الأرض، ولا يستعمل لهذا الغرض سوى معول لإزالة التربة وتحرير المياه.

أصل تسمية غرداية

أغفلت معظم المعاجم وكتب التاريخ ذكر مدينة غرداية رغم أن الأوائل يؤكدون أن تشييدها يعود إلى عدة قرون خلت إلا أنه حسب ما ذكره مشايخ المنطقة ومؤرخوها فإن أصل تسمية غرداية لم يبت فيه بعد ومع ذلك هناك رأيان يقتربان إلى الصواب وهما:

* **يرى بعض المؤرخين أن غرداية اسمها الحقيقي تغرديت** - وهي كلمة بربرية - تعني **قطعة الأرض المستصلحة والواقعة قرب الوادي**، ولقد عممت هذه التسمية لتشمل كافة منطقة الوادي.

ربما يكون هذا الرأي صحيحاً إلى حد ما، خاصة أن هناك قرية تسمى بـ «تغردايت» في الشمال الجزائري وبالضبط **بجبال الأوارس الأشم (ناحية ولاية باتنة)** وبنفس التسمية قرى بناحية تيزي وزو وفي الجماهيرية الليبية الشقيقة.

ولقد حرفت كلمة تغرديت لتصبح غرداية، وهناك البعض ممن ينطقها **غار الداية، وقرداية، وكرداية**.

* ويقال أنه كان بأحد الجبال المجاورة للمنطقة غار تقطنه عجوز؛ فلما كانت السيارة تمر بتلك المنطقة يقول الركبان نحن بغار الداية فأصبحت تعرف المنطقة بهذا الاسم نسبة لتلك العجوز وغارها. **والداية** لغة جمعها **دايات** ومعناها **القابلة (فارسية) قوابل وقابلات مؤنث القابل**.

وبحكم تداول الألسنة عليها حذفت الألف الطويلة من كلمة **«غار»** لتصبح **«غر»**، والألف واللام من كلمة **«الداية»** لتصبح **«داية»** بجمع الشطرين يكون لدينا اسم **«غرداية»** وهي تسمية المدينة حالياً.

تاريخ المنطقة

لم يقف المؤرخون على آثار أو رسومات أو كتابات قديمة تنير لهم الدرب للتقصي عن تاريخ هذه الأرض؛ غير أنه من المسلم به أن هذه المنطقة وكبقية الصحراء الجزائرية قامت عليها حضارات بدائية تعود إلى عصر ما قبل التاريخ، والمجموعة الحجرية الشيلية - وتتكون من أدوات جهينية دقيقة الصنع - التي عثر عليها الباحث الفرنسي هنري دليل على ذلك.

كبقية الأرض الجزائرية عمرت غرداية من طرف البربر الذين تم إجلائهم من بلاد **كنعان وفلسطين**، فساروا نحو أفريقيا والزاب وانتشروا هنالك حتى ضاقت بهم تلك البلاد وامتلأت منهم الجبال



تشييد المدينة تم بطريقة مبتكرة

والكهوف والرمال - مما أدى بهم إلى التوغل في أعماق الصحراء الكبرى - وصاروا يتبعون مواقع القطر بالإبل وبيوت الشعر. وهم مع ذلك على أديان مختلفة يدين كل واحد منهم بما شاء من المعتقدات الفاسدة، وكان منهم رؤساء وملوك وكهّان، ولهم حروب وملاحم عظام مع من نازعهم من الأمم. وهم ينقسمون إلى قسمين رئيسين:

- **البرانس:** وهم أولاد برنس بن بربن مازيغ، ومنهم انحدرت قبائل **كتامة وصنهاجة وزواوة ومصمودة**، وانتشروا في شمال المغرب العربي - أي في المناطق الساحلية والجبلية.

- **البتر:** أبناء مادغيس الأبتر بن برين مازيغ، ومنهم قبيلته **زناتة ومكناسة**... وهم يسكنون جنوب المغرب العربي أي في المناطق الصحراوية.

ولقد جاء في كتب المؤرخ الكبير الشيخ **«أطفيش»** أن البربر قد عمروا وادي ميزاب في عدة فترات من الزمن؛ ومن أشهر قبائلهم قبيلة **«أغرم نتلزضت»** - أي قرية الصوف.

ويرى المؤرخ الشيخ **«أعلي دبور»** أنه كان يسكن المنطقة قوم على مذهب المعتزلة وأنهم من قبيلة **زناتة** البربرية حيث إنهم استوطنوا هذه المنطقة فراراً من القبائل المنافسة لهم على مناطق سابقة.

ومما يؤكد صحة هذا القول وجود عدة أطلال وأجزاء حيطان، وبقايا مسجد، توجد في مناطق بعيدة عن العمار.

ومن الأقوام التي سكنت أو مرت بالمنطقة **الرومان**؛ حيث نرى من كلام صاحب كتاب **«المؤنس في تاريخ أفريقيا وتونس»** ما يفيد أن الرومان



من أجل أمن المدينة يحيط بها جدار وعدة أبراج للحراسة





الأزقة الضيقة والمنعرجات للدفاع

غرداية جوهرة وادي ميزاب

قد بلغوا مشارف ورقلة والزاب ووادي سوف وما حولهم. . وربما يكونون قد وصلوا إلى هذه المنطقة، خاصة أن بعض المشايخ هناك يؤكدون ذلك رغم أنه لا توجد أية أدلة مادية. ثم تلاهم **الوندال** الذين فعلوا أفعالاً شنيعة في كافة مناطق المغرب الأوسط فلم تنج هذه المنطقة من هؤلاء إلى أن ثار ضدهم البربر فقاتلوهم وأجلوهم عن أرضهم ولم يبق سكان هذه المنطقة في أمان حتى جاءتهم حشود **الروم** فلم ينجهم منهم سوى **المسلمين** الذين نشروا دين الله في ربوع هذه الأرض، فبلغوا مشارف المحيط الأطلسي. ولقد كان فتح المغرب العربي من أصعب الفتوحات الإسلامية حيث إن الفاتحين لم يتمكنوا من فتح المغرب العربي في مدة قصيرة كما هو الشأن في فتح مصر والشام. . .

من صفات الميزابيين

من أهم سمات الميزابيين حسن الخلق والمعشر وإكرام الضيف، وفصاحة اللسان وهم يتكلمون العربية والبربرية (لهجة).

ويعرف الميزابي بلباسه التقليدي الذي لا يفارق أي فرد في مجتمعهم؛ والذي يتكون من **السروال** الذي لا يوجد إلا في هذه المنطقة - **والطاقية البيضاء والغندورة البيضاء**.

السمات الاجتماعية

عندما عمر الميزابيون واحاتهم الخمس، جعلوا لمجتمعهم ضوابط وتنظيمات محكمة، بحيث تحافظ على تماسكه وعدم تلاشيه. ولقد بنيت تلك الضوابط الاجتماعية على أساس الشريعة الإسلامية السمحة، حيث يلعب المسجد دوراً هاماً جداً، ويعد السلطة العليا التي تشرف على شؤون المدينة بالإضافة إلى هيئات أخرى مساعدة.

وأهم تلك الأجهزة ما يلي:

١ - هيئة المسجد:

وتسمى أيضاً **حلقة العزّابة**، وتعد السلطة العليا وصاحبة الكلمة الأولى في مختلف شؤون تسيير البلاد والعباد، بالإضافة إلى تواجد المؤسسات الاجتماعية الأخرى والتي تساهم وتكمل دور الهيئة السابقة.

وتتكون هيئة المسجد من (١٢) عضواً أو أكثر، حيث تتوزع المهام على الأعضاء ويرأسها عميدهم الشيخ أو المفتي الذي يتولى الوعظ في المسجد، وإمام مؤذن، ووكيل شرف على أوقاف المسجد، وأعضاء مساعدون لمهمات اجتماعية.

ومن بين مهام هذه الهيئة ما يلي:

- الوعظ والإرشاد
- تحديد المهور والإشراف على الأعراس فهناك تقام أعراس جماعية - حتى لا يتسرب إلى العرس أي مظهر للتبذير أو إحدى المحرمات شرعاً.
- الغسل والتكفين والصلاة على الموتى.
- فض النزاعات والمشاكل محلياً دون اللجوء إلى المحكمة.
- إعلان البراءة ضد الذين يرتكبون خطيئات أخلاقية - بعد إعلانهم التوبة والتعهد بعدم الرجوع إلى ذلك مرة أخرى.

برج بوليلي بيني يزقن



٢ - هيئة إيروان :

أو هيئة الطلبة، وهي تجمع كبار فقهاء الدين ؛ ومن مهامهم مساعدة هيئة المسجد في تسيير أمور الواحة إلى جانب تدريس علوم القرآن الكريم .

٣ - هيئة أمسوردان :

أو هيئة الشباب، وهي تتكون من الشباب ومهمتهم تكمن في حراسة البلاد والإشراف على المعاملات التي تقوم بين الناس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٤ - هيئة تمسردين :

أو هيئة الغاسلات، وهي تتكون من نساء مهمتهن تكمن في تسيير المجتمع الميزابي بمراقبتهن الكاملة لكل ما يجرى داخل العائلات كغسلهن للموتى - النساء والأولاد الذين لم يبلغوا الحلم بعد - ومحاربتهن للبدع والإسراف وتخصيصهن للمدرسات لتعليم البنات أمور دينهن ودنياهن .

٥ - العشيرة :

وتتكون من مجموعة من الأسر تربط بينهم أمور القرابة وعلاقة الرحم، ولكل عشيرة مجلس من ذوي الرأي والفضل يتولى تسيير أمور العشيرة .

وقد وضّح المرحوم الأستاذ أحمد توفيق المدني رحمه الله في كتاب «الجزائر ودور العشائر» ما يلي :

« . . . بما أن العشيرة تتركب من بيوتات والبيت يتركب من عائلات فهي بمجموعها تعتبر كوحدة عائلية لا إنفكاك بين الأجزاء، ومن حيث إنها مكلفة شرعاً حسبما هو منصوص في الفقه الإسلامي بالسهر على مصالح القصر - الواحة - من اليتامى والمجانين والأرامل، ولهذه الميزة كان لها الأثر الفعّال في كثير من المصالح العمومية مع ردع المفسد وإرشاد الضّال وإيواء العاجز وإصلاح ذات البين . . الخ» .

٦ - مجلس عمي سعيد :

ويجتمع فيه كل ممثلي القرى من كبار عزابتها للنظر في القضايا الطارئة والمشاكل العامة، ويتم الاجتماع كل سنة بصفة رسمية بمسجد **الشيخ عمي سعيد** بجوار مقبرته الذي نسب إليه مسمى المجلس . ويلعب هذا المجلس دوراً في الحياة الاجتماعية العامة وفي توحيد كلمة الفتوى والإصلاح الاجتماعي .

القطاع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي

الفلاحة :

تعد الزراعة نوعاً ما مزدهرة - فالمساحة المستغلة (٤٠٨٧) هكتاراً وذلك بفضل توفر الوسائل الضرورية والتي تتمثل في التربة الخصبة والموارد المائية الحيوية والمتمثلة في الأودية والآبار (والتي تقدر بـ (٤٠٠٠) بئر حسب إحصائيات المهندس الفرنسي فيلان **(FELIN)**

إن من يرى آلاف النخيل (٣٠٢٩٣٩ نخلة) وآلاف الأشجار المثمرة والمنتشرة في كل بقعة ثم يدرس الظروف المناخية والطبيعية فإنه يدرك بكل صدق الجهاد المتواصل والكفاح المرير الذي اقترن بالفلاح الميزابي لأجل إنشاء واحات وجنان خضراء وسط صحراء قاحلة . ومن أهم المحاصيل ما يلي :

التمور، الكلأ، وجميع أنواع الخضروات، والحبوب . .

التحصينات في أطراف المدينة



بعض الآبار الموجودة بمنطقة غرداية



غرداية جوهرة وادي ميزاب

ويهتم الفلاح الميزابي أيضاً بتربية الحيوانات والتي تعد نشاطاً متواضعاً رغم أن المساحة المخصصة للعلف تقدر بـ(٣٤٤٠٠٠) هكتار.

ومن بين الحيوانات التي تربى في هذه المنطقة: الأغنام، الدواجن، الأبقار، الإبل، الماعز، النحل.

الصناعة:

يعتز أهل غرداية بتراثهم العريق ويهتمون به كثيراً مثل الصناعات التقليدية والحرفية: كصناعة **الزرابي، البرانس، الأقفال، الحلي، الألبسة... الخ.**

وبعد التقسيم الإداري الجديد غنمت ولاية غرداية عدة مشاريع هامة أعطت للمنطقة دفعة قوية نحو التقدم والازدهار فيوجد على سبيل المثال مصنع لصناعة الأنابيب وآخر لصناعة الأصبغة.

التجارة:

يمتهن معظم الميزابيين التجارة؛ ويعود ذلك لاشتغال معظم أفراد الأسرة، فإذا كان رب العائلة فلاحاً فإن زوجته حتماً تعمل في حياكة الزرابي وهذا حتى وإن كان الرجل يعمل في مؤسسة حكومية وهذا دليل على حفاظهم على تقاليدهم الشعبية.

ويعد سوق غرداية من أكبر الأسواق بالمنطقة حيث يزدحم يزرهم كثيراً يوم البيع خاصة يوم الجمعة. كما توجد عدة أسواق في أيام الأسبوع في شتى واحات وادي ميزاب.

النقل:

من أهم مشاكل الولاية حيث إن الوسائل لا تفي بالاحتياجات وفيما يخص شبكة الطرق فهذه الولاية يتخللها طريق وطني بمسافة تقدر بـ(٧٥١) كلم وطريق ولائي بـ(١٩٢)كلم و (١٠كلم) طريق بلدي. أما الملاحة الجوية فهي تعد نشطة بفضل زيادة عدد الرحلات أسبوعياً إلى أكثر من (١٥) رحلة وهذا لأن مدينة غرداية تعد بوابة للجنوب الجزائري ومقصد كل سائح يسافر إلى الهقار وتامنغست وأدرار.

ويقدر عدد المسافرين بالجو سنوياً بـ(٦٥٥٧٥) مسافراً.

الصحة:

يتوفر في ولاية غرداية جهاز صحي متواضع، حيث يوجد حوالي (٤) مستشفيات تقدم الرعاية الصحية الكاملة لسكان المنطقة بالإضافة إلى (٦) عيادات متعددة الاختصاصات و (١١) مركزاً صحياً و (٣) مراكز لحماية الأمومة والطفولة.

التربية والتكوين:

تعتبر نسبة الأمية نوعاً ما منخفضة وذلك

العمارة الميزابية كتاب مفتوح



بفضل تواجد عدة مؤسسات تربوية ومهنية، حيث يقدر عدد المؤسسات التعليمية (الطور الأساسي) بـ(٩٠) مؤسسة و (٤) ثانويات بالإضافة إلى (٧) مؤسسات خاصة بالتكوين المهني تشمل التخصصات المهنية التالية:

ميكانيكا، كهرباء السيارات، البناء، الترصيص، الرقن، الخياطة.

الشباب والرياضة:

يملك هذا القطاع عدة مرافق من أهمها: (٨) ملاعب وحوالي (٣١) مساحة خضراء مخصصة لمختلف الألعاب و (٥) مسابح وهي في مجموعها غير قادرة على استيعاب التدفق الهائل للشباب نحو مختلف الرياضات.

الثقافة:

وهي من بين اهتمامات الميزابيين رغم أن المرافق المخصصة لهذا القطاع تعد ضئيلة حيث يوجد في كامل تراب الولاية (٥) مراكز ثقافية و (٥) دور للشباب ومكتبة عمومية واحدة و (٥) قاعات للسينما

السياحة:

وهو من أكبر القطاعات، حيث عرف هذا القطاع توسعاً ملحوظاً شمل بعض المناطق ذات العطاء السياحي لمدينة **«زلفانة»** التي تزخف بحماماتها المعدنية وكذا مدينة **القرارة**.

وتبقى مدينة غرداية إحدى المناطق السياحية الهامة، والتي تستقبل كل يوم أفواجاً كبيرة من السياح ولذلك فإن الجانب السياحي يحظى باهتمام خاص من طرف السلطات المحلية.

ومن ثم تقرر تدعيم مشروع إنجاز النزل الحديث الذي هو في مراحله الأخيرة. وتقدر طاقة استيعابه بـ(٦٠٠) سرير وإن كلاً من **زلفانة ومتليلي والمنيعة والقرارة**، تبقى هي الأخرى إحدى المعالم السياحية المعتبرة. وهي بحاجة إلى عناية خاصة واهتمام مستمر دون أن ننسى **العطف وبني يزفن وغرداية**، هذه المدن المشهورة تستحق بدورها كل الاهتمام لا سيما أن الطابع العمراني لمدينة **غرداية** يدخل ضمن التراث الثقافي العالمي الذي أوصت به **منظمة اليونسكو**.

العمران:

لقد برع الميزابيون في تشييد اللوحات الخمس المتشابهة، فأول ما تلحظه في تلك المدن موقع كل منها والذي يتخذ شكلاً منحدراً ويسمى بـ المنحدر المستقطب الميزابي "LA PENTAPOLE MOZABITE" والتحصينات العظيمة التي تتمثل في الجدار الذي يحيط بالمدينة، وأبراج الحراسة التي بنيت على أربع أو خمس طبقات على غاية من حسن مراعاة استراتيجية الحراسة وفي نقاط متقابلة كان يتنقل الخبر إليها واحداً إثر الآخر بالإشارة الضوئية (نار) أو غيرها في أقرب وقت. . .

وإذا تخطينا جدار المدينة فإننا سنشاهد نماذج للتكتيك الحربي، وحيل الدفاع عن المدينة، والذي يتمثل في تخطيط المدينة أولاً، ثم في الطرقات، بحيث تجد الطرق الملتوية أحياناً إلتواءً لا مبرر له، ولماذا إنحبست الزاوية هنا وانحسرت في أخرى. . هنا يكمن السر.

ويعتبر البيت الميزابي أحسن نموذج للبيت المتكامل، لتواضعه وبساطة شكله. فالدار بطوابقه وأسطحه حول فناء داخلي يدخل منه الهواء والضوء إلى وسطه، بحيث تكون الدار مغلقة من جهة الشارع باستثناء بوابة صغيرة. . ولكنها - أي الدار - مفتوحة إلى السماء وإلى الطبيعة، وكذا بجدرانها السميكة التي تلطف حرارة فصل الصيف المحرقة وبرودة فصل الشتاء القارصة، وليس هناك أثاث كثير إذ توجد الرفوف على الجدران، وأدوات الرحي في زوايا المنزل. وطاولة وسرير حجري في غرفة أخرى وخنادق صغيرة بدلاً من الخزانة لمستلزمات الدار.

هذا مما جعل الكثير من مهندسي العالم يعترفون بروعة وتكامل الفن المعماري بعد أن زاروا وادي ميزاب ومنهم المعماري: **لوكوربوزييه "LE CORBUSIER"، بول فاليري "PAULE VALERY"، أندري رافيروا "ANDRE RAVIROIX"، ريكاردو بوفيل "RECARDO BOVILLS"** وغيرهم. . ومنهم من تأثر بهندستها المعمارية مثل المهندس المعماري الكبير **لوكوربوزييه "LE CORBUS'IER"** الذي أعجب كثيراً بمسجدها العتيق - **مسجد سيدي إبراهيم** - المشيد في القرن الرابع للهجرة فأخذ بعض التقنيات لإنجازه كنيسة «رونشوم» **"LA CHAPELLE DE RONCHAMP"** حيث أطلق على بساطة ونوعية وسهولة عمارتها بـآلات للإسكان "MACHINES' A HABITER"

ولأن الميزابي أصيل ومحافظ على تقاليده الشعبية وعادات أجداده، فإن الحضارة لم تغير منه شيئًا، بل يتقبل ما يفيده ويطوره ويرفض كل ما يرده عن أصالته. . . فهم (الميزابيون) كما يقول عنهم الباحث الفرنسي بيير بورديو «مستعدون اليوم كما كانوا دائماً فيما مضى لتقبل هذا التطور الجديد وللإندماج فيه لبذل كل جهد لكي يبقى ميزاب ويدوم.



نهج السوق

أهم المصادر

١ - «الجزائر في التاريخ» الجزائر منذ نشأة الحضارة (عصور ما قبل التاريخ وفجر التاريخ) - الجزء الأول -
تأليف الدكتور: محمد الطاهر العدواني
صدر عن: وزارة الثقافة والسياحة
المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر ١٩٨٤م.

٢ - مجلة «التاريخ» العدد «١٩» النصف الثاني من سنة ١٩٨٥م.
الصادرة عن: المركز الوطني للدراسات التاريخية
مقال بعنوان: وادي ميزاب.
بقلم الأستاذ: بابا وإسماعيل عمر
ص: ١٠٣ - ١١١

٣ - مجلة «الثقافة» السنة العاشرة - العدد ٥٧ جمادى الثانية رجب ١٤٠٠هـ - مايو - يونيو ١٩٨٠م
الصادرة عن وزارة الإعلام والثقافة
مقال بعنوان: اهتمامات الفرنسيين بجنوب الجزائر والصحراء.
بقلم الدكتور: يحيى بوعزيز. ص: ١٥ - ٢٨

٤ - «حلقة العَزَّابة ودورها في بناء المجتمع المسجدي»
تأليف الدكتور: محمد ناصر
جمعية التراث - القرارة - ١٩٩١م.

٥ - «وادي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية» دينياً - تاريخياً - اجتماعياً
تأليف: بكير بن سعيد أعوشت
المطبعة العربية - غرداية - ١٩٩١م.

٦ - «الفكر السياسي عند الإباضية» من خلال آراء الشيخ: محمد بن يوسف أطفيش
تأليف: عدّون جهلان
جمعية التراث - القرارة - ١٩٩١م

٧ - «حول مزية مدن جزائرية قيمت على قصص حبر»
تأليف: الشيخ عبدالله بن النطابلي رحمه الله.
تحقيق: محمد بن موسى بابا علي
جمعية التراث - القرارة - ١٩٨٩م

٨ - «المجتمع المسجدي»
لإبراهيم بن عمر بيوض
أعد هذه الرسالة: محمد ناصر بوحجام
من المعهد الوطني للتعليم العالي للآداب العربية بباتنة - المطبعة العربية - ١٩٩٠م.

٩ - «خواطر حول الوضعية الاجتماعية والعلاقات الإنسانية في غرداية»
تأليف: مصطفى إبراهيم رمضان
جمعية التراث - القرارة

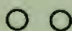
١٠ - «ولايات في تطور» عن وكالة الأنباء الجزائرية
الجزائر ١٩٨٩م

١١ - «الأطلس العالمي» تأليف: المعهد التربوي الوطني - الجزائر

12 - "GEO" MAGAZINE FRANÇAISE
No 70 Décembre 1984

13 - "M'zab.. JARDINS' D'ALLAH, JARDINS' D'EDEN"
JACQUES OLIVER PAGE: 100 - 103

14 - "M'ZAB.. LEÇON D'ARCHITECTURE" PREFACE: HASSEN FATHY





الشرق في عيون الغرب



قافلة في الصحراء DESERT CARAVAN - لازرجيه - المدرسة الفرنسية - رسم بالزيت - عام ١٨٩٩م





بقلم الشيخ: حمد الجاسر

من هُنغ كنغ .. إلى الفلبّين

في الحلقة السابقة من مذكراته تابع القارئ ما ذكره الشيخ حمد الجاسر بعد هبوطه في مطار (تايبي) وفي هذه الحلقة يواصل مشاهداته مبتدئًا بالحديقة التي بجوار الفندق الذي نزل فيه.

في داخل تلك الحديقة قصر تعلوه قبة، حول بابها المغلق خليط من الناس من رجال ونساء تبدو منهم حركات غريبة، على نسق واحد، ينحنون معًا، ثم يمدون أيديهم ويحركون أكفهم تحريكًا أشبه بحركة رؤوس الوز عند مشيه، لعل التطلع إليهم مما يثير استغرابهم وفي الحديقة متسع كما يبدو من كثرة داخليها ها هو ميدان واسع للعب الأطفال مملوء بالأراجيح والمزالق وها هي بحيرة فوقها جسر يمر الناس فوقه ولكن ماذا يفعل هؤلاء؟ كل من هنا يمارسون أنواعًا من الحركات غريبة ومختلفة من انحناء وهز رؤوس ووسط أجسام وتحريك أيدٍ وأرجل بمدٍ أو قبض وغير ذلك من أنواع الحركة أبرز مميّز لها إنها بهدوء وتأنٍ حتى أراجيح الأطفال مملوءة بنساء ورجال، حسنًا لقد اعتدت أثناء المشي في الصباح، الإسراع مع تحريك بعض أجزاء جسمي حركات قد يعتبرها ذوو الفضول شاذة غير لائقة فكنت أتحاشى فضولهم في بعض الحالات حين أسير في غير الأمكنة الخالية. والآن (جاك يامهنا ما تمنى) إنني بين أناس لن أفعل غريبًا بينهم، والمكان على جانب من السعة يهيىء لي المشي كما أشاء وأن أحرك من أجزاء جسمي ما أريد تحريكه، بعيدًا عن أعين الفضوليين الذين لو رآني أحدهم لوصمني بالجنون (الله يخلف عليه عقيله)!!.

ساعتان لم تمضيا في المشي ولكنني كثيرًا ما أقف فهذا تمثال ضخم لرجل طويل اللحية وليس كثها ذو ملابس فضفاضة إنه يشبه صورة (كنفشيوس) ولعل هذه القبة من معابده.

وهذه شجيرات قد أبدع في تنسيقها فبدت زهورها المختلفة الألوان، تكاد تقسر الأبصار قسرًا حتى تتعلّق بها.

وهؤلاء أناس مع كل واحد منهم قفص بداخله طائر لولا ارتفاع تغريده لما أبصره الرائي. قد جلسوا تحت أشجار عالية، فوقها طيور تغرّد فتجاوبها الطيور التي في الأقفاص.

ومظهر هؤلاء القوم ينمّ عن بساطة أو فقر، فعندما ينتهي بعضهم من حركاته يجلس على أحد الكراسي فيخرج من جيبه أو حقيبته لفافة صغيرة يأكل ما بداخلها وليس في الحديقة ما يباع سوى الزهور أو الطيور، قد أُحضرت من خارجها، إنْ لم تكن أُحضرت لتعلم التغريد، أو للاستنبات. وباستثناء من

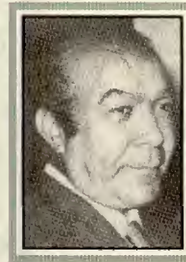


تزخر بهم الفنادق، والأمكنة التي يرتادها السياح فالقوم أقزام، صفر الوجوه أو سمرها نقر العيون فطس الأنـوف ذوو جلبة وأصوات مرتفعة حين يجتمعون ولا يجد المرء بينهم من الـرقـة وكلمات المجـاملـة ما يجده في اليابـانيين، والمقـاهي والأزقة الصغيرة ممتلئة بالجالسين ممـا يدل على قلـة الأعمال في هذه البـلاد وقد اتضح لي هذا جليًا حين ذهبت هذا الصباح إلى السفارة فقد رأيت داخلها أُناسًا لم أعتد رؤيتهم، وعلمت أنهم طلاب سمة دخول في بلادنا للعمل.

وتقع السفارة في إحدى ضواحي مدينة (تايبي) وتمتاز هذه الضاحية بالمباني الحديثة والشوارع الواسعة بل بجمالها الطبيعي فأرضهـا تنتشر فيهـا الحدائق وسفـوح الجبال الممتـدة بامتـداد تلك الضـاحيـة مكسوّة بـالخضرة وكل الأرض بامتداد البصر ـ خضراء كثيرة المياه الجارية.

وقـابلني في السفارة الأخ الكـريم **أحمد علي أبـو عشي** من بـلاد عسير وحسبك بأهل هذه البلاد لُطفًا و حسن استقبال وتربطه بالصديق **الأستاذ عبد الله بن علي بن حمد** ـ رحمه الله ـ صلـة صهر ونسب، ومنه علمت بـوفاة ذلك الصديق، ولا داعي لإبداء الحزن، و إن كان فقد مثله مما يحزن، ولكن مما يبعث في النفس بالغ الأسى أنني لم أقـرأ في صحفنا كلمة رثاء لهذا الفقيـد الجدير بأن يشاد بما له من علم وأدب وفضل، فهو بـالنسبة لذلك الجزء الحبيب من وطننا من روّاد الأدب والبحث والاهتمام بالدراسات التاريخية، بل لم أعرف من يساميه فضـلاً في ذلك بين أهل تلك البـلاد ، وكـان ممن تصـدى لكتـابـة القسم المتعلّق بها من «**المعجم الجغرافي للبلاد العـربية السعودية**» وله كتابات تتعلق بهذا الجانب نشر بعضهـا في مجلة «**العرب**» : لا أقول: ما أقل الـوفاء في هذا الزمان بل ما أعظم النسيان بين أهله، لقد ذكرت ما جرى لشاعر مصري عاش في بلادنـا زمنا، ومـا كان بالخامل الـذكر ولا بالمغـرور، ثم عاد إلى بلـده وكان يسكن في فندق يدعى (نيتاكريس) إنْ لم تخنى الذاكرة فأنا أعرف موقعه بالقرب من شارع **فؤاد** ـ وليس هذا مهما ـ ولكن قراء «**الأهرام**» علموا بعد ثلاثة أيام بوفاة الشاعر أحمد فتحي من خلال كلمات حزينة بقلم (**الملاخ**):


أحمد فتحي


كمال الملاخ

مسـاكين أهل العشق حتى قبورهم عليها تراب الذل بين الخلائق!!

رُبَّ فرحةٍ تعقبها ترحة، فقد كنت في طريقي إلى السفارة يطغى على نفسي من بـواعث السرور والبهجة بـرؤية مـا في تلك الضـاحيـة من جمال لا أستطيع وصفه، وها أنا أعود من حيث أتيت ولكن بشعور غريب، جعلني في حالة من التأثر والقلق، بحيث لا أبصر ـ فيما حولي من مظاهـر الجمال الرائع ـ سوى ما يجدد في نفسي بواعث الحزن والشجن، وما أقسى فقد الأصدقاء!!.

إلى هنق كنق (Hong kong)

السـاعـة الآن الثـالثـة بعـد الظهـر من يـوم الخميس ١/ ٥/ ١٣٩٩هـ ـ ٢٩/ ٣/ ١٩٧٩م ولا حركة خارج مطار (**تايبي**). هذه ثماني سيارات فخمة، هي كل ما عند باب المطار من السيارات، إنها كلها تحمل علم بلادنا مع العلم **الصيني**، لقد علمت من الأخ **أحمد علي أبو عشي** زيارة **وفد عسكري سعودي** لهذه البـلاد، فهل هذه سيـارات ذلك الـوفد؟ حتى سـائقـوها لا يـدرون؟ أو يتجاهلون وماذا يعنيني من أمرها، لولا أن لهذا **العلم الأخضر** في النفس ما يثير فيها غريزة حب الاستطـلاع مظهر التنظيم والتعبير في هذه البلاد لا يقف على حد مـا يشاهـده المرء في هذا المطـار، بل هو شـامل وباستثنـاء وسط المدينة، فالشوارع واسعة والجسور الكثيرة تتقاطعها وحركة المرور منظمة.

> «خجلت عندما رأيت المكان الذي كان يجتمع فيه "هتلر" بمشاهير عصره»

وعندما شارفت الساعة الرابعة بل زادت حضر موظفو (**الطيران الياباني**).

من الخير للمـرء بعد مغـادرة **اليابان** أن يختـار من الفنـادق ما استطـاع الاختيار، وأن لا يرتـاد أي مطعم لقد طلبنا حجـز غرفة في (**هلتن**) أو في أحد الفنادق المماثلـة: وها هـو موظف الطيران يظهر لنـا أسفه لعـدم وجود محل في ذلك الفندق، ويقول: إن الفنادق في (**هنق كنق**) كثيرة في تلك البلاد، ومن السهولة بمكـان اختيار الفندق بعد الـوصول إلى تلك البلاد غير أنني سمعت أخبارًا كثيرة عن ازدحـام الفنادق هنـاك، بل قرأت مـا كتبه أحـد الإخوة: (إن بعض القادمين إلى هذه البلاد ينامـون في صالات الفنادق أ ويعودون إلى المطار ليسـافروا بعـد أن فشلوا في الحصـول على مأوى لهم في (**هونج كونج**) مع كثرة فنادقها فإنها لا تكاد تخلو فيها غرفـة على اختلاف مستوياتها، مما يؤكد ضرورة الحجز فيها قبل السفر إليها بما لا يقل عن أسبوع).

كان الأخ (**أبو عشي**) نصحني بالسكنى في أحد فنادق ثلاثة سماها لي: وأن يكون حجز المكان مقدمًا، فقد لا أجد فيها مكانًا خاليا عند الوصول إليها. لم يبق على السفر إلاّ نحـو السـاعة! فكان الاتصـال بالأخ (**أبو عشي**) وبواسطته انحلّت مشكلة الفندق، ففي المطار سنجد سيارة تابعة **لفندق (الحياة) لنسمه** بهذا الاسم أما اسمه فهو (**حياة ريجنسي هونج كونج Regency Hong Kong Hyatt**)

وفي هذا الفندق سنجد شخصًـا سماه لنا أخونا أحمد، وقد تعهد له بتهيئة مكان لنا في هذا الفندق أو غيره.

كـان استقبالاً كـريمًا من ذلك الشخص، وها هـو المحل في الفندق، إنـه يسع الأسرة كلها لو كانت معنا. إنـه جناح متعدد الأمكنة، لم أعتد السكنى في

مثله، بل لم يحدث لي ذلك سوى مرة واحدة (**مكره أخوك لا بطل**) فقد قدمت مدينة (**باد قود سبورج**) في **ألمانيا** في آخر أكتوبر سنة ١٩٦٠م فأنزلني أحد الإخوة في (**فندق دريسن رين**) وقد خجلت عندما رأيت المكان، ثم بعد ذلك عرفت أن (**هتلر**) كان يجتمع ببعض مشاهير ساسة عصره في المكان الذي حللت فيه، خجلت من أن أطلب مكانًا ملائمًا وكما قيل: (إذا عزمت بك فانتخ) وهكذا كان في الحالتين وفرق بينهما. فما قبل خمسين عامًا لم أدفع أجرة للسكنى في ذلك المحل (التاريخي) سوى سبعة عشر من **الماركات الألمانية**.

والآن تتجاوز أجرة السكن الليلة **١٥٠٠ دولار صيني** بما يضاف إليها (**أي أكثر من ٣٠٠ دولار أمريكي**) مما ذكرني بما حدث لي قبل عشر سنوات، فقد كنت في مدريد فاحتاجت **أم محمد** إلى مراجعة أحد الأطباء فتفضّل **السفير الكريم الأستاذ فيصل الحجيلان** بإرسال أحد موظفي السفارة في سيارتها معنا إلى الطبيب، ليتولى الترجمة وكان **جزائريا ـ** ولا يزال يعمل في السفارة ـ فأحال الطبيب **أم محمد** لطبيب آخر يتولى تحليل الدم، ورفض قبول أجرة الكشف لأن أصله ـ على ما قال لنا أخونا **الجزائري ـ عربي ـ** ولما عرضنا عليه نتيجة التحليل وكتب الدواء طلب مبلغ مئة دولار !! ـ أجرة الكشف ـ فقط مئة دولار!!. ولما أردنا التفاهم مع أخينا الجزائري رأينا من الخير لنا عدم الكلام و(**إذا وقعت يا فصيح، لا تصيح**) وقال لنا أخونا **عبد المحسن السمان** وكان يعمل في السفارة: ـ سيارة السفارة، ومترجم السفارة، أربع آبار (بترول) في كل جيب بئر، فكيف تستكثرون مئة دولار؟!!.

لقد قدم لنا ساعة دخولنا ما يقدم للضيف العزيز النازل في كنف محب كريم، القهوة والشاهي وأنواع الفاكهة والحلوى، وحف بنا المضيفون من كل جانب، وكنت في أثناء الرحلة ـ وهي ساعتان (٧٥٠ ميلا) قد أحسست بصداع، فكنت في حاجة إلى الراحة، فكررنا عبارات الشكر، مع التلميح بأننا لسنا بحاجة إلى شيء، فلم يكف التلميح، فاضطررنا للتصريح، وبعدم الحاجة إلى بقاء أحد عندنا.

وفي الصباح (**راحت السكرة وجاءت الفكرة**) وكنا عندما مررنا بمكان الحجز في الفنادق في المطار علمنا بوجود أمكنة في (**هلتن**) **وفي** غيره ولكننا فضلنا الفندق الذي ساعدنا **الأخ أبو عشي** بالحجز فيه، غير أن أجرته ـ بالنسبة لما قدرناه لكل الرحلة من نفقة ـ لا تتلاءم مع حالتنا، فكان الانتقال إلى غرفة ذات ثلاثة أسرة، بثلث تلك الأجرة، وفي الفندق الذي حللنا فيه، ولم أنس تسجيل كلمة استحسان لهذا المنزل الجميل (الجناح) في الدفتر المخصص لذلك، وقد شغلت منه تواقيع أناس كثيرين صفحات كثيرة، ومن بينهم من حباه الله بسطة في المال فارتفع بها درجات.

هذه الأنوار التي بهرتنا حين أقبلنا على المدينة وحين سرنا في الطريق إلى الفندق، إنها تذكر بمدينة (**باريس**) ولكن المدينة فيها يبدو صغيرة، ولتقارب المحلات برزت قوة الإضاءة وقد اتضح هذا حين خرجت صباحًا ـ كعادتي ـ ها هو البحر على مقربة من الفندق، وها هي الحديقة فوق تل مرتفع، يتوسط المدينة، وليست خالية كالحديقة التي رأيتها في (**طوكيو**) بل مملوءة بالناس في هذا الوقت المبكر ـ قبل الساعة السابعة صباحًا ـ والرذاذ يتساقط من السحاب مما اضطر الناس إلى التجمع تحت الأمكنة المسقفة، ثم انقشع الغيم فجأة فانتشر الناس في جوانب الحديقة رجالا ونساء وها هم يمارسون حركات رياضية شبيهة بما شاهدتهم يفعلون في (تيبي).

وفي العودة خرجت من باب لم يكلفني النزول من ٦٤ درجة صعدتها لأبلغ قمة التل الذي تنتشر الحديقة على جوانبه وفوقه.


فيصل الحجيلان

,, عندما قالوا لنا: سيارة السفارة تمثل آبار بترول .. فادفعوا..!! ,,


مسجد كولون

البلاد **مستعمرة بريطانية** ولهذا فأسماء الشوارع مكتوبة **بلغة الإنجليز والعملة** تحمل صورة ملكتهم وهذا الشارع أطول شوارع البلدة إن لم يكن أعظمها يحمل اسم (NATHAN).

وهذه كتابة عربية فوق مدخل هذا المكان الواقع في سفح التل، إنها كلمة (الشهادتين) وتحتها: (**مسجد كولون**) الباب مفتوح وهو بيت من **بيوت الله**، وهذا رجل مستغرق في نومه في الداخل في محل ملحق **بالمسجد**، يظهر أنه لا عهد له بالتنظيف، منذ أيام ثم بركة صغيرة أعدت للوضوء وبجانبها مراحيض وبرحة المسجد متصلة بها، مفروشة بنوع من الحصير ثم في قبلتها باب كبير مغلق وخوخة استطعت أن أفتحها بعد معالجة ومنها دخلت المسجد إنه واسع ونظيف وفراشه حسن، وبجوار منبره عدد من المصاحف.

لم أر للمسجد منارة، إن أرضه واسعة، ولكن الأمكنة الملحقة بالمسجد منها أظهرته بمنظر مزر، لعدم نظافتها، ولحاجتها للإصلاح والتعمير.

سآتي ظهرا إلى المسجد، فقد حرصت حين كنت في (**تيبي**) أن أذهب إلى المسجد الموجود فيها، فقال لي **الأخ أبو عشي**: إنه لا يفتح إلاّ يوم الجمعة،

بعد أن ينتهي الناس من أعمالهم الساعة الثالثة، وذكر لي من أحوال المسلمين في هذه البلاد ما يدعو للاستغراب ولا سيما حين يقارن بما تقوم به كثير من الجهات في بلادنا في سبيل الاهتمام بأمر المسلمين، وكان **السيد زين العابدين الدباغ سفيرنا في اليابان والصين وكوريا** ـ حدثني بأمور غريبة عن عدم التناسق بما يبذله المعنيون بالشؤون الإسلامية من مساعدات تكون قليلة الجدوى، إن كان لها جدوى.

إننا في بلدة تدعى (كولن **Kowloon**) أما اسم **هونج كونج فيطلق** على مدينة أخرى في جزيرة تدعى بهذا الاسم الذي أطلق على قسم واسع من **بلاد الصين**.

لم أجد في المسجد الساعة الواحدة ظهرًا سوى رجل كان يغسل أشياء معه من ماء البركة، فلما رآني داخلاً ترك ما بين يديه وأقبل إليّ فبدأته بالسلام، فرد علي (السلام عليكم) و أشار إليّ بأن أخلع الحذاء، ظاناً أنني سأتقدم إلى المسجد، لم أفهم من كلامه سوى **(مسلم) و (صلاة)** ثم أتى إلي بأوراق مكتوبة باللغة العربية، وصار يقرأ بعضها بلكنة غريبة، ذكرتني ما سمعته من **الدكتور عبد الوهاب عزام** ـ رحمه الله ـ حين كان المستشرق **لويس ماسنيون يتحدث في** (مجمع اللغة العربية) باللغة العربية حديثًا هو إلى العجمة أقرب، فقال لي الدكتور هامسًا: **(لو تحدث بالفرنسية لكانت أقرب إلى العربية من لهجته)**. **لقد ظن الرجل أنني هندي** ـ وقد تركته على ظنه ـ ليتحدث لي عن الإسلام، وليشرح لي بعض ما يقرأ، ثم سمع صوتًا منبعثًا من حجرة قريبة منا، صرفه عن الحديث معي.

نفق تحت الماء

من فضول القول الحديث عن جمال هذه المدينة التي يحتضنها البحر من جانب وتمتد جوانبها الأخرى على سفوح مرتفعة تكسوها الأشجار وتتدفق في جوانبها الأنهار وتنتشر فيها الحدائق ويقابلها على الشاطئ الآخر من البحر ـ وهو ليس عريضًا ـ مدينة (هنق كنق) في جزيرة يوصل إليها بمراكب بحرية في خلال دقائق، كما يمتد بين المدينتين نفق يخترق البحر لمرور السيارات وهذه المدينة مستطيلة على ساحل البحر وفي سفوح جبال، تتخللها وهاد وآكام، وتنتشر القرى.

وقد سرت مع أحد الأفواج السياحية ضحوة في ضواحي هذه المدينة، بالسيارة، ثم بقطار صعد بنا جبلاً مرتفعاً حتى بلغنا قمته، ومنها أشرفنا على المدينة الممتدة على شاطيء البحر.

إننا بين خُضرة ما يحيط بنا من غابات، وزُرقة ما نشاهد تحتنا من خلجان البحر التي تتخللها البنايات الشامخة، والسماء تحجبها عنا الغيوم، والجو سجسج لا قرّ ولا حرّ، وهذا الشاطئ على مقربة منا بعد أن انحدرنا من الجبل تنتشر المظلات لاتقاء الشمس فيه، إنّ الفصل صيف وها هم الناس يهربون من حرّه إلى هذا الشاطئ الجميل، بقرب هذا الفندق الذي قالت دليلة الرحلة إن سبب بنائه قائم على حكاية خرافية ملخّصها أن ثريًا صينيًا مصابًا بالعقم، نصحته (**كاهنة**) لكي يولد له بأن يبني فندقين اثنين، هذا أحدهما ويجب أن تتجاوز غرف أكبر فندق في المدينة والآخر يجب أن تكون غرفه أقل من غرف أصغر فندق فيها، ففعل ذلك، ولكن **(الكاهنة)** هي هي، في كل زمان ومكان، وكذا الناس ولكنهم في البلاد الشرقية لا يزال للخرافات في النفوس من الرسوخ ما لم تزعزعه معجزات العصر.

"حاولت استخدام العودين في الأكل ففشلت، وحين ذقت الطعام قلت: الجوع أحسن !!"



لم أستطع ـ صباح هذا اليوم ـ البعد عن المنطقة التي يقع فيها الفندق، بسبب هطول المطر، فاضطررت بعد أن ابتلّت ملابسي للدخول في أحد المطاعم وكان حسن المظهر ولما جلست وضع لي الندل إبريقا ملأ كأسا منه أمامي ماء أصفر، إنه شراب يدعونه (تي) أي شاهي، ولا يقدمون معه سكرًا ولهذا فطعمه **(سامج)** لا حلو ولا مر، وبعد أن يمكث زمنًا قصيرًا يصير طعمه مرًا، ويصفر لونه، وقيل لي: إنه نبات معروف عندهم يوضع في الماء ثم يغلي وقد يقدمون بدله نوعًا من الشاهي، شربت القدح الذي أمامي منتظرًا تقديم قائمة الأكل، فطال زمن الانتظار حتى (قعبت) كل ما في الإبريق، بدون أن أسأل عما أريد، فاتجه نظري إلى رجل جلس قريبًا مني، لأفعل مثل فعله وكان يتردد بين الجالسين عدد من النسوة، يحملن أطباقًا يعرضنها، وينادين بأصوات أشبه بنعيق الغربان، فرأيت الرجل وقد مرت بقربه إحداهن يشير إلى أحد الأطباق فتقدمه له، ففعلت مثله، ثم رأيته يتناول بعودين وضعا أمامه مما في الطبق، فقلدته فلم أحسن التقليد، فقد سقط ما تناولت، فأخذت مما في الطبق بيدي، ولكنني لم أستطب طعمه، فمرت أخرى فتناولت منها طبقًا وجدت طعمه لذيذًا إنه **(ربيان)** قد غلف بقشرة رقيقة من العجين المطبوخ، أشبه بما كان معروفًا باسم **(اليغمغ)** مما يعمله **البخارية**، وما زلت أختار مما

يعرض عليّ حتى اكتفيت. فجاء الندل فعد الأطباق التي أمامي، وقدم ورقة حساب لم تبلغ دولارين اثنين!! (٦ دولارات صينية).

هذا المطعم صيني والمطاعم **الصينية** منتشرة في كل البلاد التي مررت بها. ولكن ليست كلها على مستوى واحد من حيث النظافة، وهي وإن امتازت بالبساطة وبرخص ما تقدم من الأطعمة إلاّ أن أنواع تلك الأطعمة مما لا يتهيأ تمييزها لعابر سبيل - مثلي - ولا أزال أتذكر ما حدث لي حين دخلت مطعمًا فخمًا في مدينة (لندن) فرأيت أمام إنسانين على مقربة مني طبقًا مملوءًا بنوع من الطعام شديد الخضرة، ظننته من المقبلات (**سلطة**) **فأشرت للندل بأن يحضر لي مثله. فلما وضعه أمامي صدمت برائحته التي لم أستطبها، فكانت الصدمة أعنف عندما وضعت اللقمة الأولى منه في فمي.**

لقد تغير الجو هذا الصباح فجأة فتكاثفت السحب واسودّت السماء، وأظلم الجو، وقصف الرعد شديداً ثم هطلت الأمطار غزيرة. وعصفت الرياح قوية، وكانت درجة الحرارة في الليل ٢٨ (مئوية) فانخفضت في الصباح.

لقد قررنا السفر هذا اليوم - عفوًا فنحن ثلاثة لهذا استعملت ضمير الجمع - فماذا سنفعل لو استمر الجو على هذه الحالة؟ إننا في الصيف فهل ترى المثل القائل: (سحابة صيف عن قليل تقشع)؟ هل تراه يصدق؟.

إن علينا أن نخلي الغرفة قبل الساعة الثانية عشرة، سواء سافرنا أو بقينا، والسفر سيكون الساعة الثالثة والنصف للتهيؤ له في المطار، لا لإقلاع الطائرة.

وفجأة - وكنت أتقي المطر عند مدخل الفندق سطعت أشعة الشمس من خلال السحاب الذي سرعان ما تمزق، ثم هدأت الرياح، وكل ما معنا من أمتعة قد وضع أمام مدخل الفندق، فإلى المطار فهو خير مكان نقضي فيه ما تبقى من وقت قبل السفر، (ومن تقدّم لم يتندّم).

كان إقلاع الطائرة من مطار (هنغ كونغ)[1] الساعة الخامسة بعد ظهر يوم الجمعة ١/ ٥/ ١٣٩٩هـ (٢٧/ ٣/ ١٩٧٩م) ومدة الطيران ساعتان (٧٥٠ ميلا) والمعاملة في مطار «منلا» (قاعدة الفلبين) سهلة سريعة، وما أكثر الناس عند باب المطار، بل ما أشد الازدحام، ومضايقة المتعرضين للمسافرين لحمل الأمتعة والإرشاد إلى الفنادق، ولعرض سيارات الأجرة.

لم نعتمد على مكتب الطيران في الحجز في أحد الفنادق، كما حدث حين أردنا السفر من (تايبي) وسرنا على طريقة (إذا واعدت جمال فواعد عشرة) فأخذنا ورقة من الفندق الذي سكنا فيه لحجز غرفة لنا في الفندق نفسه في (**منلا**) فاستقبلنا أحد العاملين فيه وتولّى الإشراف على حمل أمتعتنا وإيصالنا إلى الفندق، وكان من المطار وأجرته مقاربة للأجرة في الفندق الذي غادرناه ٣٧٥ بيسة (أي نحو ٥٠ دولارا أمريكيا (٢٥/ ٧ = دولارا واحدًا) أجرة غرفة ذات ثلاثة أسرة.

هنا الصيف حقًا فدرجة الحرارة ٣٣ مئوية، ومع كثرة الحدائق، والبرك، وقرب الفندق من شاطئ البحر أحسست بعد أن خرجت من الباب بلفح

تعجبت كثيرًا من المناظر غير الصحية المنتشرة في الشوارع، والتي تدل على البؤس..

الهواء الحار، مما حملني على البقاء في الفندق مع أن الوقت ملائم للخروج، فالساعة الآن لم تبلغ التاسعة.

وكان العشاء لثلاثتنا في أحد مطاعم الفندق منوّعا في الاختيار وكان حسنًا وقد استطبت نوعًا من طعام أهل هذه البلاد يدعونه (**كري كري**) من لحم الرأس والكرش والفراسن، كما اختار كل واحد منا طبقًا من الفاكهة الطرية، وما كانت القيمة بالنسبة لما قدم لنا مرتفعة، إنها لم تزد على عشرة دولارات أمريكية (٨٥بيسة).

المدينة فسيحة الأرجاء ممتدة الشوارع واسعة الميادين في جوانبها الأشجار الكثيفة الورق الطويلة مع كونها على ساحل البحر وفي براح واسع من الأرض لا جبال بقربها وحاولت أن أسير في الصباح في طريق يقع خلف الفندق لئلا أتعرض لسير السيارات، غير أنني بعد أن توغلت بين المنازل اضطررت للرجوع إلى الشارع العام، لضيق الأزقة وعدم نظافتها، مع جمال ما ينشر حول البيوت من الحدائق الجميلة، وتتخللها قنوات ومجارٍ تفضي إلى البحر.

لم أستغرب تخفيف كثير ممن قابلت من الملابس بحيث يكتفي بعضهم بما يستر عورته، فقد شاهدت في مطعم الفندق الذي سكنته في (تايبي) وقت الغداء من تجرّد من كل ملابسه سوى (**التبان**) ولم يثر انتباه أحد. والحديث عن الحالة الاقتصادية لا محل له، غير أن مما يبعث في النفس الاشمئزاز أن تقابلك امرأة تقود طفلاً وتحمل آخر، ويتبعها ثالث وترى إنسانًا متمددًا على الرصيف أشبه بالهيكل العظمي، وعلى مقربة منه جمع من الناس يتناول كل واحد منهم ما يريد من بائع أطعمة معرضة لما يقع فوقها، وفيها لحم السمك المشوي والحلوى وغيره.

لقد كان الحر شديدًا، أو هكذا أحسست به، لأن جلدي استلمس كما يقولون - هواء راكد، ورطوبة وومد، ورائحة ماء بحر، فإلى الفندق فالعود أحمد، وفي حديقته الواسعة، وبركته التي تفهق بالماء الصافي الأزرق، وفي حسن تنسيق ما فيه من النبات والزهور، ما يضفي على النفس من الراحة والاطمئنان ما هي بحاجة إليه، ولابد من زيارة (القنصلية) هذا صاحب سيارة خاصة عند باب الفندق يعرض خدمته وهذا أحد البوابين يحبذ الذهاب معه عن سيارة الأجرة وغاب عن ذهني المثل: (**أعط الخباز طحينك ولو أكل نصفه**) فكان الذهاب والإياب معه، ولم يطمئن على أجرته - أو غنيمته - حتى نصل الفندق، بل أوقف سيارته وطلبها، فقدمت له ثلاثة أمثال ما يستحق، حتى أرضيته بإغضاب نفسي، وإغضاب النفس محمود في بعض الحالات!!

«للحديث صلة»

هامش

(١) لعل الصواب كتابتها بالقاف بدل الجيم.

إنها الصحوة.. إنها الصحوة

المجموعة الشعرية الجديدة للشاعر محمود مفلح



محمود مفلح

بقلم: د. حسن الأمراني - المغرب



ثلاث سمات بارزة يمتاز بها محمود مفلح في مجموعته الشعرية الجديدة: «إنها الصحوة... إنها الصحوة» (١) وكل سمة تكفي لنقول بلسان الأدب الإسلامي: «نحن بخير».

(١) في زمن الانكسار الذي أصبح فيه الناس يتحدثون عن رسالة الكلمة ويتساءلون عن جدواها في عالم يكاد يكفر بالشعر من جراء ما تلفظه المطابع من شعر الألغاز والأحاجي والكلمات المتقاطعة وتحقيق الانتصار على مقاتل موهوم يأتي «محمود مفلح» في هذه المجموعة الشعرية ليثبت أن هذه الأمة لا تزال قادرة على العطاء الشعري المتوهج، وليعلن في الناس البشارة التي تقول:

لم يبق غير رصاصتين
وتبزغ الشمس التي رحلت
وتكتمل القصيدة... ثم يشتعل الحوار.

محمود مفلح - الشاعر الفلسطيني المدجّج بالإيمان من أجل ترسيخ الهوية الحضارية - ليس بحاجة إلى (بطاقة انتساب إلى الحزب) ولا إلى احتلال مقعد (تحت مظلة الكنيست). ولا يحتاج لكي يعلن عن توجهه إلى أن ينشئ قصة حب بينه وبين فتاة يهودية!!، ولا أن يبرز للناس (بطاقة هوية) تقول إنّ كل أهله (يحبون الشيوعية) متنكرا بذلك لجذوره، في سبيل مجد زائف... إنه ليس بحاجة إلى شيء من ذلك بتاتا لأنه يعرف طريقه جيدا، ويعرف أن أبجديته الأولى تنطلق من دعوة إبراهيم عليه السلام:

أبجدياتنا طموح وعزم وإخاء وألفة وأمان
نحن إسلامنا عظيم عظيم لا تداني إسلامنا الأديان
ما عرفنا سوى العدالة نهجا وسوانا دروبهم طغيان

في زمن أصبح فيه الإنسان بحاجة إلى واحة يطرح فيها عنه لأواء الهاجرة وإلى بساتين إيمانية تمنحه بعض نضارة الوجود يستطيع القارئ أن يطمئن إلى أن هذه الباقة (**إنها الصحوة... إنها الصحوة**) واحة من تلك الواحات، وبستان من تلك البساتين.

(٢) تحول الالتزام سيفا مصلتا على رقاب كثير من الناس فحكموه في أنفسهم، فإذا هو يغتال الفن، وينحر الأسس الجمالية للنص الأدبي، وتحول الأدب على يد كثير من رافعي لواء الالتزام إلى شعارات وهتافات تفتقر إلى أدنى قواعد الأدب الرفيع في حين فضل بعض الأدباء الهروب بعيدًا، والتبتل في محراب الفن بمعزل عن هموم أمته وجراحاتها. وقليل ما هم الأدباء الذين عرفوا كيف يوفقون بين هذه الثنائية الصعبة: الجمال والالتزام، وكيف يوحدون بين الشكل والمضمون توحيدا موفقا.

في وقت قام فيه بعض الشكلانيين بإبراز بعض الأسس الجمالية بمعزل عن القيم الخلقية معتبرا الشكل نفسه غاية يمكن أن تَحُلّ محلَّ المضمون، ظل الأدب الإسلامي - في نصوصه المشرقة إذ لا ينكر أن بعض ما ينشر باسم الأدب الإسلامي قد يكون جناية على الأدب الإسلامي نفسه - قادرا على الاستجابة لتحدي المعادلة الصعبة والمعقدة، الجمال والالتزام. ومحمود مفلح في هذه المجموعة ظل الشاعر الملتزم بقضايا الأمة وهموم الجماهير مع فهم واسع للالتزام، مما جعله يُوحّد بين الذات والموضوع أو لنقل بين الذات الفردية والذات الجماعية، دون أن يتجنّى على أسس الفن، أو يقدم القيم الجمالية قربانا على مذبح المضمون:

وأقولُ للجيل الجديد
أقول للجيل المحصّن بالعقيدة والمتوّج بالصَّباحْ
وأقول يا جيلَ الكِفاحْ
إنا بلونا الليلَ والأشباه والموتَ المؤجلَ والجراحْ
وأقول يا جيلَ المصاحفِ
يا خَيرَ الأرض، يا طلْق الولادة
ها أنت كالينبوع تدفق في صحارينا
وتمنحنا الوثيقة والشهادة



إن جلجلة النداء والنفس الخطابي، لم يحجبا جمال التعبير وروعة البناء وحيوية الصور، وانظر إلى هذا «الموت المؤجل» وما يحمل من دلالات على قساوة المرحلة الحضارية وخصوبتها في الوقت نفسه وتأمل هذا الينبوع المتدفق في الصحاري كما تدفقت رسالة الإسلام في صحراء الإنسانية لتعيد إليها زمنها الضائع في خضم المدنيات الزائفة.

الحداثة وخصومها

(٣) ويرتبط بهذا اليقين أمر آخر، تلحظه وأنت تنتقل من زهرة بين خمائل الديوان... في وقت يحتدم فيه الصراع بين أنصار الحداثة وخصومها، حتى تتجاوز فيه الحداثة حدودها الجمالية لتتحول على يد بعضهم إلى مذهبٍ فكري يمارس الهدم أو البناء فإذا أنصار الحداثة يرمون شعراء القصيدة (العمودية) بالتحجر والجمود، والعجز عن تجاوز الواقع، فضلا عن تصويره أو الاحتجاج ضده، وإذا خصوم الحداثة يرون (الحداثيين) عملاء ينقلون إلى جسد الأمة كائنا غريبا يرمي إلى نخر كيان الأمة من الداخل...

في هذا الوقت الذي بلغ فيه الصراع أوجه، يتقدم **محمود مفلح** ليسحب البساط من تحت أرجل المغالين من الطرفين، فإذا هو يقدم لنا في مجموعته النمطين معا: القصيدة والتنغيم (أو ما سمي خطأ القصيدة الحرة) وإذا هو في النمطين معا شاعر فذّ قادر على أن يبرهن على أن الشكل قالب فني يستطيع الشاعر الفحل أن يطوعه لما يريد من الأغراض.. مع هذا الديوان لا يستطيع أنصار الحداثة أن يحتكروا الحداثة لأنفسهم، ولا أن يزعموا أن الشعر الإسلامي عاجز عن ارتياد الآفاق، والمغامرة بالضربِ في أرض بكر، كما لا يستطيعون، - إلا مكابرٌ مما يتعصب للقديم - أن يدعوا أن كل الذين يكتبون الشعر الحديث يفعلون ذلك، إما عجزا عن القصيدة التقليدية، أو نكاية في تراث هذه الأمة وعقيدتها...

هذا إذن شاعر إسلامي يقدم لنا القصيدة (العمودية) فيوفق في شحنها بالقيم الحضارية، ويوفر لها القيم الجمالية مما يجعلها تضارع قصائد كبار شعراء القصيدة في العصر الحاضر...

(اقرأ مثلا: دربان - قالت - لا تقتلوا الورد...) كما يقدم لنا أنماطا من التنغيم، (القصيدة الحرة) فيرفع عنها الحجر المضروب عليها، وتتحول على يده إلى نداء إسلامي هامس أحياناً ومجلجلٍ أحيانا أخرى... واقرأ معي إن شئت قوله:

بحرٌ يموج وراية تتمزق ... فبأي حرف بعد ذلك أنطق
أنا إن سكت ففي السكوت جريمةٌ ... وإذا نطقت فما يفيد المنطق
النار تبتلع الحروف وأهلها ... وزماننا بالموبقات مطوق
وقصائد الشعر العقيم سخية ... كم ذا يجودُ بها الزمان ويُغدق
ها نحن نكتب بالدماء وجودنا ... وبمنطق النارِ الأكولة نعشق

هل تستطيع أن تبوّئ صاحب هذا الشعر منزلة دون منزلة بدوي الجبل أو أبي ريشة أو الجواهري، واقرأ قوله من أول ما يفتتح به المجموعة:

في سبيل الله أمضي
وعلى هدي كتاب الله قد أحكمت نبضي
أرتدي الفجر وأمضي في سبيلي
فإذا الشمس دليلي
وإذا الأنجم في قلبي وأعراس النخيل
*** * * * * ***
وعلى هدى كتابي
أكتب الفصل الذي يأتي
وأخطو فوق حد السيف أستنطق عرى البرق
كي أنقذ آلاف الرقاب

فهل تجد في مثل هذا الشعر ما هو دون أعلام الحداثة؟ أستغفر الله، بل إن هذا الشعر - بالإضافة إلى أنه يوازي شعر أولئك في الرؤية الجمالية - فوقه في شيء أساسي وهو أنه يصبّ في نهر الحضارة ويجدد قيمها... فلنهنئ أنفسنا إذن قائلين: حقا إنها الصحوة... في مجال الأدب أيضا.

(١) (إنها الصحوة... إنها الصحوة) مجموعة شعرية صدرت للشاعر محمود مفلح، عن دار الوفاء بمصر وهو الديوان الفائز بالجائزة الأولى في مسابقة أبها الثقافية لعام ١٤١١هـ.

جماعة الحيرة وأثرها في الشعر الحديث

في دولة الإمارات العربية المتحدة


صقر بن سلطان القاسمي


سلطان بن علي العويس

بقلم : أ . د . يوسف حسن نوفل - جامعة الإمارات

حين تذكر «الحيرة» الواقعة شرقي «الشارقة» يذكرها شعراؤها : سالم بن علي بن ناصر العويس المولود بالحيرة سنة ١٣٠٧هـ - ١٨٨٨م والمتوفى بمدينة «الشارقة» سنة ١٩٥٩م .

كما يُذكر سلطان بن علي العويس ، وأحمد بن علي العويس شقيق سلطان القاسمي ، ووالدهما الشاعر النبطي علي العويس .

ويُذكر صقر بن سلطان القاسمي ، ووالده سلطان ، وجد الشاعر صقر لأمه ، وجده لأبيه ، وابنة الشاعر صقر «ميسون» .

كما يُذكر الشاعر خلفان بن مصبح الذي ولد سنة ١٩٢٣م وتوفي سنة ١٩٤٦م ، كما يُذكر آخرون غيرهم .

ولعنا نتفق مع محمد العبدالله في تسميته إياهم بالمخضرمين ، (١) كما سنرى ، وسنعيش الآن مع جيلين يمثلان هذه المدرسة .

الجيل الأول ويمثله : سالم بن علي العويس (١٨٨٨ - ١٩٥٩)

الجيل الثاني ويمثله : صقر بن سلطان القاسمي ، وسلطان بن علي العويس وكلاهما ولد سنة ١٩٢٥ ، وخلفان بن مصبح (١٩٢٣ - ١٩٤٦) .

ونقصر مقالنا هذا على أشهر أعلام الجيل الأول :

سالم بن علي العويس : (١٨٨٨ - ١٩٥٩)

رائد الشعر في الإمارات

في بلدة الحيرة ، الواقعة بين إمارتي : الشارقة وعجمان . ولد الشاعر سالم بن علي العويس سنة ١٣٠٧هـ - ١٨٨٨م ، وهي بلدة شاء الله أن تكون موطن شعراء مرموقين من شعراء الإمارات ؛ مما جعل أحد (٢) دارسي الحركة الشعرية في الإمارات يطلق عليهم تسمية (جماعة الحيرة) ، ويصف شعراءها بأنهم «مخضرمون» كما سنذكر في حديثنا عن الشاعر «سلطان بن علي العويس» .

إن الشاعر يذكر في قصيدة (٣) (العلم والتعلم) خبر افتتاح المدرسة الأحمدية بدبي ، وطَلَبَ الكويت فتح مدارس لها في الإمارات ، إذ كانت إمارة الشارقة السبّاقة إلى ذلك ، يقول في مطلعها :

يا نهضة الشرق قُومي عَلِّمي قُومي   عليك منّي تحيّاتي وتسليمي

وفي هذا ما يلفت النظر إلى ضعف مستوى التعليم في ذلك العهد البعيد ، هذا العهد الذي شهد نشأة شاعرنا حيث وفد إلى (الحمرية) من نجد (٤) شيخان جليلان هما الشيخ عبدالصمد ، والشيخ عبدالوهاب ابنا عبدالعزيز بن عبدالله التميمي ، ليتتلمذ على أيديهما شاعرنا ، ويدرس القرآن الكريم ، ومبادئ الكتابة والحساب ، مُثبتًا تفوقه على أقرانه .

ومضت الأيام بشاعرنا يبعد عن الحيرة حينًا في كثرة حله وترحاله ويعود إليها حينا مشتغلا بتجارة اللؤلؤ ومتحدثا عن جانب إنساني ، حيث ينقد ظلم بعض أصحاب السفن البحارة والعمال ، ويحذرهم من ذلك الظلم في قصيدة (الغوص واللؤلؤ) (٥) ومطلعها :

لمن السفين تلوح كالأطلال ؟   بعد الزعامة والمقام العالي

تلك التي رفعت لـواء رجالها فـي المهمهـه القتال عنـد الآل

تلك التي بنيت لتجني لـؤلـؤا الله أكـبر مـن حصـاد لآلـي

حتى يستقر بدبي تاجرًا.

وها هو ذا يرثي والدته سنة ١٣٧٤ (٦):

أمي كفـاني يـوم بِنْتُ هُنـاك وحَبـا فـؤادي بـالـرضى مـولاك

الشاعر الكلاسيكي

إن المتأمل لتاريخ الشاعر في هذا الوقت المبكر من العصر الحديث، يجده مرتبطا بالثقافة الكلاسيكية التي كوّنت شاعريته، فهو يقرأ مجلة (الفتح) التي تصدر في القاهرة عن دار المكتبة السلفية لصاحبها محب الدين الخطيب، برغم مشقة وصولها والحصول عليها، كذلك مجلة (أم القرى) التي تصدر في مكة المكرمة (٧) والتي يشير إليها الشاعر في ديوانه (ص ١٦٨) كما سنرى (٨).

وأخذت شاعريته في الظهور قبل أن يتجاوز السادسة عشرة من عمره، ليحدثنا عن شاعريته في قصيدته (أو ما كفى ما نحن فيه ؟):

أظننت تكـرار القصيـد يفيدنـي فقضيـت ليلي شـاعـرا ونهـاري

لا، بـل تَعـذَّرَ مَنْ يـوافق فكـرتـي فطفقت أسهـر بـالخيـالِ السـاري

ويحدثنا عن نفسه في شعره:

عضّ الحـوادث في أديـم حياتـي وتكـاد تهـدم مهجتي زَفَـراتي

هـذي منـاجـاةُ نفسي لي ولا شَطَط إن البصيـرة في أرواحنـا بَصَر



محب الدين الخطيب



محمد عبده

إنه يذكر مدرسة (المنار) لمحمد رشيد رضا الذي كتب (تاريخ الشيخ محمد عبده)، وحين يموت محمد رشيد رضا يرثيه بقصيدته (مات الحبيب)، إلى رشيد رضا كما نشر عنه قصيدة له بمجلة (الشورى) سنة ١٩٢٦م، أما قصيدة رثائه فمطلعها:

غـرر الليـالي مـا لهن دوام مـات الحبيب وهكـذا الأيـام

هـذي (المنـار) تلـوحُ فهي يتيمـة أخـذتْ بهـا وبلبِّهـا الآلام

لم يبـق بعـد جـلالها وجمالها للنـاس إلا منطـق وقـوام

يتحـرم العقل السليم بسـاحهـا عنـد الخلاف ويـزهـر الإسـلام

وبقدر ما تأثر بمحمد رشيد رضا، تأثر بزعماء الإصلاح المسلمين والعرب من أمثال: جمال الدين الأفغاني، وأمين الريحاني، وسليمان الباروني، ومحمد الشنقيطي، ومحمد البشير الإبراهيمي، وعبدالعزيز الثعالبي، وها هو ذا يحدثنا عن زيارة هذا الشيخ التونسي «الثعالبي» لإمارات ساحل عمان ضيفا على الشيخ «مانع بن راشد المكتوم» بدبي، فطلب منه الشيخ مبارك بن يوسف القاضي إنشاء قصيدة في استقباله ومطلعها (٩):

لِيَهْنِ أمتنـا هـذي ليهنيهـا هـذا ابنهـا البرّ هـذا المرتجى فيهـا

إن دراسة شعر سالم بن علي العويس لا تنفصل عن دراسة الاتجاه الكلاسيكي في الشعر العربي الحديث لدى أعلامه، اسواء من سبقوا شاعرنا مولدا، وعاصر بعضهم ردحا من الزمان أي إنه عاصرهم فنيا، ومن ثم نحا منحاهم، واتجه اتجاههم في شعره، أو قاربوه سنه.

فماذا كان اتجاه الشعر العربي آنذاك ؟

كان اتجاه الشعر في الأقطار العربية محافظا على التقاليد الفنية الموروثة عن السلف، في محاولة لإحياء التراث المزدهر سواء لدى جيل البارودي أو الجيل التالي له الذي يمكن أن نقول: إنه جيلُ شوقي، ويميل هذا الاتجاه إلى تصوير الذات، ذات الشاعر ومواقفه تجاه وطنه ومجتمعه المحلي والعربي، والإسلامي، والعالمي.

وهذا هو سر الظاهرة التي نراها في شعر سالم بن علي العويس، حيث نراه مشغولا بهموم المجتمع العربي، فيحدثنا عن إسرائيل ووعد بلفور، والجزائر، والجامعة العربية، ووحدة مصر وسورية، والشيخ محمد رشيد رضا، والحروب الصليبية، وسعد زغلول، وينقد الواقع العربي.



جمال الدين الأفغاني



أمين الريحاني

ومن الناحية الفنية نراه - مثلهم - يتخذ النماذج الشعرية القديمة في تراثنا نموذجا فنيا يحتذيه في المظاهر التالية:

١ - الحرص على الحِكَم والوصايا:

حيث تفيض قصائده بهذا اللون الذي يتجه به الشاعر إلى تلخيص تجاربه في الحياة ونظرته لها، مع تجارب البشرية ونظراتها في شكل حِكَم، أو نصائح غالبا ما تتصدر القصيدة، أو تكون خاتمةً لها، ويمكن القول: إنها معظم شعره، فإلى جانب أنها لا تكاد تخلو منها قصيدة، هناك بعض القصائد تتحول إلى حكم ونصائح مثلما نرى في قصيدته (حكم وتأملات) وآخرها قوله:

فـاصبر فما يـدريك مـاذا في غـد فـاليـأس للمهـزوم والأمـوات

وقصيدته (حسب السيوف ص ١٥٨) ومطلعها قوله :

الحق أوضح من نار على جبل — فاستصحب السيف واسلك آيَةَ السبل

ومثلها (ص ٣٨).

ومن قصائد الحكمة عنده ما يجعله ماضيًا في الفَلَك الفني للبارودي، يتجلى ذلك في قصيدته (دورات الزمان ص ٤٣) حيث تتجلى الصياغة البيانية الرصينة، واللغة الشعرية الرفيعة، ومجاراة السلف في التجويد والإتقان وكثرة استخدام أداة الشرط «إن» مع فعليها، أو «لولا»، أو «مَنْ» أو «إذا»، وهي قصيدة عدة أبياتها ثلاثة وعشرون بيتا، نذكر منها هنا قوله :

٢ - ومن المظاهر التراثية عند شاعرنا ما يتصل بالمطلع الذي يقف على الأطلال مثل قوله في مقدمة قصيدته (ركبت مدورا ص ٢٤٣) وفيه مخاطبة الآخر على طريقة التجريد :

عفا الرسم من دار قديما نزورها — ألا قل لها من أهلها من سميرها ؟

وسلِّم عليها لي ولا تُقْرِ أهلها — سلامًا فإن القوم آذت قدورها

ومطلع قصيدته (على سيف الخليج ص ١٩٢) :

ديار على سيف الخليج طلول — وإن كان فيها ضجة ونزيل

بكيت لها وحدي ويضحك أهلها — ومني ومنهم للهوان زميل

ثم يقول :

يا دار عزة جَدَّ الجِدُّ فانتظري — وطالعينا من الآفاق موفينا

فهذه المطالع كلها تمضي على نسق الشعراء القدامى الذين يقفون على الأطلال، ويبكونها ويذكرون الرسم ويبكون عليه.

٣ - أو المطلع الذي يستوحي شاعرا قديما، فها هو ذا يستوحي امرأ القيس في مطلع قصيدته (آخر مثل أول ص ٢١٥) :

«ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي» — عسى يستعيض العرب عنك بأمثل مذكرًا

بقول امرئ القيس في الشطر الأول في بيت من أبيات معلقته الشهيرة.

٤ - أو المطلع الذي يخاطب شخصا أو أكثر كما صنع القدماء حيث جردوا من أنفسهم من يخاطبونه، نرى ذلك في مطلع قصيدته (قف بي على الباب ص ٢١٣) :

عج بالديار وقبِّل ربعها الخالي — إمّا مررت وعانق دوحها الغالي

وقفت أسفح دمعا كاد يقتلني — من الوجيعة في أطلال جرفال

٥ - أو المطلع الغزلي التقليدي مدخلا لموضوع آخر حيث يقول في قصيدته (الهم للوطن ص ١٩٠) :

قولوا لميّة لا حب ولا شجن — أوْدى بحبكِ همٌّ بثّه الوطن

ومطلع قصيدته (كرامة أهل الفضل ص ٨٧) :

جامل الصب إذا الصب بكى — فهو لو كان صحيحا ما شكا

ومطلع قصيدته (ظبية زاخر ص ٦٣)، ومطلع قصيدته (سلوا آل ليلى ص ١٢٠).

٦ - التسديس والتخميس :

ها هو ذا يقوم بتسديس قصيدة للشاعر السوري محمد البزم سنة ١٣٥٦هـ

الخلق العالي ومقياس الأمم — الصبر والهمم البعيدة والشمم

٧ - ذكر أسماء الحبيبات على نسق تراثي :

وها نحن أولاء نراه يذكر أسماء الحبيبات، تلك الأسماء المتداولة في قاموس الشعر العربي القديم، مثل :

سعاد وليلى، وعزة (ص ٧٢)، وأسماء (ص٥٧)، ومية (٨٧، ١٩٠)

٨ - المعجم التراثي :

ونرى شيوع المعجم التراثي في شعره مثل : لا صَبَّ (ص ٦٥)، وسباسبها (ص ٨٠)، والغرابيلا (ص ٨٣)، والحجة (ص ١٥٦)، والجرفال (ص٢١٣).

البارودي



النسق البياني في شعر البارودي ترك ظلاله على أشعار العويس

٩ - ومما يتصل بالمعجم الشعري، ما يتصل بالمخزون اللغوي حيث استيحاء النموذج الشائع :

أ - لدى الشعراء العرب :

مثل قوله (ص ١٣٠) :

لظلم ذوي القربى أرق وأرحم — إذا علم الإنسان من هو أظلم

استيحاء من قول الشاعر القديم طرفة :

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة

ويقول (٢٥)، (١٦٦) :

فمن لم يمت بالسيف مات من العصا — ويستعبد الأفراد ألفئة الألب

إلام البرّ يغمره الفساد — فلا قحط لديه ولا جراد

الإسلام يأتي في مقدمة موضوعات الاهتمام لدى هذا الشاعر المتنوع ..

يذكر بقول الشاعرين :

من لم يمت بالسيف مات بغيره   تعددت الأسباب والموت واحد

إلام الخلف بينكم إلا مَ   وهذي الضجّة الكبرى علامَ

١٠ - معالم البيانيين التي تتعدد إلى :

أ - شيوع التصريع في مطالع القصائد، إذ يمثل التصريع ظاهرة عامة في مطالع قصائده فيما عدا مرات قليلة .

ب - وضوح النسق البياني السائد في شعر البيانيين المحافظين أمثال : البارودي، وشوقي، وحافظ إبراهيم .

ها هو ذا يقول (ص ٤١) سنة ١٩٤٢ :

لا تهدأ الدار حتى تنفح العيس   وليس زادَ العلا غِشٌّ وتدليس

ولا أخو المجد إلا كل مبتكر   يرى ويسمع لا يثنيه تلبيس

ويقول (١٥٥)، (١٠٢)، (١٢٠)، (١٩٤) :

همامة نفس قد تسامى صعودها   ورحب خيال في السماء يقودها

تسامت على أرض البلاد فحلقت   وبان لديها غورها ونجودها

تسيل على حد الظُّبات نفوسها   إذا عصفت بالظلم أهل الجزائر

أسالٍ فأسلو أم حزين فأمسك   وما هو إلا كلُّ ما كنت أملك

ويتجلى ذلك في قصيدته (كن خيرا) ص ١٩٤، حيث تتجلى تراكيب الاتجاه المحافظ وصوره، وألفاظه، كذلك قصيدة (الصمود - ٢٤٥) بما فيها من استخدام المقابلة، والتضاد، وأسلوب الشرط : «مَنْ» بفعليه حتى يقول :

ومن ترك الرعية والرزايا   تجافت عنه وانحلّت فرادى

جـ - ومن معالم البيانيين في شعره، الميل للطول النسبي في عدد أبيات قصائده، فهي - بوجه عام - قصائد طوال لا مقطعات قصار، وإذا ما وازنّا بينه وبين شعر كل من : صقر بن سلطان القاسمي، وسلطان بن علي العويس، وخلفان بن مصبح، وغيرهم لوجدنا سمة الطول واضحة لديه قليلة لديهم إذ نرى لديه قصيدة ذات ١٧٣ بيتا وهي تسديس قصيدة ص ١٦٨، وأخرى في ٦١ بيتا ص ٢٣٠، وأخرى في ٥٢ بيتا ص ١٣٥ من مجزوء الرمل . ثم نجد عدد الأبيات يتراوح بين :

٣٦، ٣٤، و٢٨، و٢٧، و٢٥، و٢٣، و٢٠، ومنها ما يقل عدد أبياتها فلا يتجاوز البيتين والأربعة والسبعة . . . إلخ .

د - ومن معالم البيانيين الميل إلى البحر التام، فلم يلجأ للمجزوء إلا قليلا (ص ١٠٨، ١٤٨، ١٦٢، ١٦٣، ٢٢٢) ومعظمها من مجزوء الرمل) .

هـ - ومن معالم البيانيين، حرصه على وحدة القافية، إذ لم ينوّع فيها إلا قليلا جدا (ص ١٦٨) .

تنوع موضوعه

الإسلاميات :

يجيء الإسلام على رأس موضوعات شاعرنا سواء أكان ذلك في موضوع مستقل يدور حول الدين الحنيف، أو يكون من خلال موضوع آخر .

وهو في موضوعه الإسلامي يتطلع إلى غد أفضل وواقع أسمى في موضوعات إسلامية خالصة (ص ٧، ٣٦، ٦٠، ٩١) ومنها عن القرآن الكريم (٧٣، ٢٤١) أو الرسول ﷺ (٢٣٠) أو من خلال موضوعات قومية (١١، ١٦، ٢٣، ٦٤) .

المجتمع العربي :

وهو مشغول بهموم المجتمع العربي، ومواقفه من الصهيونية، وموقفه من الوحدة، كوحدة مصر وسورية، ونضال الجزائر، ونراه يتحدث عن : الاستعمار، والصهيونية، والجامعة العربية، ولبنان، وسعد زغلول، وعن الوحدة كثيرا .

كما يتعدد حديثه عن المجتمع العالمي بين : الاستعمار، والصهيونية، والحرية، وهيئة الأمم المتحدة .

الهوامش

(١) سلطان العويس تاجر استهواه الشعر، اتحاد الكتاب ط ١ - ١٩٨٨ ص ٨٥، وانظر حديث فؤاد الخشن عن هذه المجموعة وعن هذه البلدة نفسها ص ٢٦١، وانظر البحث المهم : خلفان بن مصبح شاعر الإمارات المنسي - للسيد إبراهيم محمد بوملحة - الخليج - الشارقة ٢٤/ ١/ ١٩٨٧م .

(٢) محمد العبدالله، سلطان العويس تاجر استهواه الشعر، ط ١ - ١٩٨٨ ص ٨٥ .

(٣) نداء الخليج، الأعمال الكاملة، دار المهد، عمان، الأردن ط ١ - ١٩٨٧ ص ١٢٨ .

(٤) نفسه - المقدمة ص ٥ بقلم عبدالعزيز بن ناصر العويس .

(٥) نفسه ص ٥٠ .

(٦) نفسه ص ٤٨ .

(٧) نفسه ص ٦ .

(٨) أصدر عبدالعزيز بن ناصر العويس ديوانه (نداء الخليج) في جزأين في العامين ١٩٧٩ و١٩٨٠م ثم أخذ يجمع ما لم يُنْشر منه مما هو متناثر على مدى عشر سنوات من أقربائه ومريديه، وأصدره مرة ثانية فيما سماه (الأعمال الكاملة - نداء الخليج) باستثناء أشعاره النبطية، دار المهد - الأردن ط ١ - ١٩٨٧م عن المقدمة ص ٥، ومن القصائد ما فقد أولها وكان في أوراق بالية وهي قصيدة (قريظة شوكة) .

(٩) ص ١٦٨ .

(١٠) انظر: عمر الدسوقي : في الأدب الحديث جـ ١، جـ ٢ - القاهرة - دار الرسالة ١٩٦١ . وأحمد هيكل، تطور الأدب الحديث في مصر، دار المعارف ١٩٧٨ وأحمد قبّش، تاريخ الشعر العربي الحديث، دار الجيل لبنان د. ت. وغيرها .

قصة قصيرة

الموت والحقيقة

بقلم: مصطفى نصر

١ - الزميل

استدعاني رئيسي في العمل وسألني:

ـ أتعرف بيت المرحوم إبراهيم المنصوري؟

ـ أجل.

ـ أرجو أن تأخذ راتبه وتوصله لزوجته في الاسكندرية.

تساءلت في نفسي عن سبب اختياري من دون سائر الموظفين الذين يسكنون الإسكندرية: قلت: **«لعل الرئيس يظنني أقربهم إلى المرحوم»**.

ابتسمت رغم الأسى الذي أحسه. فالمرحوم كان سرًا مغلقًا لا يعرفه أحد.

حقيقة. كنت أجلس بجواره في القطار كل صباح، وفي العودة بعد انتهاء العمل، إلا أن الحديث الذي كان يدور بيننا طوال اليوم لا يزيد على كلمات قليلة.

أركب القطار. أجده في انتظاري. واضعا جريدته ودخائنه (سجائره) ولفافة إفطاره على المقعد المجاور حاجزه لي.

أحمل كل هذا وأجلس، ثم أمسك الجريدة وأقرأ.

بعد قليل يأتي صبري ـ زميلنا في إدارة الإسكان ـ يجلس أمامنا إذا لم يجد له مكانًا.

عندما يبدأ القطار في التحرك ينام بجواري، ينحني رأسه الكبير، فتمتد يد صبري إلى علبة (سجائره) يخرج له دخينة، ثم يعيدها ثانية لمكانها، أو تمتد يده أحيانا لفتح لفافة إفطاره يأخذ شطيرة (سندوتش) ويأكلها.

عندما نصل إلى **محطة دمنهور**، يسير معنا إلى مقر الإدارة دون كلام.

إذا ما تحدث صبري ساخرًا من كل شيء كعادته يكتفي هو بالابتسام.

بعد أن نجلس. يفتح لفافته، يسألنا عن الذي يريد أن يفطر معه، ويلح على صبري بأن يأتي ليفطر معه. أقول له ضاحكًا:

ـ لقد أفطر من لفافتك قبلك.

يضحك قائلا: بالهناء والشفاء.

بعد أن يتناول شايه ولفائفه يحمل حقيبته ويخرج. يطوف على الزراع الذين يروون أرضهم من ماء الإسكان. هو الذي يحسب قيمة المياه ويحصلها. الكثيرون يحسدونه لهذا.

ـ آه. لو كنا مكان إبراهيم أفندي. لكنا أصبحنا من أصحاب الملايين.

لا أراه بعد ذلك إلا على المحطة منتظرًا القطار.

جلست فوق مقعدي بالقطار العائد إلى **الإسكندرية**. صبري يجلس بجواري (نفس المكان الذي كان يجلس فيه الراحل) قلت:

ـ لماذا لا تأتي معي، على الأقل لتواسي زوجته.

وافق صبري.. وصعدنا السلم، وقفنا أمام شقته. لافتة نحاسية على الباب مكتوب عليها: «إبراهيم المنصوري مدير بالإسكان» أشار صبري إلى اللافتة ساخرًا:

ـ مدير. وهو لم يحصل على الإعدادية!!

لم أجبه، فتحت الباب امرأة في مقتبل العمل. ترتدي ملابس سوداء. قلت:

ـ إننا زميلا المرحوم. وجئنا لنسلمكم راتبه.

ـ تفضلا.

ـ كان هناك رجل يجلس في الصالة، قالت:

ـ زوجي، الأستاذ محسن.

وقدمتنا له.. أخرجت المظروف من سترتي. وقدمته لابنته:

ـ المرتب.

أخذته دون أن تخرج ما فيه.

قلت: سبعة عشر جنيها وعشرون قرشا ونصف القرش.

قالت في دهشة:

ـ ما هذا. مرتب شهر؟

أجل كما أخذته من «الخزانة».

نظرت إلى زوجها في ريبة، قال هو:

ـ هناك خطأ أكيد. قد حدث.

قلت ناظرًا لصبري:

ـ قل لهما يا صبري.

قال الزوج:

ـ إننا لا نقصد شيئًا. ولكن ليس معقولاً أن يكون مرتب عمي ما قلته.

وقفت هي غاضبة:

ـ هذا المبلغ لا يكفيه (سجائر) طوال الشهر.

قال صبري: على أي حال من حقك أن ترفضي استلامه وسنعيده ثانية إلى الخزانة.

قال الرجل: لا. إنما نقصد أن يكون هناك خطأ ما. مثلا الاسم خطأ.

قلت: تقصد أن هذا مرتب موظف آخر. وأخطؤوا فوضعوه أمام اسم المرحوم.

ـ ربما .

قالت الابنة : سأذهب لأحضر ماما لترى هذا .

ذهبت . . . كنت مرتبكًا تماما . أعرف أن راتبه ليس كبيرًا ، ولكن ربما هناك خطأ ما كما يقولون .

أتت المرأة . كان الإنهاك واضحًا على وجهها . وقفت لها محييًا . . قدمت لها العزاء ، قلت : آسف لما حدث . وإن كان هناك خطأ في المرتب سأجعلهم يتداركونه مسرعا .

قالت المرأة : **أعطني النقود .**

أعطيتها المظروف . قالت الابنة معارضة : إنها سبعة عشر جنيها + أكملت : وعشرون قرشا ونصف .

قالت المرأة بتردد : أليس هذا بقليل؟

قلت : سأرى هذا هناك .

صاحت الابنة : **ماما . . أنا واثقة أن هناك خطأ في المرتب .**

قالت الأم في هدوء : سآخذها الآن . وسأرى الموضوع بعد ذلك .

صاح زوج ابنتها : **نرجع النقود الآن حتى يتداركوا الخطأ في أوله .**

قالت في ضيق : أنا لا أحتمل مشاكل جديدة الآن .

وقفت . . صافحتهم . . أعدت عليهم أسفي . . كانت الابنة وزوجها غير راضيين عما حدث .

بعد أن خرجنا إلى الشارع . شدني صبري من يدي :

ـ ألم أقل لك . الرجل كان يكذب عليهم . ابنته وزوجه يظنان أن راتبه كبير .

كان صبري يهمس في أذني ، والرجل نائم بجواري في القطار :

ـ أهذه السجائر . . وذلك الطعام الفاخر يناسبان مرتبه القليل .

وأعارضه ـ أنا ـ بشدة وحرص خشية أن يستيقظ ويسمعنا .

أردد قول الرجل :

ـ ابنته متزوجة من رجل ميسور الحال . وهما يساعدانه في المعيشة .

أتذكر علامة الصلاة وسط جبهته ، وحديثه الهادئ الرزين .

قلت : أنا إلى الآن لا أستطيع أن أجزم بشيء .

تحدث صبري كثيرًا وأنا شارد . . كلما أردت أن أصدق ما يقول أعاند نفسي .

٢ ـ الابنة

بعد أن انصرف زميلا أبي . أخذت أنا وزوجي نلح على أمي بأن تعيد النقود إلى الإدارة خشية أن يؤثر هذا في احتساب معاش أبي . ولكن أمي أصرت على الرفض ، قالت :

ـ أنا من بعده لن أفكر في الدنيا . . ثم بكت» . .

بعد أن اختليت بزوجي كنت مازلت غاضبة لما حدث . قلت :

ـ ليس من المعقول أن يجعل الحزن أمي تتخلى عن حقوقها .

قال زوجي باستخفاف :

ـ أية حقوق؟!

قلت فزعة : ماذا تقصد؟

ـ تصرفات أمك جعلتني أكذب ما كان يدعيه أبوك .

قلت غاضبة : أتقصد أن أبي كذب؟

لا أقصد . إنما أن يكون مديرًا ، لا بد أن يكون لديه مؤهل .

صرخت فيه : أو تظن أن أبي ليس لديه مؤهلات؟!

ـ كنت أعرف هذا قبل أن أخطبك ، لكنني كنت في دهشة من المرتب الذي كان يزعم أنه يتقاضاه . لم أستطع احتماله ، صرخت فيه ، وذكرته بأفضال أبي عليه . حين جاء لخطبتي لم أكن مقتنعة به . قلت لأبي : براتبه القليل كيف سنعيش؟

ولكن أبي تمسك به . قال :

ـ ليس بالمرتب يقاس الرجل **«خذوهم فقراء يغنهم الله»** .

وافقت بعد أن أكد لي أبي أنه سيساعدني بجزء من راتبه أول كل شهر . بعد أن هدأت .

قلت له :

ـ إن الموضوع سره كامن في مقر عمل أبي ، لو كان يريد أن يعرف الحقيقة عليه أن يذهب في الغد ليراها هناك . . هذا لأنني كنت واثقة أن خطأ قد وقع في إعداد المرتب . وافق ، على أن يذهب في الصباح ليرى .

٣ ـ الزوجة

لم أتعود أن أتصرف في الأمور من دونه . لو كان موجودًا الآن لأرشدني وساعدني على الخروج من هذا المأزق ، ماذا أفعل الآن؟ ابنتي وزوجها يلحان في أن أرد النقود إلى الإدارة . وكأنني كنت في حاجة لمشكلة جديدة . ألا تكفي الهموم التي تركني فيها .

ابنته التي كان يرسل لها مبلغًا مساعدة . كيف أستطيع الوفاء به . . والمعاش قد لا يكفيني .

كنت أسكن في حجرتين . والبنت تكبر والحياة تزداد سوءا . . الراتب قليل . والبنت صارت لها مطالب لا نقدر عليها . تريد أن تلبس كذا وكذا .

يغلق الحجرة علينا بعد أن تنام البنت ويشكو لي همه . ذات ليلة رأيته متجها إلى الحائط . سمعت صوت نحيبه . شددته . رأيت الدموع تغسل وجهه .

لماذا يا إبراهيم . ربنا موجود؟

بعد أيام قلائل ـ قال :

ـ أبشري . . ستتعدل .

ماذا حدث؟

سيرتفع مرتبي كثيرًا . كانت لديَّ حقوق . ونلتها الآن من الإدارة .

لم أناقشه . شككت في الأمر . اشترى لها كل ما تريد . . ثم انتقلنا إلى شقتنا تلك .

لعلي نسيت شكوكي بعد ذلك . وآمنت ـ أنا أيضا ـ أن راتبه زاد تلك الزيادة غير العادية .

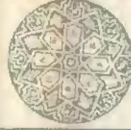
في الصباح قالت ابنتي :

محسن سيذهب لمقر عمل أبي ليصحح الخطأ .

كنت متعبة . لم أنم ليلة أمس إلا قليلاً .

قلت :

ـ ليس هناك داع لهذا .



يوسف كابري: داعية من الأندلس

بطل حلقتنا هذا الشهر يدعى جوزيف سلفادور كابري، مواطن أسباني مقيم في الولايات المتحدة الأمريكية، ذو ملامح عربية تقطع بوجود جذور أندلسية في أجداده، وُلد في الثالث والعشرين من شهر حزيران (يونيه) ١٩٤٠م في مدينة برشلونة بأسبانيا لأم رومية كاثوليكية أصلها من مدينة غرناطة عاصمة الأندلس وحاضرتها، وأب لا يهتم كثيرًا بالأديان، مما كان له أكبر الأثر في إحساس الصبي جوزيف بخواء الحياة.

خواء روحي

تلقى جوزيف الدراسة في مدينة برشلونة، وظل يدرس حتى بلغ السابعة عشرة من عمره، التحق بعد ذلك بالجيش الأسباني لمدة عشرين شهرًا لأداء الخدمة العسكرية، وبعد أن انتهت خدمته بدأ جولة في بلدان أوروبا وكانت فرنسا محطة البداية والنهاية فيها، إذ انتهت الجولة وهو يناهز الرابعة والعشرين، ورغب في إكمال دراسته في السربون بباريس، حيث التحق بدراسة الاقتصاد والسياسة واللغة السنسكريتية، لكنه لم يكمل دراسته، إذ كان الخواء الروحي الذي عاشه على مدى طفولته وصباه في داخله مفرخاً فراغًا وقلقًا واضطرابًا قد حال بينه وبين الانكباب على الدرس والتحصيل، فضلاً عن أن زواجه من زوجته الأولى الألمانية فشل أيضا بعد عامين فقط من الزواج الذي كانت ثمرته ابن يدعى موسى.

محاولة دراسة الأديان

الخواء الروحي قاد جوزيف إلى محاولة التعرف على الأديان الموجودة على ظهر الكرة الأرضية، بعدما لم تستطع النصرانية بما تحوي من طلاسم وخزعبلات أن تتمكن من قلبه، وساعده إجادته **للغة السنسكريتية** على الاطلاع على ديانات الشرق الكبرى بخاصة الهندوسية والبوذية.

واستكمالاً للبحث اتجه عام ١٩٦٨م إلى الهند بغية التعرف على قيم ومبادئ الهندوسية إلا أنه التقى في الطريق **بمسلمين من يوغسلافيا وتركيا ولاهور وكابل**، فمال إلى الإسلام ونسي غرضه الأساسي من رحلته إلى الهند.



من مساجد الهند

حادثتان وراء إسلامه

ولإسلامه قصة شاءت عناية الله أن تتدبرها لتهدي روحه الحيرى، إذ حدث ذات يوم أن سار في منطقة ريفية بالقرب من مدينة **كانداهار** الأفغانية، وفي طريقه احتمت به فتاة تلبس الملابس العربية، يطاردها شخص أفغاني يحمل مدفعًا رشاشًا، وهدده الرجل المسلح بالقتل إن لم يسلمه الفتاة، وهداه تفكيره إلى محاورة الأفغاني وأخذه بالحيلة فأخذ يتكلم معه محاولاً إقناعه بتركه والفتاة.

ثم فجأة وجد نفسه ينطق بلاوعي: هل ستقتلني يا أخي قبل أن أتعلم الصلاة؟

كان لهذه العبارة فعل السحر على قلب المسلح، الذي رمى بندقيته واتجه إلى جوزيف معانقًا مناديًا إياه «بأخي» ولم يكتف بذلك بل ترك الفتاة وأعطاها نقودًا، ثم اصطحب جوزيف والفتاة إلى مدينة كانداهار ليستضيفهم بعض المسلمين.

بداية الطريق

مثلما كانت هداية المسلح الأفغاني على يد جوزيف، كانت هداية جوزيف على يد ذلك الرجل، الذي أخذ يعلمه الوضوء والصلاة وأركان الإسلام.

لم تكن أعماق جوزيف قد آمنت بعد، فالفراغ الروحي كان ما يزال موجودًا، لكنه - مع ذلك - أخذ يصلي مع جموع المسلمين الذين ظنوه مسلمًا.

بالرغم من أن تلك الحادثة لم تؤد إلى إسلام جوزيف، إلا أنها مهدت لإشهار إسلامه عقب حادثة أخرى وقعت له أثناء سفره من كانداهار إلى مولكان، برفقة صديق نصراني. إذ سارا على أقدامهما في تلك المنطقة الصحراوية الوعرة ولأن جوزيف كان ينتعل حذاء مطاطيًا، فقد كانت الرمال الحارقة تسخن النعل فيزداد إحساس صاحبه بحرارتها مما اضطره إلى خلع الحذاء والسير حافياً في شوارع المدينة، وبينما هو سائر التقى رجلاً عجوزاً يحمل زوجاً من الأحذية المستعملة، واقترب منه الرجل حين رآه حافياً وسأله هل يرغب في شراء حذاء، فلما أجابه بالنفي سأله عن السبب فقال له: لأنني لا أملك ثمنه، فعاد الرجل لسؤاله ومن أين تأكل؟ قال: **يطعمني ربي.**

عندئذ أعطاه الرجل الحذاء هدية وأصر على أن يأخذه مجانا، وزاد بأن اصطحبه ورفيقه إلى منزله وهناك قدم لهما الطعام وأصر على استضافتهما عدة أيام كان خلالها يعطيهما رغم فقره روبيتين باكستانيتين كل يوم، وفي اليوم الأخير زادهما إلى خمس روبيات.

القرار

تركت الحادثة الأخيرة أثرًا كبيرًا في نفس

جوزيف إذ رأى بأم عينيه كيف يكرم المسلم عابري السبيل حتى ولـو كـانـوا مختلفين عنـه في العـرق والدين، فازداد رغبة في معـرفة المزيد عن الإسلام، وحين وصل إلى مدينة مولكـان كان أول ما فعله أن زار عددًا من المساجد، والتقى أحد علماء المسلمين وأخبره عن رغبته في تعلم الدين الإسلامي، فرحب به العَالِـم، واستضافه ورفيقه عدة أيام حتى غادرا إلى لاهور.

وفي لاهـور التقى جوزيف بعـالم اجتماع مسلم يدعى **الدكتور عبدالحميد** الذي أرشده إلى مـدرسة إسـلامية هنـاك، وقـابل ورفيقـه مسؤولي المدرسـة حيث زعما أنهما مسلمان، وتأثـرا بشد حين قيل لهما إن هـذه المدرسـة لا تعلم الإسـلام ولكنهـا مكـان لتطبيقه، ومس هذا القول شغاف قلب جوزيف، وقر قراره من يومها أن يصبح مسلمًا.

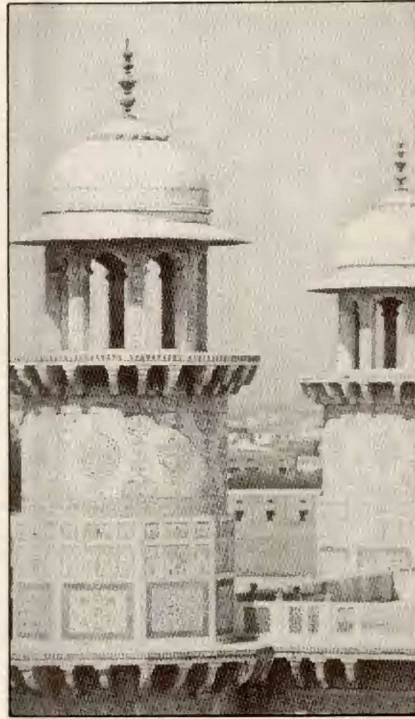
كـان ذلك في أحـد أيـام عـام ١٩٦٩م الـذي يعتبره **يـوسف علي** - وهذا اسمـه بعد اسـلامه - بدايـة مولده الحقيقي، وقـد مكث يوسف في تلك المدرسة قرابة شهرين، ارتحل بعدها إلى **الهند** ثم عاد إلى **لاهور**، ومنها انطلق إلى **إيطاليا** ليستقر في فلورنسا مديراً لمخيم للشباب هناك، حيث بدأ نشـاطه في خدمة الدعوة الإسلامية **وجعله الله سبباً في هـداية أستاذين جامعيين إيطاليين.**

الدعوة إلى الله

استمـر يوسف في عملـه بالمخيم قـرابة أربعـة أشهر، غادر بعدها إلى أفغانستان ومنها انطلق إلى الهند ثم باكستـان مرة أخرى عبر **روسيا**، وكان قد طلق **زوجته الأولى الألمانية**، وفيما كان في العـاصمة السويدية **ستوكهولم** ينتظـر الحصـول على تأشيرة لـدخول روسيـا **التقى فتـاة سـويـدية وتـزوجهـا**، وانتقلت معه إلى **إيطاليا** حيث عمل بعض الوقت من أجل توفير الحياة الأسرية ومستلزماتها. ثم اتجه إلى باكستان لمواصلة الدراسة على يد **الشيخ يوسف بيجنوري** واستمر يدرس حتى عام ١٩٧٢م.

واستطاع يـوسف أن يهدي زوجتـه إلى الإسلام فغيرت اسمها من **«كارين» إلى «كريمة»** وسافرت معه إلى الـولايات المتحـدة الأمريكيـة حيث يقيمان الآن في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد رزقهما الله بولـدين وبنت، إضافـة إلى ابن يوسف مـن زوجته الأولى، والـزوجان المسلمان حـريصان على تنشئـة أبنـائهما تنشئـة إسـلاميـة حمايـة لهم من الأخطـار الاجتماعية والعقدية المنتشرة في المجتمع الأمريكي.

متى تتكامل جهود المؤسسات الدعوية حتى يتحقق للإسلام الانتشار المأمول؟



من المساجد الباكستانية

تراجمه للكتب الإسلامية

لقد قـدم **يـوسف علي كابـري** الكثير للجالية المسلمـة في أمريكـا، بجهـوده ونشـاطاتـه لخدمـة الإسلام والمسلمين، منها مدرسة إسلامية أسهم في تأسيسهـا بالتعـاون مع بعض أفراد الجاليـة، ومن أجل تلك المدرسة قام بجولة في بلدان الخليج لجمع التبرعات لدعم أنشطتهـا كي يمكنها أن تستوعب عـددًا أكبر من أبنـاء الجاليــة المسلمـة، وتعلمهم مبادئ دينهم وتنشئتهم على عقيدة التوحيد.

كذلك **قام يـوسف بترجمة العديـد من الكتب الإسـلاميـة إلى اللغـة الأسبـانيـة لإعـانـة المسلمين الناطقين بتلك اللغة على تفهم دينهم، ومن الكتب التي ترجمهـا كتاب عن الأدعيـة اليوميـة يضم نحو ثـلاثمائة دعـاء مأثـور عن الـرسـول ﷺ، وكتـاب «قصص الصحـابة» ومقـالات عن «فضائل شهـر رمضـان المبـارك» وكتـاب «لآلئ الإسـلام» تأليف الأديب الإنجليزي ادجار آلان بو، فضلاً عن السيرة النبوية العطرة.**

وقد كان دافع يـوسف إلى ترجمة تلك الكتب ما لمسه من حـاجة المسلمين النـاطقين بالأسبـانية إلى الإلمام بكل ما يتعلق بدينهـم وتاريخهم الإسلامي، بـاعتبـار أن التـاريـخ ملك لجميع المسلمين على اختلاف أعراقهم وجنسياتهم.

وكان هذا الدافع النبيل حافزًا ليوسف على بذل المزيد من الجهـد في خدمة دينه وإعـلاء كلمة الله، غير آبه بما يلاقيه في سبيل ذلك من مشقة، آملاً في الأجر عند الله تعالى.

إن **يوسف علي كابري** وإخوانه من الـدعاة قد اختـاروا عن طواعيـة ورضـا بذل المال والجهـد من أجل نصرة دين الله ومن واجبنا أن نساند هذا الجهد كل حسب قدرته، عبر مسانـدة جهودهم بالدعم المادي والمعنوي.

إن الإسلام - كما يقول يوسف - ينتشر بشكل طيب بين أوســاط المجتمع الأمــريكـي ولــو أن المسلمين والمنظمات الإسلامية اهتمت برعاية الدعاة وتوفير وسائل الدعوة لهم من كتب ونشرات لأمكن للدعاة أن يحققوا الكثير، فـالمواطن الأمريكي الذي يحيـا فـراغًا روحيًـا كبيرًا مهيأ لقبـول العقيـدة التي تستطيع ملء هذا الفراغ، وليس أجدر من العقيدة الإسلامية على ذلك.

والمطلـوب أن تتحـرك مـؤسسـات الـدعـوة الإسـلاميـة، لمسانـدة جهـود الـدعـاة كي يتحقق للإسلام الانتشار المطلوب.

طريق الهدى

فتاوى لفضيلة الشيخ
د. صالح بن سعد اللحيدان

القراءة على المريض

●● ما حكم قراءة القرآن والأدعية الصحيحة على الماء ثم بعد ذلك يُعطَى المريض فيشرب منه أو يغسل وجهه وموضع المرض؟

حمد. م.م.م.. حوطة بني تميم

● الأصل في القراءة على المريض سواء أكان المرض عضويًا أو نفسيًا أن يقرأ القارئ عليه مباشرة، إلا السحر، والعين.

فإن المسحور يقرأ له بماء فيه سبع ورقات سدر فتقرأ سورة البقرة ثم يغتسل به في مكان طاهر.

والعين يؤخذ ماء من المعاين من فضل وضوئه أو غسله فيغتسل به الذي أصيب بالعين وما سوى ذلك فيقرأ على المريض مباشرة. هذا الذي أعلمه حسب اطلاعي على ما ذكره ابن حجر، وابن قيم الجوزية وسواهما.

والقراءة على الماء جوَّزها بعض أهل العلم ولست أرى بأسًا في ذلك إذا كان الدعاء مشروعًا والقارئ معروفًا بالصلاح واتباع المنهج النبوي الصحيح، ولم يستطع المريض الحضور إلى القارئ، أو العكس ـ والله أعلم.

الشراء بثمن مؤجل

●● اشتريت معدات زراعية من شركة بثمن مؤجل لأنني لا أملك المال الكافي وزادوا عليَّ السعر بواقع ٣٪ ثلاثة بالمئة. لكن قبل إتمام عملية الشراء تبين لي أن الشركة لا تملك الجراف ولا الذراية فهل يجوز مثل هذا؟

ع.ل.ل.. بسيوني.. ج.م.ع

● مثل هذا السؤال أو قريب منه قد أجبت عليه عند السؤال عن شركات التقسيط وقلت بعدم جواز الشراء ممن لا يملك البضاعة وكذلك عدم جواز البيع.

وبالنسبة لك يا أخ: ع.ل.ل فهذه الشركة لا تملك حال شرائك الجراف ولا الذراية فتقول لهم اشتروا هاتين الآلتين وحوزوهما بملك صحيح ثم بيعوهما عليَّ مع الآلات الأخرى فإذا حصل هذا فالبيع شرعي، وإلا فلا تشتري منهم ما لا يملكونه وليس بحوزتهم أصلها وتستطيع أن تشتري بمؤجل من شركة أو مؤسسة أخرى أو معرض في حال عدم قبول الشركة قولك بعد تبيين الحكم الشرعي لهم.

وقد ثبت أنه ﷺ قال **((لا تبع ما ليس عندك))** لما فيه من العيوب، والضرر والغرر ـ ولما يترتب عليه من مفاسد اقتصادية أخرى ليس هنا محل طرحها.

حضور المدعى عليه والشهود

●● إذا أقيمت قضية ما فهل يجب حضور المدعى عليه ـ وهل يلزم حضور الشهود؟

سالم. ن.. مكة

● إذا رأى ناظر القضية هذا فيلزم حينئذ حضور المدعى عليه ولا بد ما لم يتعذر هذا بمرض المدعى عليه فتؤجل القضية إذا كانت تتحمل ذلك وإلا فَيُذهب إليه وتؤخذ منه الأقوال بما يثبت أو ينفي ما نسب إليه.

ويجوز للمدعى عليه التوكيل فيما لا يلزم أخذه منه مشافهة.. وأما الشهود فلا يلزم بمعنى لا يجبر الشهود على الحضور، لكن تكتب شهادتهم نصًا حرفيًا يكتبها أحد القضاة في البلد الذي هم فيه ثم تبعث إلى المحكمة المختصة وذلك ما لم يترتب على هذا خلل في القضية أو أنه لا بد من سماع الشهادة مشافهة فحينئذ يسافر الشهود برضا ورغبة إلى مكان القضية وإلا فيكفي كتابة شهادتهم وبعثها إلى ناظر القضية.

متى تطوف الحائض طواف الإفاضة؟

●● امرأة جاءتها العادة الشهرية في الحج فهل تطوف طواف الإفاضة؟

نجم سرحان.. جيزان

● طواف الإفاضة ركن من أركان الحج لا يسقط عن الحاج سواءً كان متمتعًا أو قارنًا أو مفردًا.

لكن على هذه المرأة أن تؤخر السفر حتى تطهر ثم تطوف.

من يرث من هؤلاء؟

●● هل يرث العم الشقيق مع الابن والبنت والأم؟

ع.ل.أ. الأردن.. عمان.. جبل الحسين

● المال في هذه الحالة يكون على ما يلي:

الابن والبنت: لهما للذكر مثل حظ الأُنثيين والأم لها السدس $\frac{1}{6}$. ولا يرث العم لوجود الابن.

فعلى هذا يكون الورثة ثلاثة فقط والمال بينهم على ما تقدم ولا يرث العم شيئًا سواء كان شقيقًا أو غيره والله أعلم.

المتصرف لمصلحة العمل

●● الإدارة أمانة فهل يحق لي التصرف لمصلحة العمل ولو حصل ضرر على أحد؟

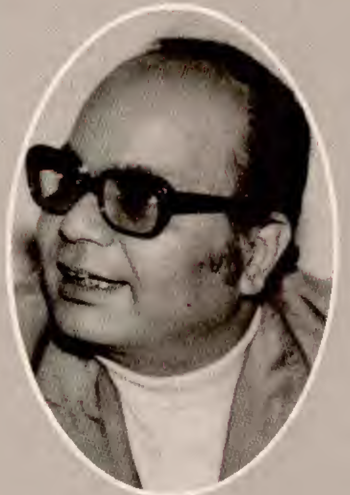
س.أ.. سورية

● الأصل في هذا أن تنظر نيتك هل هي لله فيما أردت مصلحة العمل، أو أن نيتك متجهة لمصلحتك كحب السيطرة أو ما يقال عنها «المركزية» أو التفرد بالسمعة وذيوع الصيت ولا يتم إلا بما قمت به.

فيجب أن تنظر من خلال هذا ودع عنك التأويلات والتلبيس.

وقولك: ضرر على أحد، هذه طامة لكن تجنبها لما قد يحصل من سوء العاقبة العاجلة كالمرض ونحوه والشتات ونحوه.

وقد عقد ابن الجوزي كلامًا طيبًا حول هذا في كتابه «تلبيس إبليس» وكذا سطر الذهبي في كتابه «سير أعلام النبلاء» كلامًا جيدًا نحو ما تسأل عنه فعد إليهما.


عبدالفتاح رزق

تجربتي مع الرواية

بقلم: عبد الفتاح رزق

برغم يقيني من أن أحسن حديث عن التجربة الشخصية لكتابة الرواية . . هو كتابة الرواية نفسها . . فإنني سأحاول التعبير عن مثل تلك التجربة الفريدة التي تعتبر ظاهرة عامة في الأدب العربي المعاصر . .

وأعني بتلك الظاهرة أن غالبية الذين كتبوا الرواية كانت بداياتهم هي كتابة القصة القصيرة . . قبل أن يصبحوا من الروائيين . .

ولا أستثني نفسي من هذه الظاهرة .

كانت بداياتي مع «القصة القصيرة» فصدرت لي أول مجموعة عام ١٩٦٠م - باب ١٤ - وبعد المجموعة القصصية الثانية - ع الربابة يا زمن - كان دخولي إلى عالم الرواية من خلال فصول مسلسلة في مجلة «روز اليوسف» حملت عنوان «حديقة زهران» وبعد نشر عشر حلقات جمعتها في كتاب يحمل عنوانا فرعيا إلى جانب عنوانها هو «رواية»!

زهران» قدمت في طبعة ثانية تحت عنوان **«اسكندرية ٤٧»** بدأت في كتابة روايتي الثانية وكانت بنفس الوسيلة السابقة . . النشر على حلقات في مجلة **«روزاليوسف»** - ١٩٧٧ - وكان عنوانها هو **«الوليمة»** . . ويقال : إنها نجحت في شد الانتباه، وأسرع تليفزيون القاهرة في تحويلها إلى مسلسل تليفزيوني . . وحصلت عام ١٩٨٠ على (جائزة أحسن قصة قدمت في التليفزيون) وكانت قائمة المنافسة تضم - مع احترامي الشديد لهما الكاتبين الكبيرين **نجيب محفوظ و إحسان عبدالقدوس!**

مسؤولية

لم أتوقف عن كتابة القصة القصيرة فقدمت أكثر من سبع مجموعات من بينها **«النورس»** . . **«بداية اللعبة»** . . **«الراقص»** . . بل كتبت المسرحية ذات الفصل الواحد - قدمت الأولى - الجدران - على مسرح الطليعة عام ١٩٨١م - وأصبحت كتابة


ديكنز


هوجو


سعدمكاوي


إحسان عبدالقدوس

ولا أعتقد أن كتابة **«الرواية»** قد أتى من فراغ، فقد كنت ولوعاً بقراءة التجارب الروائية في العالم، وفي الإنتاج المسرحي . . وخاصة **«ديكنز»** في الأدب الإنجليزي ومعه الأختان . **شارلوت وإميلي برونتي»** . . وكذلك **«هوجو»** في الأدب الفرنسي ومعه **«موباسان»** و **«الكسندر ديماس»** الأب والابن وأيضا **«تولستوى»** في الأدب الروحي ومعه **«ديستوفيسكي»** وروائعه . .

أما عن الأدب المحلي . . فيأتي في المقدمة - بالطبع - الروائي العالمي **نجيب محفوظ** - وخاصة الثلاثية الشهيرة - ومعه **«سعد مكاوي»** وخاصة روايته المتميزة **«السائرون نياما»** .

بعد ما قالوه عن نجاح روايتي الأولى **«حديقة**

الرواية بالنسبة لي مسؤولية كبيرة حتى أحافظ على ما حققته في الروايتين السابقتين . . **حديقة زهران والوليمة** . . **فاعتزلت كل شيء . . عملي الصحفي، وكتابة القصة القصيرة أو المسرح** . . **وتفرغت للرواية الثالثة «الجنة والملعون»** التي نشرت مسلسلة على مدى أربعة شهور في مجلة **«صباح الخير»** . . ويقولون : إنها تلقت - كما هو ثابت في غلاف الرواية بعد صدورها - أكبر عدد من خطابات القراء التي تشيد بها، وبكاتبها ثم . . بعد نفاذ طبعتها الأولى . . صدرت في طبعة ثانية . . ثم قررت **الهيئة العامة للكتاب** ترجمتها إلى الإنجليزية . . وبالفعل قامت بالترجمة أستاذة الأدب الإنجليزي **الدكتورة إيفيد هاشم** وصدرت عام ١٩٨٦م كما صدرت لها ترجمة بالألمانية عام ١٩٨٧م .

من تجاربهم



خلال تلك الفترة شدني الحنين إلى القصة القصيرة. . فأصدرت مجموعتين جديدتين ثم هاجتني أحداث السبعينيات بمدلولها الاجتماعي والسياسي. . - الانفتاح ومخاطره - لتتولد في وجداني بذور، وجذور رواية جديدة. . تفرغت أيضا لكتابتها، ثم رأيت نشرها في مجال أكثر إتساعاً - الملحق الأسبوعي لجريدة الأهرام يوم الجمعة - ونشرت في عشرة أسابيع. . وكان عنوانها:

«يا مولاي كما خلقتني»

ترجم هذه الأيام إلى الإنجليزية في **الهيئة العامة للكتاب**

وفي عام ١٩٩٠م واجهتني تجربة شخصية دامية - رحيل أصغر أبنائي ابن الست سنوات في حادث مؤسف - وكان اعتزالي هذه المرة بمثابة علاج ومواساة. . وتفرغت لكتابة روايتي الخامسة. . وكان عنوانها:

«**جبر الخواطر**». . (قصة اغتصاب أوراق مجهولة)

وبعد الانتهاء منها بدأ نشرها - أيضا - مسلسلة في عدد «الجمعة» من جريدة «**الأهرام**» ولمدة ثلاثة شهور وهي تحت الطبع الآن لتصدر في كتاب.

أكتب الآن رواية جديدة عنوانها المؤقت: «**قطة في سوق السمك**» كما أعد مجموعة قصصية جديدةبعنوان «**أيام البنفسج**»!

وأسأل الله - سبحانه - التوفيق. .

شقيقة السيمفونية

ولو سألت نفسي:

ماذا تعني الرواية بالنسبة لك؟

أجيب:

عالم بأسره من الإبداع. وأتصور الرواية **تعبيراً «شاملاً» عن كل فنون الكتابة. . القصة، والشعر، وربما أيضا المقال. فبينما تحتاج القصة القصيرة إلى «تكثيف» اللحظة، وبلورتها، والانتهاء سريعا إلى المغزى الذي يريد الكاتب أن يوصله إلى القارئ. . تتخذ الرواية مساراً آخر. . فيه الإبحار بالفكرة فوق كل الأمواج، ومن البحار إلى المحيطات. . ومن الظواهر إلى الأعماق وأحيانا يستخدم الروائي الأسلوب الشعري، وأحيانا يستخدم الأسلوب المباشر. . المقال. . إذا كان «البناء الروائي» يستدعي ذلك. .**

> "كتبت روايتين في وقت واحد.. وكانت تجربة في غاية الصعوبة.."

والرواية إذا قورنت بالفن الراقي. . **فهي قريبة جداً من «السيمفونية» بكل ما تتطلبه من أسس، وأصول، ودراسة. ولذلك لا يمكن الإكتفاء بجزء منها، أو بأجزاء، وإنما يجب سماعها بالكامل، وفي «الرواية» القراءة بالكامل. . هذا إذا كانت جديرة بالقراءة!**

وهنا. . أتوقف عند تجربتي في كتابة الرواية. .

عادة تعيش فكرة وأحداث الرواية فترة حضانة طويلة في أعماقي أنشغل بها ليل نهار. . ثم تأتي مرحلة «الكتابة». . وهناك شرط حيوي بالنسبة لي. .

تدفق الكتابة. .

كل كلمة تأتي وحدها من التفكير، والحضانة السابقة. ولذلك فإن «التدفق» يصبح «وسيلة» الاستمرار في الكتابة دون توقف حتى انتهى منها تماماً خلال شهرين أو ثلاثة شهور. . فإذا لم يحدث هذا «التدفق» توقفت عن الكتابة فوراً. . وأعترف أن أوراقي بينها «مشروعات» كثيرة لم تنته إلى رواية أنشرها ليقرأها الناس. .

الانقطاع عن العالم

أما الروايات التي انتهيت منها. . فهي في الواقع التي عرفها الناس. . من خلال «احتضان» دون كتابة لسنوات. . ثم «تدفق» في الكتابة لعدة شهور!

وسر أذيعه - ربما لأول مرة - أنني قبل نهاية السبعينيات كنت منشغلاً بأحداث روايتين في وقت واحد. . وحاولت في البداية أن أنتهي من إحدى الروايتين «**الوليمة**». لأسرع بكتابة الرواية الثانية «**الجنة والملعون**» ولكن لم أستطع. . فكنت - مع كل الغرابة - أكتب «الوليمة» نهاراً. . ثم أتفرغ لكتابة «**الجنة والملعون**» في الليل. . وقد عانيت كثيراً بسبب ذلك **الازدواج**» الذي لا أنصح به أحدًا. . وأعتقد أنني لن أكرر كتابة روايتين في وقت واحد. . برغم ما يقال عن نجاح تلك الروايتين!

وهذا يقودني إلى: خصوصية الكتابة. .

في أثناء كتابة الرواية أنقطع تماماً عن العالم الخارجي. وغالبا ما يساعدني أفراد أسرتي في ذلك. . فلا أحد يطالبني بشيء، ولا أحد يقحم عليّ أية مشكلة أستيقظ في الصباح الباكر على شوق كبير للقاء أبطال الرواية الذين أتخيلهم أحياء وأنا أعرفهم شخصية بعد شخصية على الورق. .

وأحياناً تقتحم شخصية من تلك الشخصيات أحلامي. . ولعلها أحلام اليقظة فتضيف إلى أبعادها في الظاهر والباطن بعداً جديداً، أو تحولاً أرى أنه ضروري. . فأبادر بتسجيله عبر فصول الرواية. . كما حدث بالنسبة لسامية بطلة «**الوليمة**» فقد كانت طالبة في **الحقوق**، وكان لها مفهومها الخاص للحرية. . وداهمها «كابوس» أنها ترتدي معطف المحاماة الأسود. . وأن الجناة في قفص الاتهام كانوا من أقرب الناس إليها. . أبوها تاجر الأحذية، وأخوها المهندس الذي يتخذ «اللهو» و

www.ahlaltareekh.com

«اللامبالاة» دستوراً له في الحياة !

المكان . . والوجدان

وسؤال آخر أجيب عليه . .

المكان . . ماذا يعني لك في الرواية ؟!

تأتي أهمية السؤال في أنه يكاد يكون ظاهرة في غالبية الروايات التي كتبتها . . فالأولوية دائماً هي للمكان الذي ولدت فيه، ونشأت، ودرست وتخرجت في الجامعة (آداب - فلسفة) . . هذا المكان هو مدينتي الحبيبة إلى قلبي ووجداني . . **الإسكندرية . .**

فبعد سنوات طويلة عشتها في القاهرة ربما ضعف السنوات التي عشتها في الإسكندرية حتى الرحيل منها إلى العاصمة عام ١٩٥٩م . . لازال مسقط رأسي، وخزانة مشاعري . . هو المكان المفضل الذي تدور فيه الرواية . .

حدث ذلك في رواية «**حديقة زهران**» - التي كان عنوان طبعتها الثانية، كما قلت، هو «**إسكندرية ٤٧**» تدور في أشهر معالم الإسكندرية . . شارع **محرم بك** . . **ومحطة مصر** . . وكوم الدكة . . **والأزاريطة** حيث توجد كلية الطب . . وفي «الرمل» حيث تتجمع كل شواطئ الإسكندرية الشهيرة !

وحدث ذلك - في بعض الفصول - في رواية «**الوليمة**» . . فبرغم أن أحداثها تدور في القاهرة بين «**السيدة زينب**» و«**الدقي**» . . إلا أن جاذبية **الإسكندرية**، وتفضيلها كمكان عندي . . ساقني إلى أن تكون بساحلها الممتد من «**أبي قير**» حتى «**الأنفوشي**» . . مسرحاً لعدة فصول من الرواية !

وأعترف أن رواية «**الجنة والملعون**» . . كان المكان فيها هو أحياء «**القاهرة**» ذاتها من «**مصر القديمة**» . . إلى «**مصر الجديدة**» . . وفي الأطراف عند «**العجوزة**» . . و «**مدينة نصر**» . . وفي فصل واحد، وربما في فصلين، انتقلت بالأحداث إلى «**البحر**» - وهو عندي الإسكندرية - لأعود سريعاً إلى **المدينة الفاطمية !**

وتكرر الشئ نفسه في رواية «**يا مولاي كما خلقتني**» . . ثم طغت في وجداني الإسكندرية «**كمكان**» لتدور أحداث روايتي الأخيرة «**جبر الخواطر**» بالكامل في الثغر . . بكل أحيائه، وبكل شوارعه وأزقته، وبكل معالمه المحصورة بين أمواج البحر . . و . . ترعة «**المحمودية**» التي تمد المدينة بالماء العذب !

وأعتقد - ومعذرة لتعصبي لبلدي - أنني قد أستقر بي الرأي أن يكون المكان أيضاً هو قلبها . . «**المنشية**» . . . و «**الحقانية**» . . و«**شارع فرنسا**» **والجمرك** . . لتدور أحداث روايتي التي أكتبها الآن «**قطة في سوق السمك**» !!

ويلح السؤال :

ما الأسلوب الذي تفضله ؟ . . الواقعي . . أم الاستعانة بالتراث؟ كما يفعل بعض الروائيين بالعودة إلى العصر المملوكي أحياناً . . أو الفرعوني في أحيان أخرى ؟

وأبادر بالقول إنني أفضل الأسلوب الذي يتصف مع طبيعة الرواية في وقتها . . في نفس الظروف التاريخية، والاجتماعية، والدولية أيضاً . . فكيف أهرب من «الواقع» الملموس، إلى واقع آخر «قديم» باسم «الرمز» أو باسم «الإسقاط» ؟

أفضل الكتابة «الواقعية» فإذا كانت إحدى الشخصيات مغرمة بالماضي وبما فيه من أمجاد، أو انحدار . . فلا مانع . . وهذا حدث بالنسبة لبطل «**الوليمة**» الشاب الذي كانت هوايته الوحيدة هي استيعاب كل ما في الكتب كنوع من «الثقافة» . . وسبب له ذلك - إحباطاً - بين الواقع الذي يعيشه ولا يريده . . والماضي الذي يريده . . ولا يعيشه !

تلك هي تجربتي مع الرواية . .

قد يتفق معي بعض الناس . . وقد لا يتفق . . ولكنني خضتها - وأخوضها إلى أن يشاء الله سبحانه - هادفاً أن «أضيف» وأن «أفيد» .

وسبيلي لتحقيق هذه «الإضافة» وتلك «الإفادة . . . سبيل واحد لا أعرف غيره . .

الصدق !

«نفس الصدق» الذي كتبت به «تجربتي» !

من الواقعية التاريخية إلى الواقعية النفسية

بقلم: د. محمد أبو بكر حميد

برغم أن روسيا قد عرفت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر أفضل كتابها المسرحيين وقدمت للعالم تراثًا إنسانيًا خالدًا من الأدب المسرحي، إلا أن أحوال المسرح كانت في تدهور مستمر، إذ لم تكن تلك الأعمال المسرحية العظيمة قد وجدت المسرح الذي يقدمها للناس بالشكل اللائق بها تمثيلاً وإخراجًا وعرضًا. وبالمثل عرف المسرح الروسي الكثير من الممثلين الكبار لكن طاقاتهم لم تكن تبرز كاملة لافتقار المسرح الروسي إلى مخرج يبرز إمكانات النص الدرامي ويستثمر طاقات الممثل كاملة. فقد كانت مواصفات المسرح التجاري تغلب على العروض المسرحية. وكان الممثلون لا يتدربون على المسرحية إلا ثلاث أو أربع مرات قبل العرض كما أن المشاهد والمناظر والملابس لا يتم اختيارها إلا قبل العرض بقليل دون أية دراسة أو تخطيط مسبق، ومع ذلك فقد كانت هناك استثناءات لبعض المسارح الخاصة التي أبدعت في تقديم عروض متميزة مثل مسرح كورش Korsh في موسكو، وعروض اليكسي سوفرن Alexey Suvorin - ناقد ومخرج من بطرسبرج - وأهمها جميعًا الأعمال التي عرضها سافا مامونتوف Savva Mamontv في قصره ثم في دار الأوبرا الخاصة التي بناها.

ميلاد جديد

لكن هذه الحالات الفردية كانت مثل لمعان البرق في سماء مظلمة، فسرعان ما تلاشى أثرها، وقد انتهت أزمة المسرح الروسي في هذه الفترة باجتماع حضره كل أقطاب المسرح الروسي في موسكو سنة ١٨٩٧ سمي «بالمؤتمر الأول للمسرحيين الروس» دعوا فيه إلى التخلص من سلبيات المسرح التجاري وإنشاء مسارح فنية هادفة تخدم المجتمع وترتقي بذوقه من خلال تقديم الأعمال الكبيرة وبعد عدة شهور تم الإعلان عن «مسرح الفن بموسكو» الذي كان له أبعد الأثر ليس على المسرح الروسي فحسب بل المسرح في العالم كله.

ولدت فكرة «مسرح الفن» في يونيو ١٨٩٧ أثناء الاجتماع الشهير الذي استمر ثماني عشرة ساعة في إحدى مقاهي موسكو بين الكاتب المسرحي وأستاذ التمثيل «فلاديمير فيمروفتش دانشنكو Vladimir Nemirovich - Danchenko (١٨٥٨ - ١٩٤٣) والممثل والمخرج كونستنتين استانسلا فسكي Konstantin Stanislavsky (١٨٦٣ ـ ١٩٣٨) اللذين أصبحا من أشهر رجال المسرح في روسيا. وقد ارتبط اسم الأخير بتأسيس مرحلة جديدة في نظرية فن الممثل والعرض المسرحي. وقد سميا مسرحهما، في البداية باسم «مسرح الفن الشعبي بموسكو» Moscow Popular Art Theatere حيث كان تحقيقا لطموح أوستروفسكي في إنشاء مسرح شعبي هادف ثم عُدل الاسم بعد ذلك إلى «مسرح الفن بموسكو» ثم شكل كل من الرجلين فرقة من تسعة وثلاثين ممثلا وبدأا تدريباتها في صيف ١٨٩٨ في قرية تبعد ثلاثين ميلاً عن موسكو وأصبحت مقرًا للفرقة.

أثر الواقعية التاريخية

كان استانسلا فسكي في هذه الفترة متأثرًا بالواقعية التاريخية التي اكتسبها من فرقة ساكس مييننجن Saxe - Meiningen الشهيرة في أوروبا في ذلك الوقت. وكانت الواقعية التاريخية تعني حرص المخرج اتباع أدق التفاصيل في المشاهد والمناظر والملابس بشكل يجعل عرض المسرحية يطابق تماما واقع الفترة التاريخية التي حدثت فيها أحداث المسرحية. وجريًا وراء الدقة المتناهية في مطابقة مشاهد المسرحية للواقع التاريخي سافر استانسلا فسكي خصيصاً إلى فينيسيا بإيطاليا ليشاهد بنفسه الأماكن التي دارت فيها أحداث مسرحية «عطيل» لشكسبير وليراقب الناس هناك عن كثب ويجلب معه أقمشة ليصنع منها ملابس الممثلين على الذوق الإيطالي.

وبأسلوب «الواقعية التاريخية» الذي بدأ استانسلافسكي اتباعه في إخراج أعمال «جمعية الأدب والفن» التي كان يرأسها أخرج عروض «مسرح الفن» الأولى مثل «القيصر فيودور إيفانوفتش» لليكسي تولستوي (١٨٩٨)، و«قوة الظلام» لليوتولستوي (١٩٠٢) وبعض مسرحيات أوستروفسكي وشكسبير.

منهج إستانسلافسكي

وكما حدث في معظم المسارح الهادفة المتميزة في أوربا أن ارتبط نجاحها بأعمال كاتب مسرحي عظيم ترتفع معه ويشتهر من خلالها، فإن ارتباط

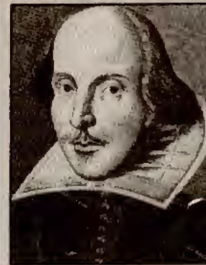
مسرح الفن بموسكو بأعمال انطون متشيكوف لم تحقق فقط النجاح والشهرة للطرفين فحسب بل ارتبط أيضًا بمرحلة انقلاب كبير في فهم إستانسلافسكي لأسلوب العرض المسرحي، فقد كانت أعمال متشيكوف - بإبرازها للواقعية النفسية كأسلوب جديد للمعالجة الدرامية بمثابة الإيحاء الذي جعل استانسلافسكي يضع — فيما بعد - نظريته الشهيرة في التمثيل والتي عرفت باسم **«المنهج» The Method أو «الأسلوب» The system**.

لقد أقام إستانسلافسكي منهجه على تطويع جسم الممثل وصوته لكافة الأدوار المختلفة من خلال التدريب الجيد الدءوب. ولكي يستطيع الممثل أن يبرز الصدق والحوار في الأداء لا بد له أن يوجد فيما بينه وبين نفسه ما سماه استانسلافسكي **«بالمبرر النفسي» أو «التبرير الداخلي» Inner Justification** وذلك من خلال إيجاد قناعة ومعايشة حقيقية للدور الذي يمثله. وقد أعد استانسلافسكي للممثل عدة تدريبات تعينه على إيجاد المبرر النفسي في داخله. وفي سبيل معايشة الممثل لروح المسرحية كلها ومعرفة أبعاد كل شخصية في العمل الفني وإدراك حدودها مع شخصيته اصطنع ما يسميه **«بدائرة الانتباه» Circle of Attention** التي تعني أن يغلق الممثل أبواب كل أدوات تشتيت الذهن وإغراق نفسه بالانتباه إلى عالم المسرحية والعيش في جميع أدوارها وجوها النفسي والاجتماعي.

أما مصطلح **«إذا السحرية» Magic IF** الشهيرة فكان أفضل ما تميز به منهج استانسلافسكي في إعداد الممثل نفسيًا لدوره، إذ يلزم على الممثل أن يسأل نفسه دائما **«إذا كنت مكان هذه الشخصية وفي هذا الموقف ماذا سأفعل»** وبناء على ذلك يستطيع أن يوجد نوعًا من التآلف الشعوري والنفسي بينه وبين دوره. أما إذا وجد الممثل صعوبة أيضًا من خلال «إذا السحرية» ولم يستطع توفير الحرارة الكافية لأداء دوره فهو يلجأ في هذه الحال لما يسميه استانسلافسكي **«بذاكرة العواطف» Memory of Emotion** وهو أن يستدعي الممثل مشاهد واقعية من حياته شبيهة بالموقف الذي يريد تمثيله، وهو أمر سيستدر عاطفته ويثير كوامن ذكرياته ثم يتحكم فيها بالشكل الذي يجعله يحسن أداء دوره.

استانسلافسكي أقام مسرحه على تطويع جسم الممثل وصوته لمتطلبات العمل الذي يؤديه

وفي أسوأ الأحوال عندما لا يجد الممثل في ذاكرته من المواقف ماله صلة بدوره فإن استانسلافسكي يوصيه بدراسة كافة ظروف العرض المسرحي Given Circumstances وذلك من خلال الوقوف على كل جزئية من عناصر العرض المسرحي نصًا وتمثيلاً وإخراجًا، ومعرفة رؤية المخرج لتفاصيل كل مشهد وتصوره للملابس والديكور والإضاءة والألوان وغيرها، وكما أن للعرض المسرحي هدفاً كبيراً شاملاً، فإن لكل شخصية ومشهد هدفاً محدداً يجب أن يعرفه كل ممثل وإن كان ليس له به علاقة مباشرة وذلك في سبيل تضافر الجهد الجماعي لخدمة الهدف الدرامي وإيجاد الوعي الصادق والواقعي لكل الأدوار لدى كل الممثلين. وخلاصة نظرية استانسلافسكي في فلسفة فن التمثيل أن يقول للممثل: إذا أردت للمسرحية أن تعطيك جزءًا منها إعطها كل جزء منك.


شكسبير


تولستوي

وفاء عظيم

وفي كتابه الشهير **«حياتي في الفن My Life In Art» وكتاب «تراث استانسلافسكي Stanislavsky's Heritage»**،الذي جمعت فيه الناقدة الأمريكية المتخصصة في أعماله السيدة اليزابث هابقد E.R. Hapgood أهم مقالاته اعترف استانسلافسكي بفضل أعمال متشيكوف والاتجاه النفسي الذي تمثله على منهجه، وذكر أنه يستوعب اتجاه أعمال متشيكوف ويدرك صحة آراء الكاتب المسرحي الكبير التي اختلف معه فيها حول فلسفة العرض المسرحي إلا بعد وفاة الأخير وكان لهذا كله فائدة عظيمة على منهج استانسلافسكي الذي وضعه بعد وفاة متشيكوف، وهو منتهى الوفاء من استانسلافسكي، ولكن لا عجب من وفاء العظيم للعظيم.

وقد مات استانسلافسكي بعد أن جعل من مسرح الفن بموسكو مدرسة عالمية للتمثيل الأخلاقي البناء، وسافرت فرقته إلى أوربا وأمريكا وأصبح لمنهجه وأسلوبه في استديوهات لندن ونيويورك اتباع وتلاميذ، وأهم ما تركه من مراجع لدراسة منهجه كتابه **«إعداد الممثل An Actor PrepareS»** الذي ترجم إلى معظم اللغات منها العربية وكتابي «بناء الشخصية» "Building A Character" «وصناعة الدور» "Creting A Role" اللذين لم يترجما إلى اللغة العربية بعد، على أن العمر لم يمتد باستانسلافسكي ليضع اللمسات الأخيرة على منهجه الذي اجتهد في إكماله تلاميذه في كافة أنحاء أوربا وأمريكا.

المراجع

1 - Magavschack, David, **Stanislarsky, New York, 1951.**
2 - Nemirovich - Dantchenko, Vladimir. **My Life In the Russian Theatre,** Trans. by John Cournos, Boston, 1936.
3 - Slonim, Marc. Russian Theatre From the Empire to the **Soviets**, Cleveland, 1961.
4 - Stanislavsky, Konstantin, **An Actor Prepares,** Trans. by Elizabeth R. Hapgood, New York, 1936

من المكتبة السعودية







د. محمد زايد يوسف

● العنوان : تاريخ كتابة المصحف الشريف

● المؤلف : الدكتور محمد زايد يوسف

● الناشر : مؤسسة عكاظ للنشر

لم ينل الخط عند أمة من الأمم من ذوات الحضارة ما ناله عند المسلمين من العناية والتفنن فيه، فلقد اتخذ العرب والمسلمون الخط العربي - في بادئ الأمر - وسيلة للقراءة والكتابة، ثم أخذ مكانته الرفيعة بعد أن أصبح يدّون به القرآن الكريم دستور الأمة الإسلامية.

من هنا كانت أهمية هذا الكتاب التوثيقي الذي صدر في سلسلة مؤسسة عكاظ الصحفية للدكتور محمد زايد يوسف الأستاذ المساعد في جامعة الملك عبد العزيز بجدة، بعنوان : تاريخ كتابة المصحف الشريف : دراسة تحليلية تطبيقية على مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

لم يبدأ المؤلف كتابه بتناول فنون كتابة القرآن الكريم بالخط العربي، وإنما خصّص فصلين كاملين من هذا الكتاب للحديث عن (لغة القرآن الكريم) و(بزوغ فجر الإسلام)، حيث تحدث بالفصل الأول عن اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن الكريم الذي نزل بلسان عربي مبين، وكيف أن أبجديات الحروف العربية قد ظهرت واكتمل بناء حروفها الثمانية والعشرين قبيل بزوغ فجر الإسلام، فلقد أجمع الكثير من الباحثين على أن أبجديات الحروف العربية قد اشتقت من حروف الخط النبطي المتأخر، فهؤلاء النبط عرفوا بأنهم قبائل عربية متجولة، وقد تحضروا واستخدموا الآرامية لغة كتابة لهم، وكانت العربية لغة حياتهم اليومية.

رحلة الشتاء والصيف

ويذكر المؤلف الدكتور محمد زايد يوسف أن أبجديات الحرف العربي نشأت في شمال الجزيرة العربية بتأثير من الكتابات النبطية المتأخرة وانتقلت إلى الحجاز في غرب الجزيرة العربية عبر الطرق التجارية التي تقطعها؛ كما ورد في القرآن الكريم؛ في رحلتي الشتاء والصيف واستقرت في مكة المكرمة ويثرب قبل الإسلام، ومنها انتقلت مع الفتوحات الإسلامية إلى الحيرة وإلى الدول الإسلامية جميعها.

ويقول المؤلف إن الحرف العربي تميز ونما وانتشر بعد بزوغ فجر الإسلام في فترة زمنية قصيرة، ووصل إلى مشارق الأرض ومغاربها مكتسحا خطوط الأمم الأخرى التي دخلت الإسلام، مستوعبا حضارتهم، وتمكن من هضمها والإضافة إليها، وإثرائها والخروج لنا بثقافة إسلامية عظيمة، تمثلت - أول ما تمثلت - في حرص النبي (ﷺ) على الحث على تعلم الكتابة وعلى تدوين القرآن الكريم منذ فجر البعثة النبوية وانتشار الدعوة الإسلامية.

اللوح والدواة

لقد كان الرسول - ﷺ - هو الذي سنّ كتابة القرآن الكريم، إدراكًا منه بأهمية الكتابة في حفظ نص القرآن، حيث نهى الرسول عن كتابة شيء سوى القرآن الكريم؛ خشية أن يضاهي بكتاب الله غيره أو أن يشتغل الصحابة في ذلك العهد عن القرآن بسواه . .

وكان كتبة الوحي يكتبون ما ينزل من الآيات تباعا، ويفرعونه حيث أمر الرسول الكريم أن يُوضع مع ما سبق نزوله من الآيات، وبذلك تمت كتابة القرآن وقت نزوله . .

وتم جمع القرآن الكريم في صحف منظمة يضمها لوحات أو دفتان على شكل كتاب، بعد مدة يسيرة من وفاة الرسول الكريم لا تتجاوز السنة . .

حدث بارز

ويتابع المؤلف الدكتور محمد زايد يوسف قصة كتابة المصحف الشريف وظهور أدوات الكتابة من ورق وحبر وأقلام وصولا إلى أدوات الطباعة الحديثة ثم الطفرة الحديثة في تاريخ طباعة المصحف الشريف عندما تم افتتاح «مجمع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة» وذلك في السادس من شهر صفر لعام ١٤٠٥هـ لتحقيق الأهداف التالية :

١ - إصدار مصحف باسم «مصحف المدينة النبوية» وفقا للمواصفات الدقيقة التي تفوق في إخراجها ودقتها وسلامتها جميع ما يصدر في العالم من طبعات للمصحف الشريف.

٢ - إصدار ترجمات لتفسير معاني القرآن الكريم بمختلف اللغات التي ترجمت إليها هذه التفاسير المتفق على دقتها وسلامة ما تؤديه من معنى.

٣ - إصدار مصاحف مرتلة على أشرطة التسجيل بصوت مشاهير القراء في العالم الإسلامي وبمختلف القراءات المشهورة ليكون القرآن المعلم لكيفية تلاوة القرآن الكريم وتجويده.

٤ - قصر طباعة المصحف الشريف في هذا المجمع فقط وعدم السماح بطباعة المصاحف في أية مطبعة تجارية داخل المملكة العربية السعودية ومنع استيراد المصاحف من خارج المملكة.

٥ - سدّ حاجة المملكة والعالم العربي والإسلامي من إصدارات المجمع . .

وهكذا أصبح المجمع مدينة طباعية متكاملة يبلغ عدد العاملين فيها ١٦٠٠ موظف، وتمثل الطاقة الإنتاجية لها طبع تسعة ملايين ونصف المليون نسخة للمصحف الشريف سنويا وبأحجام مختلفة . .





الفريق يحيى بن عبدالله المعلمي

● العنوان : رحلة علمية ورحلات أخرى

● المؤلف : الفريق يحيى بن عبد الله المعلمي

● الناشر : دار المعلمي للنشر

مجموعة رحلات قام بها الفريق يحيى بن عبد الله المعلمي وسجل انطباعاته عنها في هذا الكتاب بأسلوب مشوّق جمع فيه بين التسجيل للحدث وروايته بعين الأديب مما جعل هذه الكتابات تقرأ مرات ومرات دون ملل.

بدأ المؤلف كتابه بالآية الكريمة: ﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق﴾ (العنكبوت/ الآية ٢٠) ثم قول الشاعر:

تغرب عن الأوطان في طلب العلا

وسافر ففي الأسفار خمس فوائد

تفرج هم واكتساب معيشة

وعلم وآداب وصحبة ماجد

يتضمن الكتاب الرحلة التي قام بها الفريق المعلمي إلى أمريكا حيث حصل على درجة الماجستير من جامعة ولاية متشجان في علوم الشرطة عن «تطور أجهزة الأمن» ثم رحلات أخرى ـ أقصر ـ في الصين واليمن وسيناء (في مصر) وكانت خاتمة رحلات كاتبنا إلى صعيد مصر مشاركاً في إحياء ذكرى المفكر الأديب عباس محمود العقاد باعتباره ـ المعلمي ـ أحد المتأثرين بأدب العقاد المتلهفين ـ كما يذكر ـ على قراءة ما يخطه قلمه وما يشّع به فكره، بل أحد المتعصبين للعقاد.

رحلة علمية

تمثل الرحلة العلمية للفريق المعلمي إلى أمريكا للدراسة جزءاً كبيراً من الكتاب، حيث سجل بقلمه الرشيق تفاصيل ثلاثة عشر شهراً قضاها هناك ابتداء من مغادرته الرياض قاصداً دخول أمريكا من غربها، مروراً ببيروت ومنها إلى إيران ثم باكستان فالهند وبانكوك (عاصمة تايلاند) وكوالا لامبور وهونج كونج ثم جزر هاواي حتى لوس انجلوس على الساحل الغربي للولايات المتحدة الأمريكية..

وطوال هذا الترحال لم تغفل عين «المعلمي» عن التقاط وتسجيل بعض المشاهدات.. ففي كوالا لامبور ـ على سبيل المثال ـ لا تزال صورة أكبر مسجد في المدينة عالقة بذهن المؤلف، فهذا المسجد الذي يتسع لسبعة آلاف مصلٍ، يتميز بتصميمه الغريب، فهو يشبه مظلة كبيرة مفتوحة إذ ترتفع قبته الضخمة على أربعة أعمدة ضخمة وتحيط بها أروقة تزيد عن سعة المسجد، ولما سأل الكاتب عن كيفية بناء هذه التحفة المعمارية جاءه الجواب:

ـ الملك فيصل يرحمه الله هو الذي أمر ببنائه على نفقته.

ويشعر الكاتب براحة عميقة عندما يشاهد الأيادي الخيّرة تعمل لصالح المسلمين في بلاد العالم.

تفوق واضح

يأخذنا الفريق المعلمي في رحلته العلمية، وكيف لم يشعر بغربة في أمريكا، بعد أن بددت غربته علاقات طيبة مع الأخوة السعوديين الدارسين وقتها هناك؛ منهم الأخ صالح بن ناصر نائب الرئيس العام لرعاية الشباب فيما بعد، الذي كان يشارك المؤلف مهام المطبخ وإنضاج الأرز، والأخ «الدكتور» حمود البدر وكانت مسؤوليته إنضاج الشواء، يساعده في ذلك الأخ «الدكتور» أحمد باسهل الذي يتميز بخبرته في إعداد الشواء وغمسه في التوابل واللبن منذ الليل ليصبح عند الشواء سريع النضج لذيذ الطعم.. ورغم هذا الجو «المطبخي» لا ينسى المعلمي أشعار أمرئ القيس وجرير والمتنبي وشوقي وأحمد فرح عقيلات والدكتور الألمعي وأحمد سالم باعطب وعمر الأميري وابنه البراء وطاهر زمخشري ومحمد حسن فقي وغيرهم وغيرهم.. ففي الانشغال بإعداد الطعام يردد معلقة أمرئ القيس، وما قاله في يوم «دارة جلجل»:

ألا رب يوم لي من البيض صالح

ولا سيّما يوم بدارة جلجل

ويوم عقرت للعذارى مطيتي

فيا عجباً من كورها المتحمل

فظل العذارى يرتمين بلحمها

وشحم كهُدَّاب الدمقس المفتل

وظل طهاة اللحم ما بين منضج

صفيف شواء أو قدير معجل

إن هذا العمل للكاتب إضافة إلى أدب الرحلات؛ خاصة وأن هذا الفن الإبداعي لم يلق اهتماماً من أناس جابوا بلاد الدنيا لكنهم لم يسجلوا ذلك على الورق كما فعل «المعلمي».



● العنوان: في البدء كان الرحيل (مجموعة قصصية)

● المؤلف: فوزية الجار الله

● الناشر: نادي القصة السعودية ـ ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م

تصدر فوزية الجار الله مجموعتها القصصية (في البدء كان الرحيل) بإهداء غير تقليدي، تقول فيه: «إلى الطيور البيضاء التي أرهقها الرحيل بين خفق الفرح وزحف النهاية...» فتعطي ـ بالتالي ـ للمطّلع على نصوصها مفتاحًا يفتح به مغاليق الدلالات، خاصة ما يتعلّق بمفهوم الرحيل؛ لأنه القيمة السائدة، بل الكلّية، المسيطرة على روح الكتابة لديها، ورحيل فوزية الجار الله ليس رحيلا في المكان كما قد يخطر على البال للوهلة الأولى، وليس رحيلا في الزمان أيضًا. وهل يمكن أن تقع حركة خارج هذين المفهومين؟ أجل إن الحركة ـ هنا ـ المسبّبة للرحيل، تقع في الشعور، في إحساس الذات بتقلّباتها الشعورية، ولذا فقد أعاننا ـ كما أسلفنا ـ الإهداء، فهو يشير إلى رحيل «بين خفق الفرح وزحف النهاية» ولم يتجاهل الإهداء التوجُّه إلى الطيور البيضاء، فما هي؟ إنها ـ على ما أزعم ـ النفوس الطاهرة النقية التي تتشبث بخفقة الفرح، ولا تريد فقدها أبدًا، ولكنها تضطر أمام الزّحف الغاشم للنهاية إلى التقلب، وهنا بالضبط يقع رحيلها، ولأن الرحيل هو القيمة الأساس، فقد تخيَّرت الكاتبة عنوانًا شاملاً للمجموعة، يعبر عن الإجمالي والشائع، ولا يقتصر على الجزئي المحدود، ولن نعثر على عنوان واحد يحمل مفردة (الرحيل) في عناوين النصوص جميعًا، بل ربما عثرنا على مرادفات في عناوين (الهجرة إلى عينيك) و(هروب) و(الشريدة). وإن كانت هذه النصوص بالذات تشير إلى المعنى المباشر للكلمة، ولا تعبِّر عن المفهوم الأكثر عمقًا للرحيل، كما في النصوص التي نريد التعامل معها.

في قصة (الصَّفعة الأولى بعد الألف) فتاة «خائفة.. مبعثرة.. خجلة..» وبرغم كل هذا فإن خطواتها «تتدفق فرحًا» فما هي تنتهي للتوّ من تجميل أظافرها، وتمكث برهة تتأملها بعينين شاردتين، وتعيد طرح الأسئلة «ماذا أفعل؟ أين أذهب؟ بأي الأعمال أبدأ» ونعلم أنها تعيش ليلة عرسها، الليلة التي ستودع فيها مراتع صباها إلى عالم جديد مجهول، وبسبب هذا كان اختلاط المشاعر واضطرابها، إلى درجة التعبير عن ذلك بما يشبه التناقض، وما بين السعادة الغامرة التي سبق التعبير عنها تصل إلى الضياع الذي «ينسج خيوطه حولي، يتحول إلى قلعة لا منفذ لها ولا معبر كالأسطوانة المجوفة ممتدة ضيقة...» وتستعيد الفتاة طفولتها البعيدة «أتخيل تلك المملكة الصغيرة الدافئة لفتاة كانت حزينة يومًا.. ذلك المنزل الدافئ الملون كأحلام العصافير. فتاة تقف قرب النافذة تنتظر، تؤنسها أنفاس الشموع.. ثمة نباتات خضراء متسلّقة ترتمي بدلال حول النافذة.. وتشرق هي بإطلالة أسطورية

بديعة . . تقضي انتظارًا جميلاً كهطول الربيع».

ويلح السؤال: هل المأساة هنا، في فقدان الطفلة في الأنثى الناضجة؟ أم أن القلق صادر عن حالة الترويض التي وقعت ورضائها وقنوعها بأن تلعب اللعبة حتى النهاية؟ بمعنى أنها مع فقدان البراءة والعوالم الحالمة الصافية، وفضاء الطيور البيضاء إلى عوالم جديدة تقنع فيها تلك الفتاة بالدوران حول محور الرجل، فتفقد استقلاليتها، أو كما تقول في المتن «اليوم فقط سيعلمون أني لست متمرّدة وأني صالحة للحياة وأنني كالنساء . . اليوم فقط سيعلمون أني مسالمة ومطيعة كقطة صغيرة عمياء!».

وبالطبع يمكن العثور على قيم أخرى - غير الرحيل - في ثنايا النصوص، فلا يمكن بأي حال أن تغفل سيادة الحلم في غالب النصوص، وقصة (الشاحنة) على سبيل المثال تقوم كلها على حلم مروي، ففي ساعات ليلية مظلمة تجد الراوية نفسها تسير في طريق تصفه بأنه «رحيل إلى دفء يحطم بقايا الشكوك . . إلى نهر من رحيق الشفق تغتسلين به . . إلى واحة من زهر طفولي طالما شدّك الوله إليه . .» ولا يفوتنا التنويه بتضافر القيم الأساسية في هذه السطور المحدودة، فها هنا الرحيل مرة أخرى، ومحاولة الإمساك بزهر الطفولة فلا تفلته يدنا أبدًا، والعالم الحلمي الذي ينقلب — في النهاية — إلى ما يشبه الكابوس، فالشاحنة تلك الكتلة الحديدية الهائلة، تدنو بإصرار إرادي لا رادع له نحو الفتاة، وتسقطها على الأرض، لتسحقها، وتلتهم جسدها الأسفل، وكان من الممكن استكمال النصّ دون الكشف عن مخبوئه، كما يحدث في القصّ التقليدي ففي، مثل هذا النوع من القص يبوح الكاتب بسرّه، ولا يدع فرصة لإثراء الدلالات، إن الراوية تستيقظ من نومها لتصيح «رباه إنني فوق سريري . . كابوس . . كابوس مروع» ويفقد النص كينونته، ويكشف الغطاء عن أسراره، وكان من الأجدى فنيًا أن يظل الحلم مرصودًا دون الإعلان عن حلميته، وكان لا ينبغي أن تقول في قصة (الموت قصفًا) بعد أن سردت الحلم «صحوت . . كنت أحلم!!».

يمكننا بسهولة ملاحظة الهمّ الأنثوي في نصوص المجموعة، فهو طاغ وملح، ولا غرو فإننا نتعامل مع نصوص تفيض حيوية. وتستصرخها وضعية، الراوية، ويستهلكها الشأن الخاص، ومن اليسير التأكيد على ما تذكره في كل النصوص المحكية على لسان امرأة، عدا نصين هما: (الغريب) و(هذا الرجل يضطهدني) فقد جاءا على لسان الرجل، ولا يمكن تجاهل التساؤل عن ضرورة ذلك، ما الذي دفع فوزية الجار الله لتقمص الرجل، وهو الأمر الخارج عن طاقتها، وعن همها الفني الصارخ، مما جعلها تكتب قصة سردية مملة، وتنقل المحور الأساسي الذي قامت عليه معظم النصوص التي تعتمد على «المونولوج»، وهو الأسلوب المفضّل لدى الكاتبة، ولا تتنازل عنه أبدًا، إلا إذا انحرفت عن طريقها المرسوم، فهي تجيد محاورة الذات للذات، فتنفض حروفها من العصب الحي إلى عصب المتلقي دون حواجز غليظة، أما إذا رحلت عن مونولوجها إلى السرد الموضوعي كما في (الغريب) و(هذا الرجل يضطهدني) فنجدها تدخل مضطرة إلى دنيا الرجال، لتتحدث بلسانهم، أما إذا مكثت في ظلال الحوار الداخلي، فإنها تضرب في عمق الأعماق، وتستنطق أغوار النفس، لتعلن عن خفاياها.

وفي النصّ القائم على المونولوج تتدفّق اللغة الشاعرية بغزارة، ولا يجهد الباحث في تبرير ذلك، بل إن المتلقي يستطيع - لو أراد - أن يقلب صفحات الكتاب عشوائيًا، ثم يتخيّر الصفحة التي ثبتت عليها أصابعه ليطالعه الشعر في أي جزء من أجزاء النصوص المتباينة، غير النصين السابقين القائمين على السرد الموضوعي.

وانظر إلى هذه الأمثلة الدالة: «أنا ابنة الريح وخفقة اللهب أنا التي قالت ما لم تقله الزهرة وما لم يحتمله الجبل . . أنا التي انبجست من جزر الأحلام وبحار الشجن . . . بقايا فرح . . انتفاضات لحن وأصداء نغم . . أنا التي قالت وقالت وفي النهاية علمت بأنها لم تقل . .» من قصة (المستحيل). وانظر أيضا إلى «راحلة أنا من مدن الدهشة والأساطير المشمسة . . إلى مدن الجفاف الصاخب والدروب المتكسّرة . . راحلة أنا إلى حيث لا تدري ولا أدرى . . عيناك أيها الغريب . . بحيرتا أنغام وأمان . . أنشودتا فرح طفولي . . دفء يدثرني من مخالب الصقيع . . حلم غائب مستحيل . . حلم سحيق لا أطاله بكفي . . ولا ساعدي . . ولا قدمي . .» من قصة (الهجرة إلى عينيك) والعناوين - كما ترى - تنتمي معظمها إلى القصيدة لا القصة.

وتتحكم في الكتابة رغبة شديدة في البوح والشكوى، والسعي نحو الآخرين للتواصل معهم، ولكنها — دومًا — تصدم بانغلاقهم وانحصارهم داخل ذواتهم، فهم منسحقون باهتماماتهم الصغيرة والمحدودة، ويميلون إلى كل ما هو مبتذل وتافه.

في قصة (صداع) تذهب الفتاة إلى الطبيبة، ليس لأنها تعاني مرضًا ما، لكن - فقط - للرغبة في التحدث إلى إنسان، أي إنسان، ويفجعها أن النسوة في غرفة الانتظار لا يعبرن عن اهتمامات رفيعة، تصقل الروح، فهن مشغولات بالذهب وأدوات الزينة، وأنواع الملابس، والثرثرة الفارغة، حتى الطبيبة التي راهنت على التواصل معها بالحديث والشكوى لم تجدها جديرة بذلك لأنها مجرد إنسانة حرفية لا تنمّ ملامحها عن أشياء غير عادية.

كان من الضروري أن تلجأ الكاتبة إلى ضمير المتكلم في أكثر نصوصها، لأنه الأسلوب الأنسب والأوفق مع المونولوج الداخلي الذي اختارته للتعبير عن رؤيتها الفردية الغالبة، فنحن في نصوصها مع شخصية واحدة في مواجهة المجموع (الفرد - المجتمع) ولم تتخل الكاتبة عن ضمير المتكلم (الأنا الفردية) إلى ضمير الغائب (الـ . . هي والـ . . هو) إلا في عدد محدود من النصوص، وهي النصوص التي سبق وأن وسمناها بالسردية الموضوعية، وهي ذات النصوص التي جاءت على لسان الرجل، والنتيجة التي تؤكد نفسها هي أن النصوص (الشواذ) التي لا تنتمي إلى فضاء الكاتبة تخرج عما تألفه، وتطرد نفسها من مركزيتها القاهرة إلى خارج محيط الدائرة التي تستفيد فيها طريقتها الخاصة جدًا والمستقلة جدًا.

فالنصوص التي تميزها هي تلك التي تعتمد ضمير المتكلم - المنولوج - اللغة الشعرية - الداخل في مواجهة الخارج. وكل نقيض لهذا، فهو لا ينتمي إليها، ولا يحمل سماتها الخاصة، ونقصد بها النصوص التي تعتمد ضمير الغائب — السرد الموضوعي - اللغة الوصفية - الخارج في مواجهة الخارج.

ومن هنا فإن النصوص الأولى تسودها لغة حارّة دافقة شعرية، أما النصوص الأخرى فتأتي باردة، هادئة الإيقاع، عديمة الروح والفاعلية.



تُعدُّ مشكلة الاتصال من أهم المشكلات التي تجتذب اهتمام العلماء في مختلف العلوم الإنسانية. وقد زاد الاهتمام بها في ميدان الدراسات اللغوية، حتى أصبحت من أهم الدراسات في مجال الاتصال. ذلك أن اللغة الإنسانية وسيلة من وسائل الاتصال، ودراستها لا يمكن أن تقتصر على وصفها وتحليلها. وإنما لا بد أن تمتد لتشمل عملية الاتصال في حد ذاتها، ودراسة مدى تأثير هذه العملية فيها.

اللغة والاتصال.. بين الإنسان والحيوان

بقلم: د. قسطنطين شوملي

وفي هذا المجال يجب ملاحظة نوعين من الاتصال: **اتصال إنساني، واتصال حيواني.** ولقد أظهر عدد كبير من علماء اللغة اهتماماً كبيراً بالاتصال الإنساني غير اللغوي، لأنه نظامي ويؤيد عادة أو ينفي النظام اللغوي.

الاتصال الحيواني

الاتصال الحيواني مجال هام من مجالات الاتصال الهامة، إلا أنه يختلف عن نظام اللغة الإنسانية، ويفصل بينه وبين اللغة الإنسانية فجوة واسعة لا يمكن سدها إذ يشترك الإنسان مع الحيوانات الأخرى في استعمال الحركات الجسمية والإيماءات والإشارات وحركات اليدين والرأس، لنقل المعلومات وإصدار الأصوات، ولكنه ينفرد عنها جميعاً بقدرته على تطوير اللغة. ويرجع الفضل في ذلك إلى تطور الجهاز العصبي لديه.

ونستطيع في اللغة الإنسانية أن نتحدث عن أشياء لا نراها وغير موجودة أمامنا، في حين يعجز الحيوان عن ذلك، فالكلب لا ينبح إلا عند مشاهدة الطعام.

وتهم دراسة لغة الحيوان «**علم السيميائية**»: **وهو العلم الذي يتناول بالدراسة كل أشكال النظم الإشارية دون النظر إلى طبيعة نشأتها، هل هي لغة حية أو لغة طبيعية**؟أهي لغة حيوان أو آلة؟ إن الكثير من أدوات الاتصال تستخدم اللغة، وقد أدى ذلك إلى توحيد جهود علماء اللغة ومهندسي الاتصال، للتوصل إلى معرفة الأفكار والنظريات والأساليب المستخدمة في عملية الاتصال.

الإنسان.. والوسائل غير اللغوية

يتصل الناس فيما بينهم عن طريق اللغة، كما يتم الاتصال بينهم أيضاً عن طريق وسائل غير لغوية. **فالحركات والإشارات والأصوات** التي تصاحب الكلام يمكن أن تبدل أو تغير المعنى. وتحتوي كل لغة من اللغات على مجموعة من الصفات الصوتية والنغمات والحركات التي يمكن أن تصاحب الكلمات وتبدل من معناها. فاللغة **الفرنسية** مثلا تميل إلى استعمال حركات اليد، واللغة **اليابانية** تميل إلى استعمال القهقهة. وتمتاز كل ثقافة بحركات خاصة ونماذج معينة من هذه الخصائص.

> يمكن الاتصال عن طريق وسائل غير لغوية، مثل الحركات والإشارات

ويبدو أن اللغة تكون أكثر فعالية، عندما يتم الاتصال بها باستعمال الكلمات والاشارات والحركات التي تساندها.

ويصاحب النظام اللغوي عادة، نظام آخر غير لغوي، يضيف بعداً جديداً للمعنى. ويتكون هذا النظام من مجموعة من الصفات التي تتمثل في النبر والضجيج وقوة الصوت. ويستعمل المتحدث إحدى هذه الصفات عن طريق **ارتفاع الصوت وانخفاضه، نعومته أو خشونته**، فيكون الصوت ناعماً عند حكاية قصة للأطفال، وحاداً خشناً في خطبة أو مؤتمر صحفي.

والحديث مع الأطفال يحتاج إلى نغمة تختلف عن نغمة الحديث العادي، كما تختلف النغمة عند كل حديث، بحيث تحمل كل مرة معنى خاصاً. وقد تكون النغمة علامة للسرور أو الغضب أو الفشل أو الانزعاج. ويسمى هذا

النظام الذي يصاحب اللغة **«باللغة المجاورة»** ، ويتعلمه الانسان منذ الصغر ، ويظهر في رد فعله الطبيعي عند الحديث .

الحركات

إن اللغة نظام معقد لا يقوم بمعزل عن النظم الأخرى . وأحد هذه النظم هو **الحركة الجسمية أو «الكينات» : وهي علم يختص بوصف أوضاع الجسم وحركاته ، والتي تحدث وفق نمط معين** . ولكل شعب حركاته الجسمية أو كيناته ، وهذه الحركات يتعلمها الأطفال في السنوات الأولى من حياتهم . وتسمى هذه الحركات **بالإيماءات** ، وقد تكون الايماءة حركة عين ، أو حركة وجه ، أو وضع قدم ، أو استعمال يد ، أو هزة كتف . وتختلف باختلاف الثقافة التي تنتشر فيها . ويجب ان يحدد معنى الحركات الجسمية في كل ثقافة لمعرفة مدى تأثيرها في المعنى ، فقد تستعمل حركات مختلفة للدلالة على نفس المعنى في ثقافتين مختلفتين .

كما أن للمسافات التي تفصل بين المتكلم والمخاطب وأشكالها المختلفة نظاماً معيناً يؤثر بصورة مباشرة في المعنى . وهذا النظام الذي يخضع له المتحدث ليس معقداً كنظام اللغة في حد ذاتها ، بل يمكن تعلمه بسهولة . وقد ظهر اهتمام خاص من قبل علماء النفس بهذا الجانب من المسافات التي تؤدي أثناء الحديث المعاني والتعبيرات المختلفة .

لغة الحيوان

لقد اهتم **علماء الانثربولوجيا** اهتماماً خاصاً بدراسة الطرق والأساليب التي تلجأ إليها الحيوانات للاتصال ، ذلك أن دراسة لغة الحيوان تساعد على فهم لغة الانسان وخصائصها الفريدة ، والعوامل التي تدخل في بنائها عند خلقها أو وجودها . واهتمت دراسات كثيرة بوسائل الاتصال بين الحيوانات المختلفة ، وبين الإنسان والحيوان .

ويبدو أنه من الصعب أن نعتبر الأصوات والحركات والإيماءات التي تصدر عن بعض الحيوانات لغة بالمعنى الدقيق ، لانها ليست كلمات ، وانما هي عبارة عن علامات فقط . وتحدثنا دراسات كثيرة عن الذكاء الخارق لبعض الحيوانات والتي تستطيع فهم بعض الكلمات .

والواقع أن الذين يعتقدون أن الحيوانات تستطيع أن تفهم لغة الانسان، لا يدركون أن هذه الحيوانات لا تفهم الكلمات وانما تتعلم نغمة صوت الكلمة . ويهمنا أن نعرف أن بعض الحيوانات لها نظام اتصال متطور ، لأن ذلك يساعدنا على فهم اللغة الإنسانية.

ومن الأخطاء الشائعة **استعمال لفظة لغة للدلالة على وسائل الاتصال في عالم الحيوان** ، ذلك أننا حتى الآن **لم نتمكن من اكتشاف وسائل تعبير حتى ولو كانت بدائية لدى الحيوان** ، تتميز بمميزات اللغة الإنسانية . وكل المحاولات التي جرت للبحث عن وجوه الشبه بين لغة الانسان ولغة الحيوان باءت بالفشل ، لأن الشروط الأساسية لتوصيل رسالة لغوية لا تتحقق في عالم الحيوان حتى عند أشد الحيوانات ذكاءً .

إن التجارب العديدة التي تمت منذ زمن بعيد على النحل ، تدفعنا للاعتقاد بأن لهذه الحشرات وسيلة للإتصال خاصة بها . فالتنظيم الرائع لخلايا النحل وقدرتها على ممارسة نشاطات مختلفة ومنسقة تجعلنا نعتقد أنها قادرة على تبادل الرسائل . فالنحل من الحشرات التي تعيش في جماعات على هيئة خلايا على درجة عالية من **التنظيم** . ومن الطبيعي أن يتوقع الإنسان وجود نوع من لغة التخاطب والتفاهم بين أفراد هذه الخلايا .

> رقصات غير مقصودة ولكنها معتادة تقوم بها النحلة لتنقل خبراً ساراً إلى بقية جماعتها..

النحل ينقل الأخبار !

ولو قمنا بتجربة معينة ووضعنا محلولاً سكرياً في مكان ما ، وتركنا المجال لنحلة لتأكل منه ، وقمنا أثناء ذلك بوضع علامة خاصة على النحلة حتى نميزها عند عودتها إلى الخلية من بقية النحل نرى أنه **لا تمضي فترة وجيزة على عودتها حتى تخرج من الخلية مجموعة أخرى من النحل وتذهب إلى نفس المكان الذي يوجد فيه المحلول السكري دون أن تصحبها النحلة الأولى** . ولا تجد مجموعة النحل هذه أية صعوبة في العثور على مورد الغذاء حتى ولو كان الغذاء بعيداً عن أفق الرؤية من مكان الخلية .

وندرك من هذه التجربة أن **النحلة الأولى هي التي نقلت خبر وجود الغذاء إلى بقية النحل** . وإذا كان الأمر كذلك ، فالسؤال الذي يطرح نفسه، هو **كيف تم ذلك ؟ وبأية وسيلة** ؟ فاذا اكتشفت نحلة كمية من الأزهار ذات الرحيق ، فانها ترجع إلى خليتها وتقوم برقصات بصورة غير إرادية أو مقصودة ، تنقل بواسطتها إلى بقية



النحل الموجود في الخلية خبر وجود هذا الرحيق.

ولقد شغلت هذه القضية **العالم كارل فون فريش Karl Von Frich** استاذ الأحياء في جامعة ميونخ خلال ثلاثين عاماً ، وقد توصل عن طريق تجاربه إلى اكتشاف القواعد الخاصة بالاتصال عند النحل . ومن المستحسن أن نذكر النتائج التي توصل إليها :

.. ويؤدي الرقصات !

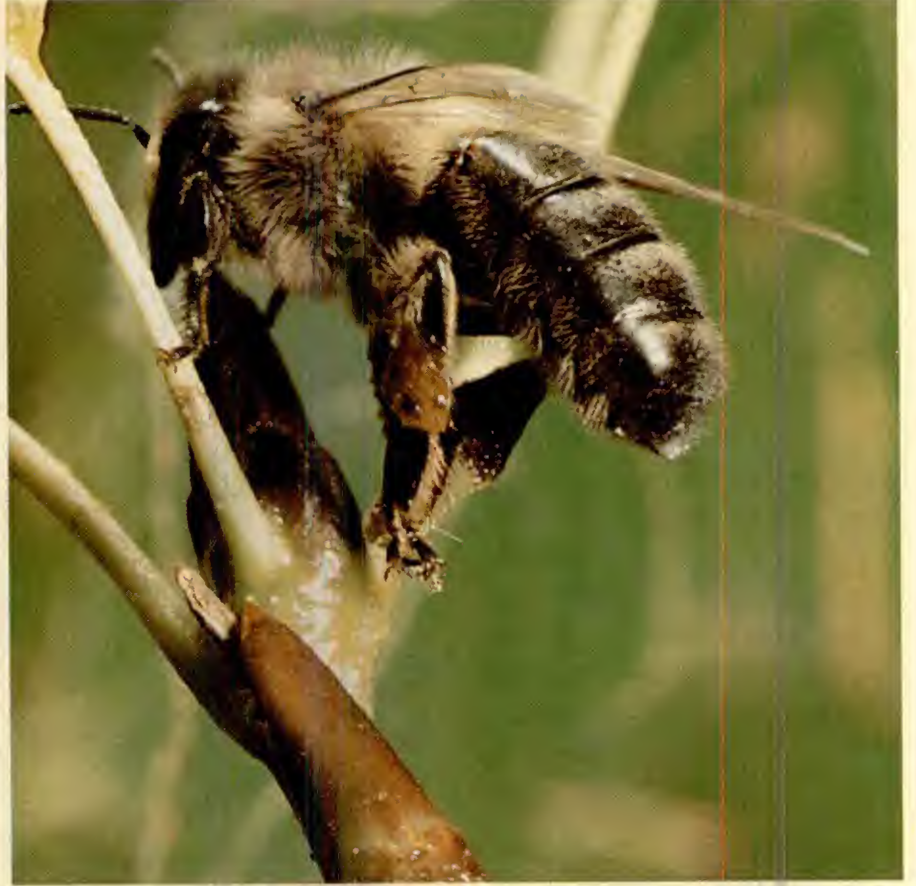
عندما تعود النحلة التي اكتشفت مورد الغذاء إلى خليتها ، تحيط بها زميلاتها لمشاركتها الغذاء الذي جمعته . وفي نفس الوقت تقوم مجموعة النحل برقصات وحركات تتم خلالها عملية الاتصال . وتبدأ العملية برقصتين مختلفتين ، تقوم بهما النحلة التي تحمل الغذاء . ولقد وصف كارل فون فريش هذين النوعين من الرقص بأنهما **دائري واهتزازي.**

واذا كان الرحيق الذي اكتشفته النحلة على مسافة قريبة من الخلية فان النحلة تطير في دوائر صغيرة حيث تتجه إلى اليسار ثم إلى اليمين . ويشترك بقية النحل في هذه الرقصة ، **ويدرك بهذه الطريقة أن هناك كمية من الرحيق بالقرب من الخلية .**

ويستطيع النحل أن يعرف نوع الرحيق عن طريق حاسة الشم . **وكلما كان الرحيق أكثر.. اتسمت الرقصة بالسرعة والحيوية وطول المدة** . وإذا كان الرحيق يقع على مسافة بعيدة من الخلية ، فتتم رقصة أخرى.. **حيث تطير النحلة في دورة نصف دائرية إلى اليسار ، وتهز بطنها ثم تدور نصف دائرة إلى اليمين وتهز بطنها** ، وتكرر ذلك فتقوم بحركة لولبية تمثل في شكل رقم 8[1] .

وبعد هذه الحركات ، تخرج من الخلية مجموعة من النحل ، تتوجه مباشرة إلى مورد الغذاء الذي قصدته النحلة الأولى ، وتأكل منه ثم





تعود إلى الخلية ، وتجري رقصات أخرى تسبب ذهاب مجموعة جديدة من النحل إلى مكان الغذاء .

تفسير معنى الرقصات

وظن كارل فريش في عام ١٩٢٣م أن الرقصة الدائرية تعلن عن وجود **الرحيق** والرقصة اللولبية وجود **اللقاح** أو الطبقة الغبارية على جسم النحلة .

وبعد القيام بتجارب عديدة أخرى توصل كارل فون فريش في عام ١٩٤٢م إلى تفسير معنى هذه الرقصات ، ووجد أنها لا تدل على طبيعة الغذاء ، وإنما على بعد المكان الذي يوجد فيه .

فالرقصة الدائرية تشير إلى وجود الغذاء على مسافة قريبة ، أي في دائرة محيطها يقترب من مئة متر تقريباً حول الخلية ، في حين أن الرقصة اللولبية تدل على أن الغذاء موجود في مسافة ما بين مئة متر وستة آلاف متر .

وتدل الرقصات على شيئين مختلفين ، الأول **الاتجاه** والثاني **المسافة** . ويمكن أن تعرف المسافة من عدد الدورات التي تقوم بها النحلة في زمن محدد . فكلما أبطأت النحلة في الرقص والدوران ، طالت المسافة . فعدد الرقصات التي تؤديها النحلة في مدة معينة ، يعطي النحل فكرة عن بعد مصدر الرحيق . فكلما كانت حركة الرقصة أبطأ ، دل هذا على أن المكان أبعد . أما الرقصة اللولبية . فهي تدل على الاتجاه الذي تحدده النحلة عن طريق تغيير اتجاه الحركة المستقيمة في الرقص والاهتزاز بنفس الزاوية التي تصنعها الأرض مع الشمس . وتكون زاوية الحركة الرأسية للرقصة عمودية عندما يكون وضع الشمس عمودياً . فإذا مالت الشمس مع تقدم النهار ، فإن زاوية الحركة العمودية للرقصة تميل بنفس الزاوية وتسمى هذه الزاوية **بالزاوية الشمسية** .

الرقصة الدائرية عند النحل تعني وجود غذاء على مسافة قريبة ، أما الرقصة اللولبية فمعناها أن الغذاء على مسافة بعيدة ..

النحل.. والألوان

وتدل هذه التجربة على أن النحل قادر على إرسال وفهم رسالة ما . حيث يتم نقل المعلومات عن طريق رقصات خاصة تتضمن تعبيراً عن المسافة التي سيقطعها النحل للوصول إلى مورد الغذاء . وتحتوي هذه الرسالة على ثلاثة عناصر هي : **الغذاء ، مسافته ، واتجاهه** .

ورغم أهمية هذه الملاحظات المثيرة التي توصل إليها **فريش** ، إلا أنه لا يمكن اعتبار هذه الحركات لغة .. لأن اللغة من **أصوات ومعانٍ** في حين أن الوسائل التي يستعملها النحل تقوم على **الرقص** دون **الصوت** . كما أن الاتصال بين النحل لا يتم إلا في **وضح النهار** ، حيث تكون الرؤية واضحة والضوء منتشراً ، في حين أن اللغة الإنسانية لا تعرف مثل هذه القيود .

وذكر فريش أن النحل قادر على رؤية أربعة ألوان ، وهي **الأصفر والأخضر المائل للزرقة والأزرق** واللون **فوق البنفسجي** . كما اكتشف أنه لا يرى اللون الأحمر ، ولا قدرة لديه على تذوق المواد الحلوة والمالحة والمرة . كما أن رسالة النحل لا تستدعي رد فعل أو جواب . ويعتبر الجواب رداً لغوياً على ظاهرة لغوية . **وهذا يدل على أن النحل لا يعرف الحوار الذي يعتبر من الشروط الأساسية للغة** .

ومن جهة أخرى تظهر رسالة النحلة كوحدة متكاملة لا يمكن تحليلها إلى وحدات أصغر . فلا يمكن تقسيم هذه الرسالة إلى وحدات صغيرة **(مورفيمات)** كما هو الحال في اللغة الإنسانية التي تتجزأ إلى وحدات ترتبط فيما بينها بحرية .

ومن أجل هذه الأسباب لا يمكن أن تعدّ حركات النحل لغة، وإنما **هي نظام من الرموز والعلامات** . وسيكون من المثير حقاً لو تمكنا في المستقبل من اكتشاف نظم مشابهة لدى حيوانات أخرى تعيش بصورة جماعية . لأن «المجتمع» من العناصر الأساسية للغة . **والقول بأن أصل اللغة الإنسانية يعود في الأصل إلى بعض نظم الاتصال البسيطة المستعملة لدى الحيوانات ، يفرض علينا تفسير مظهر الثنائية في اللغة ، وتحديد العناصر العضوية أو الفيزيولوجية فيها** .

الطفولة وإعلانات التلفاز

بقلم: د. حمدي حسن محمود

تشكل العلاقة بين الطفل وشاشة التلفاز محورا رئيسا في دراسات الاتصال الجماهيري في مختلف أنحاء العالم منذ أكثر من ثلاثين عاما. وقد اهتمت دراسات الطفولة في البداية بالتأثيرات المعرفية والسلوكية الناتجة عن تعرض الأطفال لبرامج التلفاز لساعات طويلة. ولم تكن إعلانات التلفاز من بين محتويات البرامج التي حظيت باهتمام الدراسات الإعلامية. فقد ساد اعتقاد بأن الإعلانات لا تنطوي على تأثيرات سلبية أو إيجابية في معرفة الطفل وسلوكه. ولذلك انقضت عشرون سنة من بدء تشغيل محطات التلفاز في الولايات المتحدة قبل أن يلتفت الجميع - باحثين ومفكرين - إلى خطورة الإعلان التلفازي وتأثيراته في الأطفال. وقد بدأ هذا الاهتمام يظهر في أوائل ستينيات هذا القرن حينما بدأ العاملون في التلفاز يبثون إرشادات خاصة فيما يتعلق بالإعلان عن لعب الأطفال. ومنذ ذلك الحين أخذت قضية العلاقة بين الإعلان التلفازي والطفولة أبعادا مختلفة لتثير قضايا عديدة.

ومهما يكن الشكل الذي تأخذه علاقة الطفل بإعلانات التلفاز فإنها ترتكز على أربعة اهتمامات أساسية:

- مدى اهتمام الأطفال بمشاهدة الإعلانات.
- تأثيرات الإعلان في عمليات التفكير عن الأطفال. ومنها قدرة الطفل على التمييز بين الواقع والخيال في الإعلانات وقدرة الطفل على تقويم الإعلان والوقوف على حقيقة أهدافه وخطورة إساءة استخدام الطفل للسلع المعلن عنها.
- التأثيرات الناتجة عن التعرض المتكرر لإعلانات التلفاز في قيم واتجاهات وسلوك الطفل وهي تأثيرات ممتدة تتعلق بجانب من التنشئة الاجتماعية.
- تأثير الإعلانات على العلاقة بين الطفل وأبويه ومدى ما يمارسه الطفل من ضغوط على السلوك الشرائي للأسرة.

سحر الإعلان على الشاشة

برغم أن الإعلان أسبق وجودا من التلفاز، إلا أن وصول التلفاز أعطى الإعلان أبعادا لم تكن قائمة من قبل في إعلانات الصحف والمجلات والإذاعة. فقد جاء التلفاز بإمكانات جديدة وآفاق أرحب استثمرها المعلنون ببراعة فائقة، فالصوت والصورة والحركة واللون وزوايا الكاميرا خصائص لا تجتمع للإعلان إلا مع التلفاز المتاح في كل البيوت تقريبا، ومن هنا كانت خطورة الإعلان التلفازي. وليست هناك دراسة واحدة أجريت على العلاقة بين التلفاز والطفل إلا وكانت الإعلانات ضمن أفضل المواد التلفازية التي يشاهدها الأطفال. فالحركة السريعة والموسيقى والصورة



من كتاب العدد



- د. حمدي حسن محمود
- أستاذ مشارك في كلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية / الرياض
- دكتوراه في الإعلام من قسم الصحافة/ كلية اللغة العربية/ جامعة الأزهر بالقاهرة
- له مجموعة بحوث ودراسات ومؤلفات إعلامية، منها:
- مقدمة في دراسة وسائل وأساليب الاتصال
- الصحافة العالمية (ترجمة)

والحركة والأغنيات المقفاة والتتابع السريع للقطات يأسر اهتمام الأطفال إن لم يكن الكبار أيضا. ويعترف الكثيرون بأن إعلانات التلفاز أفضل مادة تعرض اليوم على الشاشة تستخدم إمكانات التلفاز ببراعة، حتى إن أساليب إنتاج الإعلانات أصبحت تمثل نموذجا يحتذى في إنتاج البرامج الأخرى. وقد اعترف منتجو برنامج شارع سمسم بأنهم أفادوا كثيرا في إنتاج هذا البرنامج من دراستهم لأساليب إنتاج الإعلان ولذلك قدر لهذا البرنامج أن يكون أنجح برنامج تلفازي أنتج للطفل في عالم التلفاز. إن جاذبية الإعلان التلفازي للطفل تضعنا في بداية المشكلة. ما الذي يفعله الإعلان بالطفل؟

الحقيقة والخيال في الإعلانات

يتعرض الجميع كبارا وصغارا لبرامج التلفاز المملوءة بالوهم والحقيقة، غير أن الكبار لا يواجهون - في الغالب - مشكلة التمييز بين الوهم والحقيقة، فهم يعرفون جيدا ما الذي ترمي إليه الإعلانات. أما الأطفال فإنهم ربما لا يفهمون النوايا الحقيقية لتلك الأشكال المثيرة والأصوات المرحة والوجوه السعيدة التي تظهر في الإعلانات، وكثيرا ما يدرك الأطفال كل ما يقدم التلفاز على أنه الحقيقة أو صورة عنها. وقد حاولت دراسات عديدة قياس قدرة الطفل على التمييز بين الإعلانات والبرامج وقدرتهم على فهم أهداف الإعلانات. وتشير هذه الدراسات إلى أن هذه القدرة مرتبطة بالسن، فالأطفال ما بين سن الخامسة والثامنة لم يستطيعوا التمييز بين الإعلانات والبرامج، وذهب معظم هؤلاء الأطفال إلى أن الإعلانات أقصر طولا وأكثر مرحا. أما الأطفال ما بين التاسعة والثانية عشرة فكانوا أقدر على التمييز بين الإعلانات والبرامج، وأظهر هؤلاء الأطفال فهما أكثر لأهداف الإعلانات، إلا أن دراسات أخرى أشارت إلى أن استعانة الإعلانات بالشخصيات التي تظهر في برامج الأطفال تجعل مهمة الطفل في التمييز بين الإعلان والبرامج أكثر صعوبة، فمثل هذه الشخصيات تكون أكثر إقناعا للأطفال الصغار ربما بسبب ثقة هؤلاء الأطفال في مثل هذه الشخصيات والارتباط العاطفي بهم. وقد أكدت هذه النتائج دراسات كثيرة وبات من المؤكد أن فهم الطفل لأهداف الإعلان وقدرة الطفل على التمييز بين الإعلانات والبرامج أمور مرتبطة بعامل السن، وتشير هذه الدراسات إلى أن السن لا تعكس عوامل النضج فحسب وإنما تعكس خبرات الطفل التراكمية تجاه الإعلان. وقد وجدت إحدى الدراسات أن ٥٣٪ من أطفال الصف الأول الابتدائي الذين أجريت عليهم الدراسة أرادوا كل لعبة شاهدوها في إعلانات التلفاز مقابل ٦٪ فقط من أطفال الصف الخامس. ولا يعني ذلك بالطبع انعدام تأثير الإعلانات في قرارات الشراء لدى الأطفال الأكبر، ولكن يعني أن المعرفة بأهداف الإعلان تحد من التأثير الإقناعي للرسائل الإعلانية وفي مرحلة الطفولة فإن هذه المعرفة مرتبطة بالسن.

الخداع التلفاز

إن زوايا الكاميرا وحركتها والعدسات والمؤثرات الصوتية وأساليب الإضاءة الحديثة في التلفاز يمكن أن تجعل سلعة ما تعد المشاهد بالكثير الذي لا تستطيع الوفاء به في الواقع، بمعنى أن السلعة على الشاشة أكثر جاذبية منها في الواقع. ورغم أن هذه الأساليب تؤثر في



الكبار، إلا أن تأثيرها في الصغار يتضاعف وتتضاعف معه فرص خداع الأطفال. وبرغم ما أشار إليه العديد من الدراسات من أهمية استخدام تقنيات التلفاز إلا أن تأثير استخدام هذه التقنيات في الإعلانات التلفازية على الأطفال لا تزال غير واضحة بسبب قلة الدراسات المنشورة. ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن معظم الدراسات التي أجريت في هذا المجال كان وراءها المعلنون ووكالات الإعلان بهدف اختبار فاعلية هذه التقنيات التي تستخدمها في إعلانات التلفاز وهي لا توافق على نشر نتائج هذه الدراسات وبرغم ذلك فإن المتاح من الدراسات يشير إلى أن تقنيات التلفاز تستخدم على نطاق واسع في خداع الأطفال.

لقد كشفت إحدى الدراسات أن الأطفال الذين شاهدوا إعلانا عن لعبة بسيطة في التلفاز كانوا راغبين في دفع سعر أعلى ثمنا لهذه اللعبة من أطفال آخرين شاهدوا اللعبة في الواقع. وكشفت دراسة أخرى عن الإحباط الذي أصاب أطفالا شاهدوا إعلانا عن مكعبات البناء حينما وجدوا أن هذه اللعبة في الواقع لا تتمتع بكل المزايا التي صورها الإعلان.

وقد قام أحد الباحثين بدراسة تأثير التنوع في الأصوات المستخدمة في مقابل التنوع في مرئيات الإعلان ووجد أن الأولى أكثر تأثيرا في اهتمام الأطفال من الثانية. فقد أجرى تجربة على مجموعتين من الأطفال، شاهدت الأولى الإعلان يتضمن عبارة «اللعبة المبيعة لا تشتمل على بطاريات» مكتوبة على الشاشة، في حين شاهدت المجموعة الثانية نفس الإعلان يتضمن العبارة منطوقة. ووجد أن المجموعة الأخيرة كانت أكثر قدرة على تذكر العبارة من المجموعة الأولى.

وقد ساهمت هذه الدراسات وغيرها في إعادة النظر في اللوائح المنظمة للإعلان التلفازي حيث ألزمت بعض الدول المعلنين عن لعب

الأطفال بعدم استخدام تقنيات التلفزيون الصوتية والمرئية في عرض شكل وأداء لعب الأطفال بشكل مخادع. وألزمت جمعيات مهنية المعلنين بضرورة أن يتضمن الإعلان بعض المعلومات الضرورية مثل حاجة اللعبة إلى بطارية ووجود البطاريات مع اللعبة المبيعة من عدمه وغير ذلك من المعلومات. إلا أن المعلنين دوما كانت لديهم أساليبهم في الهروب من هذه اللوائح. فقد اعتاد المعلنون استخدام لغة يصعب على جميع الأطفال فهمها. فقد أجريت دراسة على مجموعتين من الأطفال الأولى شاهدت إعلانا عن لعبة أطفال تضمن العبارة التالية «شكل من التجميع مطلوب» والمجموعة الثانية شاهدت إعلانا عن لعبة أخرى تضمن العبارة التالية «عليك أن تقوم بتجميع أجزاء اللعبة معاً» ووجدت الدراسة أن الأطفال الذين تعرضوا للعبارة الأولى كان فهمهم للمعنى أقل من الذين تعرضوا للعبارة الثانية.

مستهلك الغد

إن طفل اليوم هو المستهلك في الغد، ومن الضروري أن يراعي الآباء تنشئة أطفالهم تنشئة استهلاكية قوامها حسن استخدام الموارد المتاحة. فالتنشئة الاستهلاكية للطفل هي تلك العملية المستمرة التي يتعلم من خلالها الطفل المهارات والمعارف والاتجاهات المرتبطة بسلوكه الحالي والمستقبلي كمستهلك. وتتحقق عملية التنشئة الاستهلاكية من خلال عدة عوامل مثل الوالدين والمدرسة والخبرة المباشرة. وقد وجدت دراسات عديدة أن الإعلان التلفازي يؤدي دورا هاما في التنشئة الاستهلاكية للأطفال الذين يتعرضون كثيراً للإعلانات التلفازية. وتشير هذه الدراسات إلى أن تأثير وسائل الإعلام يبدو تأثيرا صغيرا ولكنه مستمر مع الزمن.

وبوجه عام فإن تأثير الوالدين يتناقص تدريجيا مع السن في حين يزداد تأثير الأصدقاء باقتراب الطفل من مرحلة المراهقة؛ فقد أشارت إحدى الدراسات إلى أن تأثير الإعلان يتناقص مع السن بشكل تدريجي وهو تناقص ناتج من تطور فهم الطفل للإعلانات. فمن الظواهر التي لوحظت كثيرا فقدان الطفل للثقة في الإعلان كلما تقدم في السن حتى يصل إلى مرحلة ازدراء الإعلان. ففي أحد المسوح سئل أطفال من أعمار مختلفة عما إذا كانوا يعتقدون أن الإعلانات تقول الحقيقة دائما، فكانت إجابات ٣٥٪ من الفئة العمرية ٥ - ٧ سنوات هي نعم مقارنة بـ ١٥٪ من الفئة العمرية ٨ - ١٥ سنة و٥٪ فقط من الفئة العمرية ١١ - ١٢ سنة. وقامت دراسة أخرى بتوجيه السؤال نفسه بطريقة مختلفة قليلا فوجدت أن نسبة الذين يثقون في الإعلانات انخفضت من ٦٥٪ بين تلاميذ الصف الأول إلى ٧٪ فقط بين تلاميذ الصف الخامس. والسؤال الطبيعي: لماذا يتحول الأطفال إلى عدم الثقة في الإعلانات؟ هناك أسباب عديدة منها أن الطفل بمرور السنين يكتشف أن السلع المعلن عنها لا تفي في الواقع بما تعد في الإعلان،

وكذلك فإن وعي الطفل بالدوافع الحقيقية الكامنة وراء الإعلانات تتزايد. وتشير هذه النتائج إلى أن الإعلان يمكن أن يكون له دور في التنشئة الاجتماعية الاستهلاكية في مراحل الطفولة المبكرة، غير أن قضية اكتساب الطفل مهارات استهلاكية من الإعلانات في مراحل السن المتأخرة لا تزال محل خلاف.



دروس في المادية

تعرضت إعلانات التلفاز لاتهام العديد من النقاد بأنها مصدر دائم لدعم الاتجاهات المادية عند الأطفال. والمادية هنا تعني الاهتمام الشديد بالثروة والممتلكات. فالمراهقون الذين أبدوا اهتماما إيجابيا بالإعلانات التلفزيونية كانوا يعتقدون أن المال والممتلكات المادية أسباب ضرورية للسعادة. وفي إحدى الدراسات التي حاولت دراسة العلاقة السببية بين هذين المتغيرين ثم تقسيم أطفال الدراسة إلى مجموعتين: إحداهما شاهدت إعلانات تلفازية عن لعبة معينة حيث لم تشاهد المجموعة الأخرى هذه الإعلانات. ثم عرضت على المجموعتين صورتان إحداهما لطفل يمسك في يده اللعبة التي ظهرت في الإعلانات وكتب على الصورة أنه ولد غير لطيف، والصورة الأخرى لطفل ليس في يده شيء وفي أسفل الصورة كتبت عبارة «إنه ولد لطيف» وسئل أطفال المجموعتين عمن يفضلون اللعب معه. في المجموعة التي شاهدت الإعلانات اختار ٣٥٪ من أطفالها اللعب مع الطفل الذي لا يمسك اللعبة مقارنة بـ ٧٠٪ من أطفال المجموعة التي لم تشاهد الإعلانات، وتشير الدراسة إلى أن الإعلانات تزيد من أهمية الممتلكات المادية.

ومثل هذه الدراسات مثيرة، وتشير إلى علاقة السبب والنتيجة المحتملة بين الإعلان والاتجاهات المادية، ولكنها أبعد من أن تجعلنا نصدر حكما نهائيا. فمن الصعب القول بأن مشاهدة الإعلانات هي السبب في وجود الاتجاهات المادية. فالمشكلة الأساسية التي تواجه مثل هذه البحوث تكمن في قياس درجات تأثير عوامل التنشئة المختلفة والمقارنة فيما بينها. فعلى

سبيل المثال قد يوفر الإعلان التلفازي المعلومات وحافزا قصير الأجل تجاه المنتجات المرغوبة من الطفل، ولكن الأبوين يشكلان وسيطا بين الطفل وهذه التأثيرات. فالتأثيرات الناتجة عن التعرض للإعلانات التلفازية تختلف في درجتها ومداها تبعا لدور الوالدين.

الإعلانات والعلاقات الأسرية

كما تشير إحدى الدراسات السعودية إلى أن الإعلانات التلفازية يشاهدها الصغار ويدفع ثمنها الكبار وهو ثمن قد يكون فوق طاقة الأسرة مما يهدد العلاقات الأسرية بشيء من التوتر. فالطفل الذي يشاهد الإعلانات يتحول إلى بائع صغير يحاول تسويق السلع المعلن عنها داخل محيط الأسرة ويمارس في سبيل ذلك العديد من الضغوط وهذا يعني:

● أن مطالب الأطفال بشراء سلع معينة خاصة تلك التي يراها في الإعلانات يمكن أن تصيب العلاقة بين الطفل وأبويه بالتوتر.

● من المحتمل أن يصل هذا التوتر مداه بين العائلات التي لا تمكنها قدراتها من الاستجابة لمعظم طلبات أطفالها.

● أن رفض الأسرة الاستجابة لطلبات الأطفال يمكن أن يكون مبعث إحباط للأسرة والطفل معًا مما يؤدي إلى الاستياء والسخط.

● أن الاستجابة لمطالب الأطفال يمكن أن تحدث ارتباطا في أولويات الاستهلاك عند الأسرة مما يؤدي إلى سلوكيات غير ملائمة لأوضاع الأسر، خاصة الفقيرة منها.

ويعترف المعلنون بأن الإعلانات تؤثر في الأطفال وتدفعهم إلى الضغط على أبويهم لشراء سلع معينة. وبرغم أن اللوائح المنظمة للإعلان التلفازي في دول عديدة تمنع الإعلانات من توجيه الأطفال لشراء منتج معين أو سؤال الأبوين لشراء هذا المنتج، إلا أن المعلنين في كل أنحاء العالم يمكنهم تشجيع الأطفال على طلب شراء هذه السلع من آبائهم بوسائل خفية لا تبدو مخالفة للوائح المنظمة للإعلانات التلفازية.

في دراسة كارون ووارد أشار ٢٧٪ من الأطفال إلى أن التلفاز كان مصدراً لطلبات شراء هدايا المناسبات، يليه الأصدقاء بنسبة ٢٦٪. وفي دراسة روبرتسون وروزيتر وجد أن التلفاز هو المصدر الرئيسي للمعلومات حول طلبات هدايا المناسبات بين عينة قوامها ٢٨٩ طفلا من الصفوف الدراسية الأول والثالث والخامس. وانتهت دراسة كلانسي هيبورن إلى وجود علاقة إيجابية بين مشاهدة التلفاز وطلبات الشراء.

وتشير نتائج هذه الدراسات إلى أن إعلانات التلفاز تشكل مصدرا مهما للمعلومات عن السلع التي يستخدمها الأطفال، وأن هذه الإعلانات تشجع على طلبات الشراء خاصة بين الأطفال الصغار. بل إن الأطفال يتأثرون بالإعلانات عن سلع غير موجهة إليهم حسبما كشفت دراسة جليسون. وفي إطار تأثير الإعلانات في العلاقات الأسرية حاولت دراسات عديدة استقصاء موقف الأسر من طلبات شراء السلع المعلن عنها من جانب الأطفال **وانتهت هذه الدراسات إلى أن استجابة الأسرة لطلبات الشراء تتوقف على عدة عوامل:**



● **نوع السلعة:** حيث يتضح أن مدى أهمية السلعة بالنسبة للطفل من وجهة نظر الوالدين ترتبط بمدى موافقتهما على تلبية طلبات الأطفال، وبوجه عام وجدت العديد من الدراسات أن عائلات الطبقة المتوسطة يلبون طلبات الأطفال إذا تعلقت بالسلع التالية على الترتيب: السيريال ٨٧٪، الأطعمة الجاهزة والسريعة التحضير ٦٧٪، ٥٤٪ لعب الأطفال، الحلويات ٤٢٪، ١٦٪ للشامبو.

● **عمر الطفل:** ولم تتفق الدراسات في تأثير هذه العوامل، فقد وجدت بعض الدراسات علاقة إيجابية بين عمر الطفل واستجابة الأسرة لطلبات الشراء، وانتهت دراسات أخرى إلى أن المستوى الاجتماعي والبناء الأسري أقوى تأثيرا من عمر الطفل.

● **المستوى الاجتماعي:** تشير دراسات عديدة إلى أن المستوى الاجتماعي يرتبط إيجابيا بتلبية طلبات الشراء عند الأطفال. ولكن هناك دراسات أخرى لا تعوّل كثيرا على المستوى الاجتماعي في تلبية طلبات الشراء عند الأطفال.

● **اتجاهات الوالدين نحو الإعلانات:** يشكل الوالدان وسيطا بين الإعلانات وطلبات الشراء عند الأطفال ولذلك فإن استجابة الوالدين لهذه الطلبات يرتبط بمدى فهم وإدراك الوالدين للإعلانات ونواياها الحقيقية، فقد أشارت إحدى الدراسات إلى أن الأمهات اللاتي يفهمن جيدا ادّعاءات الإعلانات أظهرن استجابة أقل لطلبات الأطفال لشراء الأغذية المعلن عنها.

وفي الاتجاه نفسه حاولت دراسات أخرى استقصاء التأثيرات الناتجة عن رفض الوالدين طلبات الشراء من جانب الأطفال. ووجدت هذه الدراسات أن الرفض من جانب الأبوين يعد فرصة لأن يعلّم الوالدان أبناءهم شيئا عن الاستهلاك. فحينما يبرر الوالدان رفض طلبات الأطفال بأن هذه السلع مرتفعة الثمن، وأنها ذات نوعية رديئة فهي فرصة لتعليم الأطفال شيئا عن السلوك الاستهلاكي. وتوصي هذه الدراسات الآباء والأمهات بإعطاء الأبناء تبريرات مفصلة للرفض لأن ذلك يهيئ فرصة لتعلم الطفل السلوك الاستهلاكي الصحيح من مثل هذه التبريرات والمناقشات.

ومن زاويــة أخــرى وجــدت دراســات أن الـرفض من جـانـب الأبـوين يؤدي إلى نـوع من التوتـر في العـلاقـة بين الطفل وأبـويـه. ففي مسح على عينة من الأطفال وجد أن $\frac{1}{3}$ الأطفال الـذين رفضت طلباتهم كـانـوا يجادلـون أبويهـم، وأن $\frac{1}{5}$ الأطفـال كان يصيحون في حالة من الغضب، وقـامت دراسـة أخـرى بعرض برنامج تلفازي يحوي إعلانات عن لعبة جذابة. وتم عرض البرنامج ذاتـه على مجمـوعـة أخـرى دون إعـلانـات. وبعـد انتهـاء البرنـامج عـرضت صـورتان على المجمـوعتين إحداها لطفل يقبـل أباه في سعادة، والأخرى لطفل يمشي متململا بعيدا عن أبيــه. وسئل الأطفـــال عما يعتقدون أن يقوم به طفل رفض والده شراء اللعبـة المعلنة عنهـا هل سيظل يلعب مـع أبيـه كما هـو الحال في الصورة الأولى؟ أم أنه سوف يتجنب أبـاه كما في الصـورة الثانيـة؟ أجـاب ٦٠٪ من الأطفــال الــذين لم يـروا الإعلانات بأنه سيظل يلعب مع أبيه مقابل ٤٠٪ من الأطفال في المجموعة الثانية. وبوجه عام تشير الدراسات إلى أن التوترات التي تصيـب العلاقة بين الطفل وأبـــويـــه بسبـب رفض طلبات الشراء هي توترات مؤقتة تزول سريعا.

تدريب الأطفال على فهم الإعلانات

برغم الجهود التي تبذلها المنظمات التطـوعيـة ودوائر البحث العلمي في دول عديدة بشأن الإقلال من التأثير الضـار للإعـلانـات التلفازيـة على الطفل فإن هـذه الجهود لم تسفـر إلا عن نتـائج محدودة. وفي الــولايـات المتحـــدة تم التخلي عـن اللـــوائح والقـوانين المنظمة لـلإعلان ممـا دفع العـديد من الجهـات إلى البحث عن سبيل آخـر لزيـادة مقاومـة الأطفال لتأثيرات الإعـلان. وقـد أخـذ هـذا الاهتمام في الولايات المتحدة شكلين:

أولا: تطويـر منهج دراسي يقدم للأطفال المعلومات الخاصة بحقائق الإعلانات التلفازية.

ثانيًا: استخدام الإعلانات غير التجـارية، أي الإعـلانـات العامـة وأفلام حـول المعلومات الاستهـلاكية لـزيـادة قـدرة الأطفــال على فهم الإعلانات التلفازية.

أولا: المناهج الدراسية:

قام بـاحثان أمـريكيان بتصميم منهجين دراسيين لتـلاميــذ الصفين الـرابع والخامس. اهتم أحـد هـذين المنهجين بـالأســاس الاقتصــادي لـلإعــلان. أمـا الآخـر فقـد اهتم بجـوانب الحفـز في الإعـلانـات أي الأســاليب التي تستخـدم في إيجاد الحاجـة للمنتجـات المعلن عنهـا. وبعــد تطبيق هــذين المنهجين على ٢٠٠ طفل أظهر هـؤلاء الأطفال فهما أعمق لــلإعــلانــات التجـاريــة واستعـدادا أقل لتصـديق ما تقـولـه الإعـلانـات وميـلا أقل نحـو السلع المعلن عنها. وقد أظهرت الحاجة إلى استخــدام هــذين المنهجين بشكل تكاملي وصولا إلى نتائج أفضل.

ثــانيـا: استخــدام الأفــلام والإعلانات العامة غير التجارية:

لجأت بعـض الجهــــات إلى استخـدام وسيلـة أخـرى لـزيـادة معلـومات الأطفـال وفهمهم لطبيعـة الإعلانات التجاريـة وأهدافها. وقد وجد أن إنتـاج أفلام بهذا الخصوص هو وسيلة أكثر مرونة وفاعلية، حيث يمكن تـوزيـع نسخ كثيرة من الفيلم لتعرض في التجمعات المرغـوب فيها سـواء في المدارس أو في غيرهـا، وهي وسيلة غير مكلفـة إذا قيست بحجم الجمهور الذي يفيد منها.

وقد قـام أحد البـاحثين بدراسـة تأثير عرض فيلمين تم إنتاجهما بهدف تعليم الأطفــال الأهــداف البيعيــة لـلإعـلانات التلفـازيـة والأسـاليب الإقنــاعيــة المستخـدمــة في هــذه الإعلانـات. وقد أوضحت الـدراسة أن مشـاهـدة الأطفــال بهذه الأفـلام زادت من شكـــوكهـم في صـــدق الإعلانـات التجاريـة وزادت معرفـة الأطفـال بأهــداف المعلنين من تلك العوالم السحرية التي يوجدها الإعلان على شاشة التلفاز.

... وبعــد فإن الإعــلانــات التلفـازيـة تقتحم بيـوتنـا جميعـا ولا نستطيع منع أطفالنا من مشاهدتها، ولن نستطيع تجنب تأثيراتها الاجتماعية والاقتصادية. وسوف يظل المعلن في أي مكـان قـادرا على الهروب من أي لوائح أو تنظيمات تـوضع لـلإعلان، ولن نستطيع منع الإعلان على شـاشة التلفـاز. بقي لنـا أن تعمل المنظمات التطــوعيـــة ودوائر البحث العلمي وأجهـــــزة التعليم في اتجاه تحصين الأطفـال وزيــادة معلـومــاتهم تجاه الإعلان مـن خلال المدارس ومجلات الأطفـال وغيرهـا من الـوسـائل التي يمكن أن تكــــون أكثـــر تأثيرا في مجتمعاتنا.



مراجع هذه المقالة:

• Wartella, Ellen, and Ettema James, "A Cognitive Developmental Study of Children's Attention to Television Commercials," Communication Research 1 (January 1974)

• Richard P. Adler, Gerald S. Lesser, Laurehe Krasny Meringaff, Thomass. Robertson, John R. Rossiter and Scott Ward. The Effects of Television Advertising on Children: Review and Recommendations. New York: 1980

• Eli A. Rubinstein, Television and Social Behavior, Vol. 4, Washington D.C.: U.S. Government Printing Office, 1972

● مجلة التجارة. الرياض ع ٣٣ السنة ٢٨ شعبان ١٤١٠هـ.

● حسن الحسن. الإعـلان التلفـازي. أسسـه وضـوابطـه. رسـالة دكتوراه غير منشـورة. كليـة الدعـوة والإعلام. جـامعة الإمام محمد بـن سعود الإسلامية ١٤١٠هـ.

● حمدي حسن. التلفـاز والطفل: إمكـانـات الوسيلة ودلالات الرسـالـة. مجلة بحوث الاتصال. كلية الإعلام جامعة القاهرة ١٩٩١م.





نموذج للشيبيات القشرية التي تنمو على الصخور والجدران بشكل بقع صفراء دقيقة وغير منتظمة

الشيبيات

بقلم: المهندس سيف الدين الأتاسي

جمال المملكة النباتية لا يكمن في عظمة أشجارها وجمال ازهارها فحسب ، لكن الذي يمعن البصر ويبحث بدقة في الأجزاء الأكثر ظلاماً ورطوبة في الغابات والسهول والصحاري يكتشف جمالا لا حدود له بين فلورا النباتات الدنيا غير الزهرية ، ففي تلك المناطق توجد شيبيات كبيرة كانها حبال من الزينة على الأشجار والصخور .

والشيبيات مجموعة من النباتات لها أشكالها الخاصة ، وتتكون من تعايش فطر وطحلب اتحدا ليكونا عضوية معقدة ، ذات خصائص شكلية وفيزيولوجية وبيئية معينة .

هذه النباتات زحفت إلى الأرض منذ بداية العالم ، متعلقة بالحِمَم القديمة ، فاتحةً الطريق لمجتمعات نباتية أخرى ، ذلك أن نمو الشيبيات يفتت مختلف أنواع الصخور مما يحول الأراضي الصخرية عبر الأجيال الى بيئة صالحة لظهور حياة نباتية لم تكن موجودة من قبل .

لقد ساد الاعتقاد لدى علماء النبات ولفترة طويلة بأن بنية الشيبيات تشبه غيرها من أفراد المملكة النباتية ، الى أن اكتشفوا طبيعة بنيتها المرفولوجية المزدوجة في النصف الثاني من القرن الماضي من قبل عالم النبات الألماني شويندر Schwendener ولم تحظ هذه الغرضية على إجماع الآراء إلا بعد فترة طويلة .

ولقد أوجدت الطبيعة لإنجاح هذه النَبْتة أحد أشكال التكافل الأولي ، فالطحلب بما لديه من كلورفيل يصنع الغذاء بعملية البناء الضوي PHotusynthesia ، بينما يقوم الفطر باستخلاص غذائه من الطحلب ويبادله المنفعة بتوفير الماء والأملاح المعدنية والحماية له من الأثر الضار لزيادة الاشعاع الشمسي والجفاف .

على أنه من الصعب تحقيق مثل هذه العلاقة المتوازنة في الطبيعة حيث تتصارع الكائنات الحية مع بعضها البعض ، إذ عثُر في بعض الشيبيات الدنيا على مَمَصّات فطرية تخترق خلايا الطحلب وتسبب له بعض الأذى ، وعلى ذلك يمكن القول انه توجد حالة من التوازن الحساس بين الفطر والطحلب داخل جسم الشيبة ، وإذا ما أختل التوازن لصالح أحدهما فقد تتفكك الشيبة ، وقد يصل الأمر تحت ظروف خاصة للقضاء التام على الشريك الذى جاءت الظروف في غير صالحه .

بيئة الشيبيات

تنتشر الشيبيات انتشاراً واسعاً في المناطق الجغرافية المختلفة ، فهي تَغمُر البحار والكثبان والقفار ذات الرمل المُحرِق ،



شبة الكأس أو عينها البوغية كأسية الشكل محمولة على أطراف تراكيب صغيرة



شبة شجرية لونها أخضر رمادي تنمو في أغلب الأوقات على الأشجار

كما انها تنمو جيدا في التوندرا الشمالية والمتجمدة ، ونلاحظ أنها تغطي الصخور وقلف الأشجار وسطح التربة ، كما توجد في الأوساط التي يصعب على غيرها من الكائنات المعيشة عليها ، ولا تنمو الشيبيات في أماكن كثيرة الضباب كما لا تتحمل تلوث الجو بالغازات الكبريتية التي تنتشر قرب المناطق الصناعية .

ويبين المقطع في قشرة الشيبيات وجود أربع طبقات متميزة . تتألف كل من الطبقات العلوية والسفلية من كتلة متماسكة من خيوط الفطر المتشابكة . بينما تشكل خلايا الطحلب طبقة خضراء تحت الطبقة الفطرية السطحية وتتكون من خيوط فطرية مفككة وغير كثيفة تحت خلايا الطحلب .

أشكال الشيبيات

ويمكن من الناحية الشكلية تمييز ثلاثة انماط أساسية من الشيبيات فتبدو الشيبيات القشرية Crustose على شكل طبقة رقيقة تلتصق باحكام بالوسط الذي تنمو فوقه عبر مجمل سطحها السفلي ، ولا يمكن فصلها عن الوسط دون أن تتمزق قشرة الشيبة .

وتمتد الشيبيات الورقية Follose على الوسط الذي تعيش فيه بشكل صفائح ورقية رقيقة . تختلف عن سابقتها في أن التصاقها بالوسط ليس كلياً ويقتصر على مجموعة معينة من الخيوط الفطرية هي الشعيرات الجذرية Fruticose من خيوط قائمة أو أشرطة قصيرة تكون متفرعة عادة ومثبتة إلى الوسط عند القاعدة فقط . ومثال هذه الشيبيات شيبة اللحية Usnea Comosa التي تعتبر شيبة شجرية نموذجية تنمو في الغابات الرطبة على أغصان الأشجار .

التكاثر

ويمكن ان تتكاثر الشيبيات بتوزع حبيبات صغيرة من قِشرتها . تتكون هذه الحبيبات من عدد قليل من خلايا الطحلب محاطة بكتلة من المغزل الفطري تسمى هذه الأجسام سوريدات Soredies عندما يتم نضج السوريدات تنثرها الرياح فإذا وجدت البيئة المناسبة فإنها تنمو لتعطي شيبة جديدة .

كما يمكن أن يولد الفِطر ابواغا Spores يحملها الهواء، فإذا سقطت في مكان مناسب أنبتت، لكن إذا انتشرت أبواغ الفطر ولم تجد خلايا الطحلب فإنها تموت بسرعة.

خصائصها وفوائدها

وليست دراسة الشيبيات غاية في حد ذاتها ، ولكنها مساهمة للتعرف الى تلك النباتات التي تؤثر تأثيرا كبيرا وفعالا على اقتصاديات البلاد الزراعية والصناعية . حيث تقوم أنواع معينة من الشيبيات بتركيب مواد كيميائية مفيدة كالهرمونات والفيتامينات والأنزيمات والحموض الأمينية ، كما عُزلت من بعض الشيبيات المضادات الحيوية للاستعمالات الطبية والتي قد تكون أكثر فاعلية من البنسلين في بعض حالات العدوى .

أهم الخصائص التي تميِّز الشيبة قدرتها على زيادة المادة العضوية في التربة بعد موتها وتحللها ، وكذلك تكون بعض أنواع الشيبيات غنية بالمواد الملونة التي تفرز على شكل قطرات أو بلورات على السطح الخارجي للخيوط الفطرية في القشرة أو اللب ، وتستخدم هذه الأنواع تجارياً وعلى نطاق واسع في تحضير بعض الأصبغة .

كذلك تستعمل الشيبيات كمادة غذائية فشيبة الرنة Cladonia Rangiferina التي تنمو في أعالي الجبال تشكل الغذاء الأساسي لحيوان الرنة .

ان كل هذه المنتجات تاتي الينا من تلك الشيبيات لذلك يجب على الإنسان أن يتعرف عليها وينتفع بها .

الأوزون
في معادلة صعبة

بقلم: د. زين العابدين متولي

بسبب سوء استخدام ثمرات التقدم العلمي والابتكارات والاختراعات الحديثة وعدم خضوعها لعملية ضبط وتنسيق كافية، نعاني اليوم من سوء يعكس لنا صورة مصغرة لما يعانيه الإنسان من ثمرات تقدمه العلمي، ويكمن هذا التلوث الذي يهدد الإنسان بأمراض التقدم هذه التي لم نسمع عنها من قبل.

ففي خلال هذا القرن توصل الإنسان إلى الكثير من أسرار هذا الكون الفسيح المترامي الأطراف واستغل العديد من موارده الطبيعية واعتقد أنه استطاع أن يسخر كل ما خلقه الله لراحته. وفي الحقيقة أن الله هو الذي سخرها له وبدأت مظاهر الحضارة والمدنية تنمو وتزدهر بسرعة لم تعرفها البشرية من قبل. فمنذ عشرات السنين حلّق الإنسان في الجو ودار حول القمر، والأكثر من ذلك استطاعته الهبوط على سطحه وتجوله عليه، وأرسل سفنًا ومركبات فضاء إلى الكواكب البعيدة، وحطم الذرة واستخرج ما بها من طاقة هائلة وغير ذلك من الإنجازات الحضارية التي تزخر بها حياتنا، ولم يدرك أنه يسعى إلى نهايته.

ففي خلال السبعينيات من هذا القرن فوجئ الإنسان بأن إنجازاته الحضارية قد أخلت بالتوازن البيئي الدقيق الذي خلقه الله، وأن هذه الحضارة قد أحدثت من ضروب الدمار والفساد ما لم يمكن إصلاحه، وأصبحت حياته وحياة الكائنات الأخرى مهددة بالفناء، وذلك بعد أن **اكتشف فريق من العلماء بأن هناك نقصًا في غاز الأوزون الذي يحمي الأحياء من خطر الأشعة فوق البنفسجية الحارقة القاتلة**، وأن هذه الاختراعات والابتكارات والاستكشافات الحديثة تؤدي إلى تلويث الهواء الذي تتنفس منه الكائنات الحية، ويؤدي هذا التلويث إلى أمراض لم يكن يعانيها المجتمع، وتؤدي هذه الأمراض إلى بعض الشقاء بل وتكاد تجعل الحياة مستحيلة.

ومنذ هذا الوقت بدأ العالم يقلق على بيئته ويخاف عليها من الآثار المترتبة على غازات الصوبة مثل ثاني أكسيد الكربون والكلوروفلوروكربون وغيرهما من الغازات التي لها القدرة على امتصاص الإشعاع الشمسي الساقط والإشعاع المرتد من سطح الأرض، كما أنه يقوم بعملية تخريب لطبقة الأوزون أو تقليله مما جعل جميع الدول تهتم بمشكلات البيئة.

وهناك عدد كبير من علماء البيئة يعتقدون أن مثل هذه الملوثات لن تؤول إلى كارثة مناخية، ولكنهم في نفس الوقت لا يقبلون المخاطرة حين تكون حياة الإنسان ثمن الخطأ في التقدير، ومن هذا المنطلق بدأ عمالقة صناعة مركبات الكلوروفكلوروكربون يستجيبون بسرعة مذهلة ويحركون العلماء لكي يشككوا في صحة الحسابات التي تبين أن هناك نقصًا في كمية الأوزون، وهم يؤكدون على أهمية هذه الصناعة وضخامة تأثيرها في الاقتصاد والعمالة في البلاد، خاصة وأنها تدخل في أجهزة التكييف والثلاجات وفي المبيدات الحشرية وغيرها.

وعلى الرغم من قلة عدد الذين يعتقدون بحلول كارثة على سطح الأرض إلا أن الأرصاد تشير إلى وجود تآكل في طبقة الأوزون، وأن هذا التآكل يسير بمعدلات ضعف ما يمكن أن نتوقعه، ويرجع هذا النقص أو التآكل إلى الإفراط الزائد في استخدام مركبات الكلوروفلوروكربون وأكاسيد النيتروز والكلور والميثان، وتشير الأرصاد أيضا إلى أن كمية الأوزون في طبقة الأستراتوسفير (على بعد ٢٥ كيلومترًا من سطح الأرض) تقل بمعدل ½٪ سنويا من قيمته عند ذلك الارتفاع، ففي خلال خمس سنوات نقصت الكمية الكلية للأوزون بمقدار ٣٪، وهذه الكمية أكثر بكثير مما كنا نتوقعه، ويعتقد العلماء أن كمية الأوزون هذه يمكن أن تستمر في التآكل لمدة معينة ثم يبدأ مرة أخرى في التزايد. وقد يكون للأوزون دورية مثل دورية النشاط الشمسي التي يبلغ طولها ١١,٢ سنة خاصة وأن النشاط الشمسي له تأثير فعال في الأوزون، فعندما يكون النشاط الشمسي في دورته كما كان عام ١٩٧٩ (حيث تتزايد شدة الأشعة فوق البنفسجية) يزداد تكوين الأوزون، وعندما يكون النشاط الشمسي في أدنى درجاته وتقل شدة الأشعة فوق البنفسجية كما كان عام ١٩٩٠م، تقل كمية الأوزون بكثير عن معدلها؛ ويتوقع العلماء زيادة غاز الأوزون مرة أخرى مع زيادة النشاط الشمسي. حتى هذه النتيجة أيضا فنحن إلى الآن غير متأكدين من صحتها، وبالتالي فقد يكون هناك نقص في الأوزون وتغير بعض الشيء في مناخ المناطق القطبية الشمالية والجنوبية ولكن لا تهمنا هذه التغيرات المناخية إلا بمقدار تأثيرات ضارة من الناحية البيولوجية.

وبالتالي لا بد من سن قوانين تحد من مركبات الكلوروفلوروكربون لإبقائه عند مستوى إنتاج ١٩٧٣م. وهذا سوف يحدث نقصا بين ٦ - ٧,٥٪ في تركيز الأوزون بطبقة الاستراتوسفير مما سيؤدي إلى زيادة الأشعة فوق البنفسجية التي تصل إلى الأرض بنسبة ١٢ - ١٥٪ وتبين الإحصاءات أن مرضى سرطان الجلد سوف يزدادون بنسبة ٤٨ - ٦٠٪ من عدد سكان المناطق التي سوف يحدث فيها هذا النقص وقد تكون هذه النسبة قد حدثت بالفعل بين سكان أستراليا.

سوء استخدام

إن هذا النقص ناتج من سوء استخدام الكلوروفلوروكربون الذي يستخدمه الإنسان في الثلاجات والمكيفات وغيرها من الأجهزة التي توفر الجهد وتتيح الراحة للإنسان أي إن كل شئ لا بد وأن يكون له الضد وهكذا ستظل اللعبة دائمة بين الإنسان والمصنع أو بين الإنسان والتطبيق العلمي حتى يصل الإنسان إلى الغاية ويحقق انتصاره في توفير

الراحة والجهد دون دفع الثمن .

وفي المناطق الاستوائية، حيث تتعامد مع الشمس طوال العام تقريبا وتزداد شدة الإشعاع الشمسي فوق البنفسجي، نجد أن الله سبحانه وتعالى جعل جلودهم سوداء لكي لا تصاب بسهولة بسرطان الجلد وجعل لهم ممالك نباتية وأشجارًا وغابات كثيفة لتحميهم من خطر الأشعة البنفسجية (ب) التي ربما لا تجد ما يمتصها أو قد تنفذ من طبقة الأستراتوسفير دون أن نجد الأوزون الكافي لامتصاصها، وذلك لتشتيت وتبعثر هذه الأشعة الضارة. علاوة على ذلك نجد أن الأشعة فوق البنفسجية التي تنفذ من طبقة الأستراتوسفير في المناطق الاستوائية تجد ما يمتصها في الطبقات التي تنفذ إليها. وهذا يساعد على تكوين الأوزون في هذه المناطق الاستوائية بكميات كبيرة. والرياح التي تتحرك من خط الاستواء إلى المناطق الشمالية تنقل كميات كبيرة من الأوزون إلى تلك المناطق مما يجعل قيمتها في خطوط العرض المرتفعة أكبر بكثير من مناطق تكونه (الاستوائية) وذلك لتقليل نسبة أمراض سرطان الجلد، حيث إن جلود سكان المناطق الشمالية ذات لون أبيض، ولها قابلية لأمراض السرطان، ولذلك نجد أن المولى عز وجل يسخر لهم الرياح لتنقل لهم الأوزون، هذه العملية هي عملية نقل الأوزون أفقيًا، أما عملية انتشار الغاز إلى أسفل فإنها تنقل جزءًا ضئيلاً منه إلى أسفل (حوالى ٠٥, جزء لكل مليون جزء) في طبقات الجو السفلى، وهذا الجزء كلما اقترب من سطح الأرض يتحول إلى أكسجين نتيجة اتحاده كيمياويا بمواد عضوية أخرى.

نقص الأوزون مُركّز بصفة أساسية في خطوط العرض القريبة من القطبين الشمالي والجنوبي ولا سيما في فصل الربيع على ارتفاع ٣٥ كيلو مترًا حيث بلغ النقص عند هذا الارتفاع حوالى ١٢٪ في تركيز الأوزون بطبقة الاستراتوسفير في الفترة ١٩٧٨ - ١٩٨٤م. قد يتصور القارئ أن هذه النسبة كبيرة ولكنها لا تتعدى ٠١٨, ملليمتر. وإلى الآن لا يوجد خوف من هذا النقص لأنه لم يصل إلى الحد الخطير، كما أن الطبيعة تُعالج هذا

بيئته واستمر في استخدام غازات الصوبة مثل أول أكسيد الكربون، ثاني أكسيد الكربون، أكاسيد النيتروز، (الكلوروفلوروكربون) كما هي عليه الآن فإن هذا هو الذي سوف يؤدي إلى كارثة وليس النقص في الأوزون، فالتمادي في استخدامها سوف يؤدي إلى نقص الأوزون بمقدار ٥٠٪ من قيمته في طبقة الأستراتوسفير،

وعموما إذا حدث نقص للأوزون وزادت شدة الإشعاع فوق



الأوزون عملة ذات وجهين: نقصه يحدث كارثة، وزيادته تؤدي للتسمم!

النقص بما يسمى بالتئام الأوزون وكذلك يحاول الإنسان بشتى الطرق الحفاظ على ثبات كمية الأوزون.

تأثير فعال

إن النقص في كمية الأوزون يعني النقص في كمية مقدار الطاقة التي تكتسبها هذه الطبقة، وهذا العجز يسبب نقصا لدرجات الحرارة له تأثير فعال بل ومباشر على توزيع درجات الحرارة في الغلاف الجوي. وهذا بصراحة تأثيره على تغير المناخ ضعيف أما إذا لم يحافظ الإنسان على

البنفسجي (ب) فسوف تحدث هذه الزيادة في منتصف النهار كل يوم، فيجب على الإنسان الاحتماء من الأشعة في هذا الوقت أو يدهن الأجزاء المعرضة لأشعة الشمس بالمراهم أو الزيوت المرشحة والتي تلعب دور الحاجز الذي يمنع وصول أشعة الشمس إلى جسم الإنسان وإذا كان تخوف الإنسان من تعرضه للأشعة فوق البنفسجية بهذا المقدار فلماذا لا يحافظ على طبقة الأوزون خاصة وأن عبوات الأيروسول التي

تخرب وتدمر الأوزون هي نوع من الترف ويمكن العيش بدونها، كما أن استخدام مركبات الفلوروكلوروكربون كمواد دافعة يمكن الاستعاضة عنها بمركبات أخرى حتى ولو لم تكن على نفس درجة صلاحية الكلوروفلوركربون لهذا الغرض، فالكميات التي تتصاعد إلى الأستراتوسفير من هذه المركبات سوف تتراكم في الغلاف الجويّ وتستمر في تآكل طبقة الأوزون حتى بعد أن يوقف إنتاج المركبات بسنين كثيرة، خاصة وأن جسم الإنسان في احتياج إلى الأشعة فوق البنفسجية ولكن بكميات قليلة فمثل هذه الأشعة لها نشاط فعال ضد بعض الفيروسات التي تنقل الأمراض إلى الإنسان وهي أيضا تقتل البكتيريا الضارة، وهذه الأشعة تستخدم في علاج بعض الأمراض الجلدية وكذلك في تكوين فيتامين (د) الضروري للجسم.

والأوزون عملة ذات وجهين فنقصه قد يحدث كارثة لا يحمد عقباها وزيادته أيضا طاقة كبرى، فزيادته في الجو يصيب الكثير بالتسمم حتى لو تناوله الإنسان بكميات قليلة ولذا يجب علينا أن نحافظ على نظام التوازن البيئي الذي خلقه الله سبحانه وتعالى، وأن نحافظ على نظافة الجو بعدم استخدام الملوثات التي قد يكون من شأنها تقليل الأوزون أو استخدام بعض الأجهزة الكهربائية التي قد تزيد من كميته أي يجب الاعتدال في استغلال الموارد التي خلقها الله حتى تستمر الحياة على سطح هذا الكوكب المظلوم (الأرض)، إلى أن يشاء الله.



الطب في خدمة الأمهات

بقلم : د. عصام غنيم

مهما بذل العلماء من جهد في خدمة الأمومة فلن يفوا إلا بجزء يسير من دين الأمهات وفضلهن العميم على البشرية بأسرها، وقد تجلى في الآونة الأخيرة اتجاه واضح لتركيز الأبحاث الطبية على الأمهات، والحوامل منهن بالذات، كوسيلة وقائية حيوية كفيلة - اذا توافرت سبل التوعية - بتأمين الصحة والسعادة لأسرة المستقبل.

الأم الحامل . . ومرض السكر

تبين نتيجة إحصائات عديدة في «بوسطن» بالولايات المتحدة، وفي الدنمارك أن الأمهات الحوامل المصابات بمرض السكري ممن يتلقين العلاج في مراكز متخصصة لمراقبة وتنظيم كمية السكر في الدم، وخصوصاً في الأسابيع الثمانية الأولى من الحمل، ينجبن أطفالاً أصحاء، وتقل نسبة التشوه في المواليد بكثير عن الأمهات اللاواتي يعالجن كيفما اتفق، ودون تنظيم لنسبة السكر في الدم.

وقد وجد أن نسبة المواليد المشوهين للأمهات المريضات بالسكري، وخصوصاً في الجذع والعظم الفقاري هي ٥ بالمائة، أي تزيد من ٣ إلى ٤ أضعاف على الأمهات الطبيعيات.

والمهم هو قياس نسبة السكر في الدم للأمهات المريضات بالسكري في الأسابيع الثمانية الأولى للحمل بالتحديد، وتنظيمها، مع قياس نسبة «الهيموغلوبين أ» الذي يتناسب ارتفاعه مع ارتفاع نسبة السكر في الدم سواء للأم أو للجنين، فكل ذلك يساعد على إبعاد خطر التشوه عن الجنين.

ويلجأ بعض الأطباء لحقن الأم المريضة بالسكري بأنسولين متواصل تحت الجلد، بهدف المحافظة على انتظام السكر في دم هذه الأم، كما في دم الجنين، خلال الأسابيع الأولى من الحمل.

كل هذه الاحتياطات للأمهات الحوامل المرضى بالسكري كفيلة حتماً بأن تؤدي إلى إنجاب أطفال أصحاء غير مشوهين بإذن الله.

ولكن لو حصل العكس، فذلك يعني ألا تصاب الأم بعقدة الذنب لمأساة وليدها. والنصيحة أن تبدأ العناية بالأم الحامل المصابة بالسكري قبل الحمل، حيث توضح لها أهمية الاحتياطات موضوع البحث، وتحاط علماً بكل الأسباب والنتائج الطبية المرجوة بإرادة الله وحده.

اضطراب جسم الأم الحامل يساعد على عدم استقرار الحالة النفسية

الاكتئاب

لوحظ ازدياد عدد الأمهات حديثات الولادة اللاتي أصبن بالاكتئاب العصابي، وهو مرض يحدث في الفترة المتراوحة من أسبوع إلى ثلاثة أسابيع بعد الولادة، فتظهر لدى الأم بوادر اكتئاب شديد وتثاقل في النشاط وضعف في الشهية وانقطاع عن النوم، وقد تبدو الأعراض حادة بعد الانقطاع عن النوم عدة أيام، فتصاحبها نوبات من التصورات المريضة وجنون العظمة أو من قبيل الانفعالات كمرض انفصام الشخصية.

الحقيقة أن جميع هذه العوارض ليست إلا «اكتئاب مابعد الولادة»، وهو مرض يستمر لفترة قصيرة ويمكن إزالته بواسطة العلاج تحت إشراف أطباء متخصصين حتى تتماثل الأم للشفاء، إلا أن من المحتمل تكرار الإصابة في فترات الحمل المقبلة وما بعد الولادة، لذلك ينصح بصورة حازمة أن يتم تعقيم الأم إذا تكرر الاكتئاب لثلاث ولادات متعاقبة، وذلك لضرر الولادة الشديد على الأم المصابة بالأكتئاب.



لعل من أهم مسببات الاكتئاب الحادث بعد الولادة هو استعداد الأم وتاريخها المرضي وتعرضها لأزمات سابقة نفسية وعاطفية أو اجتماعية ومادية. كذلك فإن التأثير الضاغط على الأم الحامل لفترة ما قبل الولادة بدافع من قلقها على صحتها وعلى الجنين من آلام ومضاعفات الولادة، هذا التأثير يمثل عاملاً قوياً في تكوين الاكتئاب المشار اليه.

ومما لاشك فيه أن اضطراب جسم الحامل والتغيير الحاصل في مستوى الهورمونات الأنثوية وهورمونات الحمل، هذه كلها تساعد على عدم استقرار الأم الوالدة النفسي والعضوي، وتعتبر كمؤشر إلى احتمال اصابتها بالاكتئاب.

العـــلاج

اكتشاف المرض على حقيقته، بتحديد أنه اكتئاب حاصل بعد الولادة هو أمر مهم جداً، خصوصاً أن الأمهات الوالدات كثيراً مايعزون مثل هذه الأعراض لأمراض جسمية وعضوية فينتقلن من طبيب لآخر ليعالجن أمراضاً غير موجودة في الحقيقة، ناتجة عن الاكتئاب الذي يؤدي إلى تثاقل في القوى العامة وانهيار في نظام النوم العادي وشدة القلق الفكري وضعف للشهية أو فقدانها كلياً.

ومن المفيد بعد تشخيص المرض أن تقدم المساعدة للأم الوالدة للإفضاء بما في صدرها من العواطف وبما يجول في خاطرها من أفكار، فتستطيع خلال جلسات متتابعة مع الأهل أو المتخصصين من الأطباء أن تفضي بما تخشاه وما يثير قلقها ومخاوفها.

أما أنواع العلاج فكثيرة، وهي أدوية مهدئة وتعطى بمشورة الطبيب المختص.

والأهم من ذلك، العناية التي يضفيها الزوج على زوجته حديثة الولادة. أما إذا تعذر وجود الزوج في البيت على الدوام فباستطاعة مربية أطفال قديرة وذات خبرة في علم النفس أو مقدرة على التفاعل الاجتماعي أن تساعد الأم كثيراً، ليس في مجال تربية الطفل فحسب، بل والمشاركة النفسية الصحية مع الأم حديثة الولادة.

فإذا ملكنا الفهم والوعي الكاملين لمرض الاكتئاب المصاحب لما بعد الولادة وعلاجه، فباستطاعتنا المساعدة كثيراً في إنقاذ أمهات كثيرات من دوامة الاكتئاب الشديد الذي يسبب كثيراً من المشاكل العائلية والبيئية، فيفسد العلاقة بين شريكي الحياة، وبالتالي العلاقة بين الأم ووليدها.

فمتى عرف السبب وعولج المرض يتم تلافي كل هذه المضاعفات.

البنايات المرتفعة

لوحظ أن أمهات الأطفال القصر اللاتي اضطررن للإقامة بالبنايات المرتفعة متعددة الطوابق التي انتشرت في الستينيات وما بعد مخلفات الحرب العالمية الثانية، الأمهات في هذه المساكن بدأن في التعرض للإصابة بأمراض عصبية ونفسية بنسبة تفوق مثيلاتها عند اللاتي يسكن في البيوت المنفردة أو المساكن المنخفضة.

والواقع أن إحصائات أجريت في ألمانيا وبريطانيا قد أدت إلى الوصول لهذه النتائج ذاتها. ولعل السبب يرجع الى عدم توافر مكان فسيح للعب الأولاد وانطلاقهم في مثل هذه البنايات الشاهقة، مما يؤدي الى احتدام الشجار والمشكلات الأخرى مما يرهق أعصاب الأم. بل إن كل العوامل الطفيفة والمتكررة، كتعطل المصاعد المشتركة وانغلاق فتحات جمع القمامة، مسؤولة عن إثارة وارهاق أعصاب ربة البيت.

وفي إحصائات آخر، تبين أن ٦٠ بالمائة من أمثال تلك السيدات طلبن الانتقال من تلك المباني العالية إلى مساكن منخفضة، ولما أفلحن في التغيير تمكنّ من استرجاع طبيعتهن المستريحة وتخلصن من الأمراض النفسية والعصبية.

إنها نصيحة للمعنيين بأمور الإسكان في بلادنا العربية: لاترتكبوا نفس الأخطاء التي جرى عليها الغرب في الستينيات من حلول لمشكلات الإسكان بعمارات سكنية شاهقة.

وإذا حصل وبنيت مثيلاتها اضطراراً، فمن الواجب إجراء دراسة نفسية واجتماعية شاملة للأسر الموطنة بها.

لقد تبين أن الأسر المكونة من أبناء تزيد أعمارهم على ١٤ سنة لاتتأثر بمثل هذه المساكن، وبناء على هذا، فمن الواجب عدم تجاوز إسكان أمهات القصّر عن حد نسبة معينة في مثل هذه المساكن، ولفترات قصيرة يحولن بعدها لمساكن وبيوت منفردة تحيط بها حدائق، حتى ولو كانت صغيرة، لفسح المجال للأطفال للعب والانطلاق.

○ ○

٦٠٪ من النساء الحوامل طلبن ترك المساكن العالية إلى مساكن منخفضة





الغوص . . دون جهاز تنفس اصطناعي

تمكن الإيطالي (امبرتو بليزاري) من الغوص إلى عمق بلغ ١١٨ مترا تحت سطح الماء دون أن يستعمل جهاز التنفس الاصطناعي الذي يستعمله الغواصون في الأعماق وبذلك حقق فوزًا عالميًا في هذا الميدان. وكان الكوبي **فرانسيسكو فيرارا** قد تمكن من الغوص بهذه الطريقة إلى عمق ٩٢ مترًا تحت الماء

أما الطريقة التي ساعدت الأول في الغوص إلى ذلك العمق فتتلخص في أنه ربط كتلة من الحديد في وسطه ساعدت في سرعة انحداره باتجاه العمق وقد صعد بواسطة منطاد صغير.



تكنولوجيا جديدة للسيارات

عُرضت مؤخرًا في معرض فرانكفورت بألمانيا سيارة من طراز جديد استوقفت أنظار الجمهور نظرًا لتصميمها الفريد من نوعه. تبلغ سرعة السيارة الجديدة ١٩٢ ميلا في الساعة وقد زُودت بمحرك قوته ٤٠٨ حصان بخاري، وأضيفت إلى هذه السيارة بعض مواصفات سابقتها من إنتاج الشركة نفسها والتي صممت أساسًا للاشتراك في منافسات السباق الدولي وقد اشتركت بالفعل في سباق السيارات الدولي الذي أقيم في مدينة Lemaxs الفرنسية وحصلت على المركز الأول في السباق المذكور. أما السيارة الجديدة فقد صممت لتحقيق المزيد من مُقتضيات السلامة بعد أن زودت بجهاز تحكم إلكتروني ليكسبها المزيد من الاستقرار وهي على الطريق في جميع حالات المرور. أما الميزة الفريدة في هذه السيارة فهي أنها مزودة بجناحين يرتفعان فوق هيكل السيارة بصورة آلية بمجرد أن تتجاوز سرعتها الحد المألوف وذلك لتعزيز هذه السرعة والتحكم في استقرارها.



عربة لدفن المخلفات الإشعاعية

سوف يكون بالإمكان زراعة الأراضي الملوثة قرب المفاعل الذري «تشيرنوبل» بعد أن تم ابتكار عربة خاصة صممت لدفن المخلفات الإشعاعية. . قام بتصميم هذه العربة عالم مختص بالفيزياء الذرية هو الدانمركي Jorn Roel في مخبر (ريزد) قرب كوبنهاجن. هذه العربة تطمر بطرق فنية علمية الطبقة السطحية الملوثة من التراب حتى عمق ٤٥ سم.

كما أن عربة تقليدية أخرى تقوم بإعادة التراب بعد أن تمتزج القشرة



الرقيقة من التراب الملوث إلى الطبقات السفلية الأعمق في الأرض. ويقول العالم المذكور إن العناصر المشعة كالسيزيوم Cisium والسترنتيوم Strantium تتركز في الطبقة السطحية في التراب التي لا يتجاوز سمكها بضعة سنتيمرات ويأمل هذا العالم الذي يقوم باختبارات في منطقة المفاعل الذري بإقناع المسؤولين الأوكرانيين عن موعد الاختبارات اللاحقة التي سوف تتم في شهر تموز (يوليو) من هذا العام. وقد بدأت الشركة الدانمراكية Boxland في صناعة هذه العربة على مستوى واسع كما أن عربة ثانية تقوم الآن باختبارات في اليونان على تربة ملوثة بسبب المعادن الثقيلة والمخصبات الكيمائية ويتوقع الخبراء ازدياد الطلب على هذه العربة نظرًا للدور المهم الذي تقوم به.

المعدة.. بين الحقيقة والتحدي

بقلم: د. نبيل سليم

لا مراء في أنك واحد من آلاف الناس الذين يهتمون بأمر معدهم أكثر من اهتمامهم بأي عضو آخر من أعضاء الجسم . إنك تظن أنها عضو في غاية الأهمية التي لا تعلو عليها أية أهمية أخرى . ولكن الواقع أن المعدة ، بالقياس إلى الأعضاء الأخرى ، نوع من الكماليات أو هي مصدر راحة إذا صح هذا التعبير - إنها مستودع للطعام يسمح لك بأن تعيش دون ضيق أو إزعاج إذا تناولت ثلاث وجبات في اليوم بدلاً من خمس أو ست وجبات وهو العدد الذي لابد من تناوله لو كان الإنسان بلا معدة . وفيما يتعلق بعملية الهضم فإن الأمعاء الدقيقة هي البطل الحقيقي .

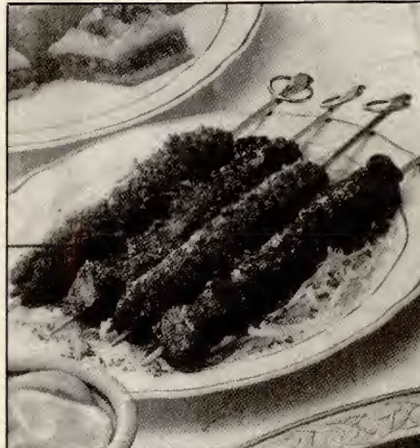
أما المعدة فهي تركز جهودها على البروتينات فتحللها وتحولها إلى **مولدات الخمائر** Polypeptides وحتى في هذا المجال تترك المهمة النهائية للأمعاء الدقيقة التي تتولى معالجة Carbohydrates «**السكريات والنشويات**» والمواد الدهنية والأطعمة الأخرى .

وليس منظر المعدة من الأشياء التي ترتاح العين لرؤيتها فهي ملساء لامعة زهرية اللون من الخارج . أما في الداخل فهي أشبه بطيات القطيفة اللامعة ومكانها في أعلى البطن عند حدود الضلع السفلي ، وأشبه بالبلون المفرغ من الهواء عندما تكون فارغة . ولكن عندما تمتلىء بالطعام والشراب فهي تتمدد بانحراف عبر الجسم . ويكون حجمها كبيراً في الأعلى وصغيراً في الأسفل . وهي تسع لكمية من السوائل والأطعمة المماثلة لا تتجاوز ربع الجالون أو ثلاثة أثمان الجالون أي أن معدة بعض الكلاب الكبيرة تتسع لأكثر مما تتسع له معدتك أيها الإنسان .

ومع أنها ليست بالأهمية التي يظنها فهي تؤدي كثيراً من الأعمال التي تجعل حياتك بهيجة وتحتوي بطانتها على حوالي ٣٥ مليون غدة قد تفرز نصف جالون أو خمسة أثمان الجالون من العصارات الهضمية في اليوم الواحد وبصورة رئيسية حمض **الهيدروكلوريك** Hydro Chloric Acid وهذا ينشط إلى العمل إفرازاً آخر من إفرازات المعدة **وهو خميرة البيبسين** Pepsin التي تبدأ بها عملية تمثيل البروتين ، ولولا البيبسين لا ستعصى عليك أن تتمتع مثلاً باللحم المشوي الذي تحبه حباً جماً . وتفرز غدد المعدة خمائر أخرى أيضاً . بعضها ، على سبيل المثال ، يخثِّر الحليب ويحلوله إلى مادة سهلة الهضم .

ليست آلة عنيفة

ويتخيّل بعض الناس أو جميعهم بأن المعدة آلة عنيفة تسحق وتطحن كل ما يبتلعه الإنسان . إن الأمر ليس كذلك ، فأنت بعد تناولك طعامك يتجمع هذا الطعام في شكل طبقات بعضها فوق بعض . الطابق الأول ، أولاً .. ثم الطابق الثاني وبعدهما الحلوى .



وتقوم المعدة في بدء الأمر بمعالجة الطبقة الموضوعة مباشرة على جدارها . فتتحرك عضلاتها بشكل انقباضات متموجة من أعلى إلى أسفل وتمزج الأطعمة في داخلها مزجاً كاملاً بواسطة الأحماض الهضمية ، ولا تلبث أن تتحول الأطعمة إلى مادة لزجة سميكة القوام . ثم تقوم بدفع هذا المزيج نحو البواب (وهو الفتحة السفلى في المعدة) المنفتح على الإثنى عشر وهي الجزء العلوي من الأمعاء الدقيقة التي يبلغ طولها اثنتي عشرة بوصة .

والأثنى عشر هذا منطقة خطرة . فإذا وضعت أية كمية كبيرة من الأحماض فيه ، فإن هذه الأحماض تشرع في مهاجمة جدار الأمعاء وربما خرقته ، ولهذا السبب نرى أن الأثنى عشر هو أكثر الأمكنة التي تحدث فيها القرحة . ومن حسن الحظ أن البواب يمرر الطعام من المعدة إلى الاثنى عشر بشكل دفقات صغيرة تستطيع المواد القلوية عادة في الاثنى عشر أن تعالجها وتقضي على الحموضة المؤذية فيها .

إن الأطعمة المختلفة تحتاج إلى مدد مختلفة لكي يتم هضمها ، فالبطاطا المهروسة مثلاً لا تحتاج إلى أكثر من بضع دقائق . أما اللحم فيحتاج إلى مدة أطول من هذه ، والخضروات ذات الألياف تحتاج إلى وقت أطول من ذلك أيضاً . فكم تطول مدة الهضم ؟. إن هناك اختلافات كبيرة ،

المعدة ... بين الحقيقة والتحدي

وهذا يعتمد بالإضافة إلى تركيب الأطعمة ، على حالتك النفسية والجسدية . أن أربع ساعات يمكن اعتبارها حداً وسطاً لهضم الأطعمة المذكورة . ولكن إذا أضيف إليها **السبانخ** مثلاً فإن عملية الهضم تحتاج إلى وقت طويل قد يمتد إلى ٢٤ ساعة .

تسبب **الأطعمة الدهنية** الدسمة مشاكل من نوع خاص . فلو فرضنا أن إنساناً تناول فطوراً دسماً في الساعة السابعة صباحاً فإن الإثنى عشر نجد نفسها مضطرة بحكم غريزة الدفاع عن النفس أن تنتج هرموناً من شأنه أن يبطيء عملية التقلصات العضلية . فهي لا تستطيع أن تواجه مثل هذا الحمل الكبير من المواد الدهنية مرة واحدة ولذلك فإن طعام الإفطار الدسم هذا يبقى في المعدة مدة طويلة فلا يكون هضمه قد تم حتى عندما يحين موعد الغذاء .

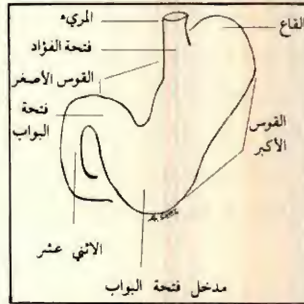
وهناك شيء آخر يحملها على أن تبطيء حركتها هي المواد المثلجة . فإذا تناولت طبقاً كبيراً من «الآيس كريم» مثلاً ، فإن حـــرارتها تنخفض بمقدار إحدى عشرة درجة مئوية ، وعندئذ يتوقف العمل في داخلها لمدة نصف ساعة إلى أن تعود درجة الحرارة إلى الارتفاع المطلوب . ولا ضرر في هذا التوقف أبداً فهي ليست في عجلة من أمرها .

الحقيقة إن المعدة تعيش حياة مسترخية لا داعي فيها للعجلة أبداً . فهي أحسن حالاً منن أعضاء حيوية كثيرة في الجسم . ففي حين أن الكبد والقلب والرئتين والكليتين يعملون ليلاً نهاراً لمدة ٢٤ ساعة متواصلة في اليوم الواحد ، فإنها تستطيع أن تنجز آخر المهام التي توكل إليها وهي طعام العشاء قبل أن تذهب إلى فراشك لتنام . أي أنها تستطيع التوقف عن العمل والنوم في اللحظة التي تنام فيها أنت .

ولكن ... إذا كانت المعدة تقوم بهضم المواد البروتينية (كاللحوم مثـلاً) فلماذا لا تهضم نفسها ؟. السبب في ذلك هو أن جدار المعدة الداخلي أو بطانتها مغلفة بمواد مخاطية حامية فإذا كشطت هذه المواد تحولت إلى وحش مفترس يأكل نفسه .

وهناك صفة ثانية تتصف بها هي أنها تعمل عمل المرآة الصادقة فتعكس حالات صاحبها النفسية والجسدية ، فإذا انفعل واحمر وجهه واستشاط غضباً تحول لونها إلى الإحمرار . وإذا إصفر وجهه غضباً تحول لونها أيضاً إلى اللون الأصفر . وإذا انفعل وزادت حماسته وهو يشهد مبـاراة رياضيـة استجابت لهـذا الإنفعال بانقباضات عنيفة وعندئذ قد تتضاعف افرازاتها ثلاثة أضعاف ، وعندما يستنشق رائحة طعام شهي أو يرى قطعة لذيذة من الحلوى في واجهة أحد المحال ، فإنها تنشط إلى العمل فوراً وتأخذ في التقلص وهو ما يسمى بألم الجوع .

المعدة تتواءم مع صاحبها وتشاركه همومه وانقباضاته



كذلك فهي تشـارك صاحبهـا همـومـه وانقباضاته ، فعندما ينقبض تتوقف إنقباضاتها العضلية أوتكاد . وكذلك يتوقف إفراز العصارات الهضمية . ولكن المرء استجابة للعادة لا يتوقف عن تناول الطعام ولذلك فإن ما يدفعه من أطعمة إلى داخلها يتكدس هناك كما هو ، مما يسبب تمددها وانزعاجها . ولذلك فيا حبذا لو توقف المرء عن الطعام عندما يحس بالانقباض والكآبة .

إرهاق عاطفي = قرحة

وأوقات الشدة والإرهاق العاطفي تسبب لها مشكلة أخرى ، فهي تزيد نسبة إفرازاتها من الأحماض وقد يصل إلى حد التسبب في القرحة . ولذلك أنصحك كلما شعرت بمثل هذا الإرهاق العاطفي أن تغير من عادات طعامك . تناول عدداً من الوجبات الصغيرة بدلاً من ثلاث وجبات عادية . فهذه خير طريقة للحد من زيادة الأحماض في داخلها . الواقع إن هناك عدداً كبيراً من الناس أصيب في حياته بالقرحة دون أن يدري ! فلقد رأيت أمامي طالباً جامعياً وكان يحس بقلق عظيم في مواعيد الفحوص الطبية ولذا كانت نسبة الأحماض تتكاثر في داخل معدته !

وقد استطاعت هذه الأحماض في النهاية أن تجد نقطة صغيرة ضعيفة في الغلاف المخاطي ، وشعر صاحبنا بنوبات قليلة من الألم عزاها إلى اضطراب مواعيد الطعام . ولكن ما أن انتهت الفحوص حتى هدأ الألم لأن نفسه هدأت وطابت . وبذلك انخفضت نسبة الإفرازات من الأحماض واستطاعت أن تهيىء لنفسها الفرصة لكي تفرز القدر الكافي من المواد المخاطية وتطبب جرحها .

وإذا استثنينا القرحة والسرطان ، فقلما تصاب المعدة بعلة خطيرة . فهي تستطيع أن تشفي نفسها بنفسها من خدش يصيبها بسبب عظمة سمك مثلاً خلال ٢٤ ساعة . ولو حدث نفس هذا الخدش على الجلد لاحتاج شفاؤه إلى أسبوع .

ومن الطريف والعجيب أنك لو وضعت قطعة من اللحم الفاسد في الماء المقطر تجد أن الجراثيم قد تناوشتها ولكن ضع نفس القطعة بعد انتشالها من الماء في عصارات المعدة الهضمية تجد أن كثيراً من الجراثيم قد اضمحل بسرعة . بيد أن هنالك جراثيم تستعصي على العصارات الهضمية وهي الجراثيم التي يجب أن يوليها المرء مزيداً من اهتمامه . وهذا هو السبب الذي يحتم على الإنسان أن يهتم اهتماماً خاصاً بأمر ما يأكله في المناطق المفتقرة إلى الوسائل الصحية الكافية .

هناك أشياء تهيج المعدة ولا سيما الفلفل وإلى درجة ما «الخردل والفجل الحريف» . فإذا وصلت هذه المواد وأمثالها إلى داخل المعدة ولامست بطانتها تحولت إلى الحمرة النارية . كذلك فإن القهوة والنيكوتين والكحول تزيد من إفرازاتها الحمضية .

لهذا السبب ينبغي للمصابين بالقرحة أن يكفوا عن تعاطي مثل هذه الأشياء وأنا لا أريد أن أقسو على صاحب هذه المعدة المصابة فأحرّم هذه الأشياء عليه تماماً ولكنني أريد أن أذكره بأن تركها يجعل المعدة أسعد وأهدأ حالاً مما يساعدها على أداء وظائفها الهامة على أكمل وجه .

دواء جديد لعلاج القرحة

هذا وقد حدث منذ خمس سنوات أن وضع **السيمتدين Cimetidine** تحت التجربة السريرية في علاج القرحة المعدية وأثبت نجاحاً طبياً ، ولكي يحصل الطبيب على فائدة قصوى من استعمال السيمتدين يمكنه أن يشرح لبعض مرضاه آلية عمل الدواء مؤكداً لهم ضرورة وواجب أخذه

بالمواعيد النظامية حتى تحدث الفائدة المرجوة منه .

يعمل السيمتدين عن طريق إبطال فعل **الهستامين Histamin** على الخلايا المنتجة للحمض في الأغشية المخاطية الهضمية وذلك بمنع الفعل المحرض للخلايا **بالأستيل كولين** (الآتي بالمبهم) وهرمون **الفاسترين** معاً .

هذا التثبيط ليس دائماً وإنما مؤقتاً حيث تكفي ٢٤ ساعة من إيقاف الدواء لإعادة إفراز الحمض لمستواه السابق قبل المعالجة لا أكثر ولا أقل حتى ولو كانت مدة أخذ الدواء لسنة أو أكثر .

وإذا تسبب السيمتدين في شفاء القرحة فيمكن أن تعود ثانية إذا كان السبب الأصلي المهيء للقرحة ما زال موجوداً .

قرحة الإثنى عشر

أكثر المعلومات التي حصلنا عليها عن فائدة السيمتدين وقيمته العلاجية تمت عن طريق إعطائه بمقدار جرام واحد يومياً ولمدة أربعة أسابيع للمرضى وكانت نسبة الشفاء ٧٠ ٪ منهم ، وإذا استمرت المعالجة لمدة ستة أسابيع ترتفع النسبة لـ ٨٠ ٪ بينما كانت النسبة في المرضى الذين أعطوا **دواء موهما Placebo** حوالي ٤٠ ٪ .

إن الهدف الحقيقي للمعالجة هو منع نكسة المرض وليس الشفاء ، ويبدو أن جرعة ٤٠٠ ملليجرام مرة ليلاً أو مرتين في اليوم تحقن وتمنح وقاية معقولة لمنع نكسة القرحة أي عودتها

ولكن لقد نكست القرحة ١٠ ٪ من المرضى ، الذين أعطوا جرعة واقية ٤٠٠ ملليجرام مرتين يومياً بعد شوط دوائي واحد لمدة ستة أشهر . بينما عادت القرحة في ٤٥ ٪ من الذين أعطوا دواء موهما . وكانت النسبة ٢٥ ٪ عند الذين أعطوا ٤٠٠ ملليجرام يومياً لمرة واحدة .

وهناك ملاحظة هامة هي أنه بالفحص المنظاري قد تعود القرحة دون أن يشكو المريض أي أعراض ، وأيضاً ملاحظة أخرى ، وهي أن الوقاية من نكسة المرض تدوم ما دام الدواء يؤخذ بانتظام .

ولكي يستخدم السيمتدين بشكل عملي في علاج قرحة الاثنى عشر يجب أن يعطي المريض المصاب بقرحة فعالة (أي ثبت وجودها بالأشعة والمنظار) جراماً واحداً يومياً من السيمتدين لمدة ستة أسابيع بشكل ٢٠٠ مج ثلاث مرات يومياً مع ٤٠٠ مج ليلاً لإنقاص الإفراز الليلي للحمض الذي هو اضطراب أساسي بقرحة الاثنى عشر .

المعدة أكثر أعضاء الجسم تحملاً لسوء المعاملة .. ولكنه .. !!

ويجب أن يثبت الشفاء بعمل منظار للاثنى عشر ، ولكن متى أصبح المريض بلا أعراض بعد ستة أسابيع من المعالجة ، فيجب أن تنقص الجرعة إلى ٤٠٠ مج تؤخذ ليلاً وتستمر لمدة عام .

وفي حالة وجود نزف قرحي سابق يجب التأكد من تمام الشفاء بعمل منظار للمعدة ، وفي حالة الفشل يكون العلاج الجراحي هو الحل الوحيد . وقد لا تكفي جرعة جرام واحد في اليوم لتعديل الحموضة الزائدة حيث يظهر هذا بعدم تحسن المريض بعد أسبوعين من تناول الدواء فتزداد الجرعة هنا إلى ١,٦٠٠ جرام أي ٤٠٠ مج أربع مرات يومياً .

وهنا يجب على الطبيب أن يتأكد من أن استمرار الألم ناشيء بسبب القرحة وليس بسبب آخر كألم المرارة أو البنكرياس أو القولون . أما تلك القرحات التي لا تُشفى باستعمال «السيمتدين» فيجرب فيها المعالجة العرضية وفي حالة الفشل يلجأ للجراحة كحل أخير .

وإذا زالت الأعراض تماماً يبقى على جرعة واقية ٤٠٠ مج مرتين يومياً وإذا نكست القرحة بالرغم من المعالجة الواقية فيجب أن نلجأ إلى الجراحة .

مدة العلاج الوقائي ؟

إن آثار أو أخطار الدواء الجانبية هي من القلة بحيث تسمح باستعماله فترة طويلة ، لذا فإنه من السابق لأوانه تحديد فترة معالجة معينة بسبب قصر المدة التي استعمل خلالها بالمجال السريري . ولكن بشكل نسبي نقول إنه بالنظر لمضاعفات القرحة المعدية الكثيرة والخطيرة والمميتة أحياناً ، فإنه لا يسمح بأن تستمر المعالجة لفترة أكثر من ثمانية أسابيع بجرام واحد يومياً ، إذا لم يحدث الشفاء خلال هذه المدة بينما يختلف الأمر لقرحة الأثنى عشر السليمة نسبياً .

إن المرضى ذوو الأعراض الحادة والمتكررة بكثرة يحدث قبل أخذ الدواء غالباً - ما تعود عندهم القرحة لمجرد إيقاف الدواء مما يحتم اللجوء للجراحة - بينما يحدث العكس عند ذوي الأعراض المتوسطة ، وكذلك إذا نكست القرحة بعد العملية الجراحية فإن السيمتدين هو الاختبار الباقي ومن السابق لأوانه كما ذكرت تحديد فترة العلاج .. ولكنها على الأغلب تابعة للأعراض والمضاعفات .

وفي القرحة المَعدية أظهرت التجارب أن شوطاً دوائياً لمدة تتراوح من ٦ : ٨ أسابيع بجرام واحد يومياً كاف لشفاء ثلثي القرحات المعدية (هذه النسبة مقارنة بالمعالجات الأخرى) ، وكما هو الحال في بقية الأدوية فإن عودتها ممكنة الحدوث بعد إيقاف العلاج بالدواء . وإذا تأكدنا بعمل المنظار من سلامة القرحة فإن المعالجة يمكن أن تستمر بواحد جرام لمدة ثلاثة أشهر أو أكثر في محاولة لشفاء القرحة بعد التأكيد دائماً من سلامتها بالمنظار . وبالفعل فإن عدداً كبيراً من





المرضى في حاجة إلى عملية جراحية لإتمام العلاج .

ولقد درس المقدار الدوائي المؤثر في **رزم متلازمة (زدلنجر ايسون)** وتبين أن بعض المرضى يحتاج لفوق الثلاثة جرامات من السيمتدين يومياً لتحقيق تثبيط الحمض المعدي . وقد يصبح العلاج طويل المدى هو البديل الجيد عن استئصال المعدة التام .

وبالرغم من هذه المعالجة طويلة المدى فلا تلاحظ أية آثار جانبية هامة سوى بعض التعب بسبب الكمية الكبيرة المعطاة .

القرحة المعدية النازفة

ليس هناك أي دليل إحصائي حول ما إذا كان السيمتدين عن طريق الفم يوقف النزف أو يمنع تكراره . إن الاستثناء الوحيد هو عند المرضى ذوي القرحات والذين يعانون من قصور كبدي حاد حيث أظهر أن السيمتدين بالوريد قد يكون له بعض الفوائد الوقائية لمنع النزف . **ويجب أن يوضع تشخيص تفريقي واضح ، بين النزف المعدي والاثنى عشري القرحي ، وبين أشكال النزيف الأخرى مثل نزف الدوالي الرئيسية حيث لا يفيد السيمتدين .**

الآثار الجانبية للدواء

الحقيقة انه لا تحدث آثار جانبية هامة أو مزعجة بالمعالجة السريرية الصحيحة ، ولكن قد يحدث بعض الألم العضلي أو التعب أو الإسهال أو ارتفاع عابر بخمائر الكبد .. أما خارج المعالجة السريرية المحكمة ، فقد حدثت بعض الظواهر لم يتأكد بعد هل هي بسبب السيمتدين أم أنها وجدت صدفة مرافقة له ؟ وهي ليست كافية لاعتبارها ناجمة عنه . **وتتضمن هذه الآثار انخفاض الضغط والطفح الجلدي والدوار ، والاضطرابات النفسية ، واضطرابات التبول .**

كذلك سجلت بعض حوادث **انخفاض الكرات الحمراء والبيضاء والصفائح الدموية** ، كما ذكرت حوادث من تشعب القرحة لمجرد إيقاف الدواء «الفجائي» وهذا يضيف تأكيداً آخر على وجوب التدرج بإنقاص الجرعة قبل إيقافها تماماً . أو الإبقاء على جرعة دائمة (واقية) .

ولو علمنا أن السيمتدين يطرح عن طريق الكليتين لذلك يجب التنبيه عند إعطاء هذا الدواء لذوي القصور الكلوي ، وأن هذه الآثار أياً كانت ما زالت تفتقد أو تحتاج لبعض التقويم في العلاج طويل المدى ، كما أن الزمن والمراقبة الجدية والإحصاءات ، كل هذه كفيلة بأن تعطي في المستقبل نتائج أفضل في استعمال السيمتدين ، هذا الدواء الجديد لعلاج القرحة .

ولكن ماذا عن باقي الأدوية ؟

في الواقع إن جميع الأدوية تقريباً تهيج المعدة .. إن المعدة ، حتى ولو كانت سليمة صحيحة تماماً ، فإنها لا تسلم من النزف القليل إذا ما أسرف الإنسان في تعاطي الأسبرين مثلاً . ولكن هذا النزف يجب ألا يقلق البال شريطة أن يراعي الإنسان جانب الاعتدال في تعاطي الأدوية .

هنالك علاج أثير على نفوس الكثيرين هو **كربونات الصودا** التي تستخدم لإزالة حموضة المعدة . **ولكنني أنصح سائر الناس بتجنب الإسراف في تعاطي هذه المادة القلوية** . فالمواد القلوية سريعة الوصول عن طريق الامتصاص إلى الدورة الدموية .



فإذا أكثر الإنسان من تناولها قد يؤدي ذلك إلى زيادة القلويات في الدم وهو أمر يجب أن يخشاه الإنسان اكثر مما يخشى زيادة الحموضة **لأن تكاثف القلويات في الدم يسبب إرهاقاً مخيفاً للكليتين** .

وقد يوجه المرء الملامة لمعدته لأمور ليست من صنعها كتلك الغازات (القرقرة) المحرجة التي يسمعها منبعثة من جوفه أحياناً . إن هذا الصوت لا يصدر عنها وإنما عن الأمعاء . فهي ليست مولداً للغاز . وإذا أساء الشخص طريقة تناول الطعام أو أسرف في تعاطي الكحوليات فهي تلجأ إلى طريقتها المعروفة في التنظيف والتقيؤ .

وقد تستغرب يا صديقي إذا قلت لك أن الأمر بإفراغ المعدة من محتوياتها المزعجة لا يصدر عنها وإنما يصدر عن الدماغ . وهو يؤدي إلى حدوث سلسلة من الأعمال العنيفة ، فعضلات البطن والصدر تأخذ في الضغط عليها . والصمام الفؤادي في أسفل المريء ينفتح إلى أقصى مداه . والبقية تعرفها أنت !.

إن «**الحرقان**» والنقطة المؤلمة التي يشعر بها الإنسان قرب منطقة عظام الصدر شيء آخر . فقد يحتسي المرء مقداراً كبيراً من «شراب» ويعطي الدماغ الأمر بإفراغ المعدة ولكن الفؤاد (فتحة المعدة العلوية) لا ينفتح إنفتاحاً مناسباً ، ولذلك لا يحدث التفريغ . فيحدث في مثل هذه الحالة أن فقاعة من الغاز تصعد إلى أعلى حاملة معها شيئاً من حمض الهيدروكلوريك المهيج وهو ما يسبب الحرقان ، ولكنه لا يشكل خطراً على أية حال .

وهناك قاعدة يجب أن يعيها كل الناس : فإذا شعر المرء بألم حاد منبعث في ظنه من المعدة واستمر هذا الألم أكثر من ساعة واحدة فعليه أن يستشير طبيباً في الأمر . ذلك أن هناك عللاً كثيرة وآلاماً متعددة يظن الإنسان أنها ناشئة عن المعدة ولاسيما آلام المرارة وما أكثر الأشخاص الذين توفوا بنوبات قلبية وهم يظنون أنها مجرد إضطرابات في المعدة !!.

فكن حريصاً واتخذ جانب الحيطة . إن أي اضطراب في المعدة السليمة يمضي بسرعة . فإذا استمر طويلاً عليك بالطبيب .

وربما ينعت الكثيرون المعدة بأنها أكثر أعضاء الجسم تحملاً لسوء المعاملة وربما كان هذا صحيحاً ، فلقد بنيت على هذا الأساس . ولو أن المرء أولى قسطاً مناسباً من عنايته لمعدته فإنها تستطيع أن تعده بأنها سترافقه طوال حياته وتخدمه خدمة خالية من مسببات الاضطراب ، بل وتتحدى أي عضو من أعضاء الجسم الأخرى أن يَعِدَ المرءَ هذا الوعد !!

إنها ترفع صوتها كي تنصحك بما يجب أن تفعل وتنهاك عما لا يحسن بك فعله .. إنها نصائح ثمينة تجنبك الكثير من الإزعاج والاضطرابات الهضمية ، وتحمي صحتك وجسدك من الآفات والأمراض .

اعمل بهذه النصائح تعش طويلاً رضي البال، جم النشاط ، موفور الصحة . وإذا أردت ذلك فعليك بقراءة المقال مرة ثانية .

علاج الشريعة الإسلامية
للانحراف الوظيفي والفساد الإداري

بقلم: حسن رمضان فحلة

الانحراف الوظيفي والفساد الإداري ظاهرة من الظواهر السلبية التي لا تقتصر على دول العالم الثالث فحسب، وإنما هي عامة في جميع المجتمعات البشرية حتى التي تدعي التقدم العلمي والتكنولوجي لاعتماد هذا النوع من العمل على الإنسان الذي يؤدي هذه المهمة فيؤثر في المجتمع بفكره وعمله وماله.

والإنسان بطبيعته مجموعة من الغرائز والميول، والمطالب والطباع، والأهواء، والشهوات فهو يؤثر ويتأثر، ويستقيم وينحرف، ويمرض ويصح.

والمجتمع في أي مكان من العالم هو مجموعة الأفراد الذين يعيشون مع بعضهم بما فيهم من طبائع وغرائز، ومطالب وأهواء، تنظمهم قوانين وترعاهم مبادئ من أجل أهداف يرنو إليها ذلك المجتمع.

فاذا ما ظهرت في المجتمع مظاهر سلبية أو مشكلات تستدعي الحل، قام المصلحون وعلماء الأخلاق بدراسة ماجد على الصعيد الحياتي للمجتمع، ليقدموا الحلول الناجعة للقضاء على السلبيات وتحقيق ما هو أفضل للمجتمع كي يأخذ دوره في دعم صرح الحضارة الانسانية .

يرى «**هنتنجتو** HUNTINGTON» أن انتشار الفساد يرتبط ارتباطاً وثيقاً بعمليات **التحديث** (MODERNITATION) الاجتماعي والاقتصادي السريع استناداً لما توصل اليه في دراسة المجتمع الأمريكي والانجليزي خلال القرنين السابع عشر والعشرين ولكنه غفل كغيره من علماء الاقتصاد والتربية عن عامل هام في تأهيل رأس المال البشري ألا وهو **التربية الروحية** المستندة إلى المباديء والقيم التي يدعو إليها الدين الإسلامي، خاصة من لدن نزول الوحي على **محمد بن عبدالله** إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ذلك لأن (الحضارة المادية عندما تكون في قمة انطلاقها لابد أن تشتاق الى القيم الروحية التى تعطيها معناها الحق، وتوجهها نحو خدمة المصير الانساني في أعمق معانيه، وعندما تفقد هذه الحضارة المادية وشائجها الروحية ومعناها الانساني، تأخذ بالقلق والضياع، تسير نحو التردي لا محالة[1] .

فاذا عزا هنتنجتون الفساد الوظيفي إلى التحديث الاقتصادي والاجتماعي السريع فمرد ذلك إلى خلوّ التحديث من القيم الروحية ومن التربية الدينية التي لم تعرها أكثر المجتمعات التقدمية اهتماماً .

ويؤكد (**مكمولان** MCMULLAN) على صورة **الاختلاس** التي هي من نتائج الفساد الاداري في الدول النامية التي تؤدي إلى تعويق عمليات التنمية الاقتصادية والاجتماعية الى حد كبير، وبالتالى يكون الفساد الإداري عائقاً أمام التقدم الاقتصادي والاجتماعي ومؤثرا قوياً في عدم الاستقرار السياسي .

وهنا يجدر بنا أن نسأل : ألا توجد ظاهرة الاختلاس في الدول المتقدمة ؟ فاذا كان الجواب بالاثبات فلم لم يذكرها (مكمولان) ولِمَ لم يبدِ حلاً ناجعاً لتلك الظاهرة ؟ في الوقت الذي يعتبر تلك الظاهرة معوقا للتقدم !!

أما ما نقرأه عن (**رونالد ريث** R. WRAITH) و(ادجار سينبكنز E. SINIPKINS) في اعتبار **المحسوبية والمجاملة** من قبيل الرشوة في البلاد الغربية ولكنها تخرج عن هذه الدوائر في البلاد الافريقية. فإن في ذلك ظلم واجحاف في حق البلاد الافريقية وذلك لأن الطبيعة البشرية في الأرض وان كانت تختلف فيما بينها نسبياً حسب طبيعة البيئة، والتقدم العلمي والاقتصادي ومقدار التربية التي تلقاها مجتمع ما، إلا أن ما هو فاسد لا يختلف فيه اثنان وما هو ضار يعرف بآثاره كما هو في رأي البراغماتية .

ومع ذلك فقد وضعا للفساد تعريفاً هو (أن أي فعل يعتبر فاسداً إذا حكم عليه المجتمع بأنه كذلك، واذا ما شعر فاعله بالذنب وهو يقترفه) ويضيفان على ذلك قولهما (ولكن هذين الشرطين لا ينطبقان، في نظرهما، على المحسوبية والتحيز في المجتمع الافريقي مجال دراستهما) فلم التركيز في الدراسة على المجتمع الافريقي ؟ ألا يوجد لذلك المجتمع شبيه مماثل في الشرق الأقصى وبلاد أخرى من العالم ؟ وهل أن شعور المذنب بالذنب كاف على تحقق فساد العمل ؟ وهل أن كل مقترف للفساد يشعر بالذنب ؟ بل الأمر في كثير من الحالات على العكس من ذلك . فاذا كان الشرط الثاني لا يكتسب صفة العموم فهل الشرط الأول يكتسب ذلك، انه كقرينه لأن ما يقيّم عمل الأفراد انما هو بالنظر الى المباديء العليا والمثل السامية والقيم الروحية الحيّة لا ما يحكم عليه المجتمع لأن نظرة الإنسان لا تخلو في كثير من الأحيان من نقص أو خطأ ولكن الحكم الأمثل والأقوم هو حكم الله الذي لا يتأثر بالأهواء والأشخاص والتي نادت به الأديان السابقة والدين الاسلامي منذ خمسة عشر قرناً والى يوم الدين .

ولا نطيل على القاريء ما قدمه علماء الأخلاق الغربيون فيما أشرنا إليه سابقاً فيه الكفاية إلا أننا نود البحث في العلاج وطريقة اصلاح ذلك الفساد الوظيفي على ضوء مقوماتنا وحالة مجتمعنا ، وما عندنا من مباديء انسانية ومثل عليا، وقيم سامية تغرس في نفس كل فرد مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال وتحثّه على الإيجابية في الأمور، وتحفزه الى القيام بالأعمال الصالحة بدافع الضمير الحي والوازع الديني المتيقظ في قلب كل مؤمن .

موقف الدين الاسلامي

اننا كغيرنا من المجتمعات فينا الصحيح والسقيم، فالصحيح نعتني بصحته ونتعهده بالرعاية والنّماء، والسقيم نبحث عن أسباب مرضه فنقدم له

"التربية الإسلامية سبيل المجتمع لتنظيمه وتحقيق أمنه واستقراره والوصول إلى غاياته التي يطمح إليها .."

الدواء المناسب للقضاء على آفة المرض وما يتركه من آثار سيئة يتعدى أثرها على غيره من أبناء المجتمع، وليعود بالتالي سليما معافى مما كان به .

واذا كان الفساد الاداري ظاهرة من الظواهر السلبية التي قام بدراستها المصلحون وعلماء الأخلاق ، فان الدين الاسلامي الحنيف نظر الى الانسان نظرة واقعية فأشار الى ما في نفسه من خير وشر، وأمره بتزكية جانب الخير بالتقوى والعمل الصالح، وعدم طاعة النفس الأمارة بالسوء وفي الوقت نفسه نظّم المجتمع تنظيما دقيقاً قائما على وحدة الأمة وتماسكها، وتعاونها، والتواصي بالحق والخير وغير ذلك من المبادىء الإنسانية المثلى التي تفيض بها الشريعة الإسلامية .

وعندما ننظر في تلك الظاهرة السلبية نجدها تبدو في مظاهر متعددة مثل: الاختلاس، الرشوة، المحسوبية، الوصولية، الاهمال، الكبرياء، الإضرار بالآخرين والتواكل وغير ذلك من المظاهر الكثيرة الناجمة عن الفساد الوظيفي.

أما العلاج لذلك الفساد فلا يكون بثورة عارمة تقوم في لحظة من الزمن بتغيير المبادىء والأحكام ، لأن الأفراد بعدها هم هم لم يتغيروا . وطباعهم وأهواءهم هي لم يجر عليها التعديل والاصلاح، ولذا فان الإصلاح لهذه الظاهرة يأخذ شكل محورين اثنين . (أولهما : وقائي دفاعي، والآخر علاجي تقويمي).

لأن الإصلاح في كلا الحالتين يكمن اما في الانسان الذي يعمل في الوظيفة أو الإدارة ، أو في المبادىء والقيم والنظم التي تسود المجتمع . وكلاهما يمكن اصلاحهما اصلاحاً فعالاً وفق معطيات علمية وقواعد سلوكية وأخلاقية .

● **أما المحور الأول : فيتمثل في تلقيح الناس بلقاح المُثل العليا والمبادىء النبيلة،** لأن قضية الفرد في المجتمع منوطة بتوجيهه في ثلاثة نواحٍ .

التوجيه الديني والثقافي والاجتماعي .
التوجيه نحو العمل وإرادته وإتقانه
التوجيه نحو الاقتصاد الوطني وفاعليته في المجتمع

ويستطيع المجتمع الوصول الى ذلك بالتربية الاسلامية التي تربي الفرد تربية داخلية وخارجية، تربية فردية واجتماعية، تربية للدنيا والآخرة معاً .

فالتربية الاسلامية تبدأ بالفرد من داخله لتنمي عنده القيم العليا الاجتماعية . منها والروحية والانسانية، وفي نفس الوقت تعتني بتربية الروح والضمير، ومن ثم توقظ النفس الانسانية ليبلغ بها الفرد تحقيق الأهداف المنشودة .

والتربية الاسلامية : تنظم حياة الجماعات، وتحافظ على حقوق الافراد . لأن الدين الاسلامي يؤكد حق الانسان في الحياة الحرة الكريمة العزيزة، ويوفر العيش الهنيء السعيد له ولأفراد أسرته وبالتالي يُحقّق له الأمن والاستقرار على حسه.. وجسمه وعلى حياته ومعاشه، بحيث يكون حرا في تفكيره وابداء رأيه، كريما في نفسه وعرضه، فيحميه من الأذى الناجم عن الغير قولا أو عملا أو عدوانا، فلا تخدش كرامته، أو تجرح مشاعره، انما يعيش بين اخوة له في مجتمع المحبة والرحمة بحيث يصبح مسؤولا مسؤولية تضامنية مع غيره ، فيسعى الى التكافل الاجتماعي وتوفير اسباب الحياة الرغيدة والعيش الهنيء .

والتشريعات الاسلامية تدعو إلى سعادة الفرد والمجتمع سعادة حقيقية قائمة على التعاون والشورى ، والأخّوة والوحدة، ذلك (لأن الدين رسالة اجتماعية، ايجابية عملية صالحة، مصلحة لا عزلة فيها ولا سلبية، ولا تعويق فيها ولا رجعية، ولا تخلف فيها أو جمود، وهي ليست مقصورة على المساجد والمعابد لأن الدين يجب أن يكون للحياة، وأن يكون للمجتمع، وأن يكون لخير الانسان في الدنيا كما انه طريق النعيم في الآخرة[٢]) .

فالاسلام يرعى مصالح الضعفاء ويحميهم ويدافع عنهم ويقدم المساعدة للمحتاجين والفقراء والمعوزين بما يحقق مبدأ التكافل الاجتماعي، ويوجد المصادر المالية لتمويل ذلك سواء بفريضة الزكاة أو الصدقات أو الكفارات .

ومن جهة أخرى فهو يدفع عجلة التطور الاجتماعي والثقافي والاقتصادي والسياسي نحو الأمام باشاعة روح العلم وطلبه والعمل والقيام به والتعاون والمساهمة فيه كما أنه يحارب الأعمال الضارة التي تعود على المجتمع بالتخلف والتأخر سواء كان ذلك من النواحي المعنوية كالغيبة والنميمة والكذب والتجسس والفتنة ورمي الناس بما يكرهون، أو من النوحي المادية كالزنا والسرقة والغصب والاكتناز والترف، واستغلال الوظيفة، والفساد بين الناس وغير ذلك من مظاهر الفساد التي تقف عائقا صلبا، وسداً منيعاً أمام مستقبل المجتمع وتقدمه .

ومن أجل ذلك وجب الاهتمام بالتربية الاسلامية التي تعتبر (أكبر باعث على تحريك ينابيع الاعماق في داخل الفرد فهي بما فيها من قيم روحية قادرة على تحريك النفوس وتعبئتها تعبئة قوية وتربيتها تربية اندفاعية تأخذ بيد الفرد نحو الأمام ، وتقوم بتربيته تربية انسانية فتتجه الى نفسه فتعالج اصلاحها بالطرق التربوية الناجعة وتطهرها من دنس الآثام والدنايا والحمأت التي قد ينزلق فيها بدافع شهواته ونزواته الجامحة، كما أنها تحمّل الفرد مسؤولية كاملة في حياته عما يكسب، وبنفس الوقت تعمل على تحرير العقول من الخرافة، وتحفظ للفرد في حياته بنوع من التوازن الدقيق بين مطالب جسمه وروحه ضمن الحدود التي يرضى عنها العقل السليم والضمير الحي، والأهم من ذلك تربية الوازع القوي الذي ينبعث من أعماق الفرد ليرده عن كل محاولة قد يحاولها

"نحتاج تشخيصًا واعيًا ودقيقًا لمعرفة أسباب الانحراف في بعض المجتمعات وكيفية معالجتها والتنبيه إلى أخطارها.."

للقيام بأي عمل يضر به وبمجتمعه كما يبدو في مظاهر الفساد الاداري والوظيفي)[٣] .

وبناء على تلك الأهداف الاجتماعية والانسانية لم تعد التربية الاسلامية تفهم على انها دروس وعظ وارشاد، ولا تعليم لبعض الاسس والمباديء التى تقوم عليها، انما أصبح مفهومها واسعا شاملا شمول الدين وأهدافه في الحياة وفي تربية الفرد تربية منسقة فردية واجتماعية تهدف الى اصلاح الفرد والمجتمع معا .

(لقد أصبح مفهومها رسالة فكرية يحملها الشاب في عقله ويؤمن بها بجميع تفكيره.. واحساسه، رسالة تحمل في طيّها حلولاً لجميع مشاكل الحياة وتفسيراً نيراً، للظاهرة الدنيوية القائمة حوله بحيث تصبح هذه الرسالة اذ ذاك مصباحاً منيراً يضيء له ما حوله، يمشي على هديه في انجاح هذه الحياةويرشد الضالين من حوله الى قبس نوره)[٤] بهدي من الدين الحنيف بعيدًا عن الانحراف والانحلال .

فان قال قائل فأين اللقحات الأخرى الاجتماعية ؟ أجبناه بأن التربية الاسلامية بما فيها من مباديء وأهداف تحث الفرد على ارادة العطاءة وتجنيد كامل إمكاناته وتعبئة كل طاقاته في معركة التقدم والبناء والأخذ بوسائل ذلك عن طريق العلم بأنواعه واختصاصاته والعمل المثمر الشريف الجاد، وحب الوطن والدفاع عنه والجهاد النبيل في سبيل الله، وإحقاق الحق وازهاق الباطل .

●● **أما المحور الثاني** : فهو أشبه بالعمل الطبي حيث يقوم الطبيب بفحص المريض جسمياً وعضويةً وفيزيولوجياً ليقف على مكامن الداء ويصف الدواء الناجح .

ومشكل الفساد تحتاج إلى تحليل عناصرها لمعرفة الأسباب الداعية الى الانحراف والعوامل المؤدية الى الفساد باتخاذ الطريق الملتوي عوضاً عن السوي، وسلوك سبيل الظلم والانتهاز بدلا عن الرحمة والايثار .

ولنضع على سبيل المثال : مظهر **الرشوة** التي فشت بين أفراد مجتمعات كثيرة في العصر الحديث . الرشوة التي نفّر منها النبي عليه الصلاةوالسلام بقوله : «**من استعملناه على عمل فرزقناه رزقاً فما أخذه بعد ذلك فهو غلول**» (رواه أبو داوود) ويعد من الرشوة والخيانة كل ما يأخذه الموظف في عمله زيادة على راتبه، لانها عطاء من غير حق، وكسب من غير جهد، حتى الهدايا التي تقدم للموظف ينبغي رفضها لما فيها من شبهة الرشوة، ولما في ذلك من ضياع للحقوق، وأكل لأموال الناس بالباطل، واتجار للضمائر الرخيصة في أيدي سماسرة الشيطان وعبدة الدينار والدرهم، وهدم للكيان الاجتماعي القويم، وهدر للدماء، وفي ذلك ما فيه من الفساد.. **فما الدوافع التي دفعت المرتشي لطلب الرشوة وأخذها على حساب المصلحة العامة للمجتمع ؟**

والدوافع إما أن تكون ضرورية كدافع الحاجة لكسب متطلبات الحياة والمعيشة بسبب ارتفاع الأسعار، أو سيطرة المستغلّين الجشعين تجار قوت الشعب على الأسواق ، الأمر الذي حدا بذلك المرتشي لقبول الرشوة وطلبها والبحث عنها لأن دخله قليل، ومصروفه كبير، فوارداته أقل من نفقاته، وعندها يقع في العجز أسير الحاجة والدافع الملح لاستمرارية الحياة. وهنا يقوم المجتمع بالعلاج :

فيقدم لذلك المحتاج ما هوبحاجة اليه من غذاء وكساء ومسكن ودواء وثقافة وتوجيه، وإما أن يرفع بمستوى دخله وثقافته أو أن يجعل أسعارالحاجيات والمواد الاستهلاكية مناسبة لدخله الحالي، وعند ذلك يترتب على المجتمع أن يقوم بتنظيم الأسواق، وتوفير المواد الاستهلاكية والتحّكم بالأسعار المنطقية المعتدلة، ويراقب الأسواق مراقبة دقيقة فيضرب بيد من حديد على مستغلي أقوات الشعب ويفرض العقوبات الصارمة على كل من تسول له نفسه التلاعب بقوت الناس كما يجبر أولئك الذين يتعاملون مع السوق السوداء أن يتركوا جشعهم واستغلالهم ويتحول الى الاسواق المنظمة الخاضعة لرقابة المجتمع . فعمر ابن الخطاب أوقف تطبيق حد السرقة في عام المجاعة .

ومن نافلة القول أن من حصل على التربية الصحيحة، تجنَّب الفساد والانحراف حتى أن ابناء السلف الصالح كانوا يحثون أباءهم على اكتساب الحلال لايمانهم بأن كل لحم نبت من السحت فالنار أولى به **(والسحت هو المال الحرام)** .

أما إذا كان الدافع خسيساً ولأغراض شخصية، فعند ذلك تطبق العقوبات التي نص عليها التشريع الاسلامي في صدد تلك المفسدة لأن العقوبة في الاسلام وسيلة من وسائل الاصلاح فمن لم تصلحه الكرامة أصلحه الهوان . والله تعالى يقول : ﴿**ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون**﴾ البقرة ١٨٨ .

وفي الحديث النبوي الشريف «**لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم : الراشي والمرتشي والرائش الذي يمشي بينهما**» (رواه أحمد) .

وعن **أبي حميد الساعدي** رضي الله عنه قال : استعمل النبي **صلى الله عليه وسلم** رجلا من بني أسد يقال له **ابن اللتبية** على صدقة، فلما قدم قال : هذا لكم وهذا أهدى إليَّ . فقام النبي صلى الله عليه وسلم فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال : «**ما بال العامل نبعثه فيأتي فيقول : هذا أهدى إليّ !! فهلّا جلس في بيت أبيه وأمه، فينظر أيهدى له أم لا ؟ والذي نفسي بيده، لا يأتي بشيء إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته: إن كان بعيراً له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاه تيعر**» ثم رفع يديه حتى رأينا

"النفس الصالحة الطيبة الكريمة برنامج قويم مفضّل لكل خير وصلاح، وطريقها قويم لا اعوجاج فيه ..."

عفـرتي إبطيه «ألا هل بلغت ؟ ألا هل بلغـت ؟ ألا هل بلغت؟» **(أخرجـه البخاري ومسلم).**

ويقول **الإمام أبو حنيفة** رضي الله عنه **(اذا ارتشى الحاكم، انعزل في الوقت، وان لم يعزل بطل كل حُكم حَكَم به بعد ذلك لأن أخذ الرشوة فسق منه، والفاسق لا يجوز حكمه)** .

وقد شرع الاسلام عقوبة **التعزير**[٥] وترك حرية اختيار العقوبة الرادعة للحاكم كي تكون مناسبة للمخالفة المرتكبة بغية الاصلاح والتقويم، وبين الحد الأدنى والأعلى لعقوبة التعزير . **ونتيجة لذلك، فمن الذي يقوم بعملية الإصلاح والتقويم ؟**

عملية التقويم والاصلاح من العمليات الهامة في حياة الفرد والمجتمع، فلا يترك أمر تنفيذها لأهواء الناس وأغراضهم، بل تتحقق من قبل جماعة يختارها الحاكم، ولهذه الجماعة صفات معينة لابد من أن تتوفر فيها: كالتقوى، والعدل، والسيرة الحسنة، والأخلاق الكريمة، والتنفيذ الصارم، بحيث لا تأخذها في الله لومة لائم . **وتنفيذ العقوبة يقوم بها الحاكم** .

انحراف النظم

أما اذا كان السبب مرده في الانحراف إلى النظم والمباديء التي تتحكم في أوساط المجتمع الذي انتشرت بين افراده تلك الظاهرة، فقد بينا فيما سبق أن المباديء الانسانية التي نادى بها الاسلام خير ما يقضي على المفاسد ويجلب المصالح التي فيها خير الانسانية جمعاء .

وإن ما يبدو من مظاهر الانحراف الوظيفي في مجتمعات اسلامية مردّه الى أمور عديدة منها :

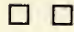
● تهاون كثير من الافراد بتعاليم الشريعة الاسلامية، وضعف هممهم، وقلة اقبالهم على ما أرشد إليه **القرآن الكريم**، وبيّنته السنة النبوية من وجوه الاصلاح ووسائل المنعة والعزة .

●● ميل كثير منهم نحو الزهد والكسل في الوقت الذي يميل غيرهم باتجاه العنف والشدة تارة أخرى .

●●● فهم البعض لنصوص قرآنية ولأحاديث نبوية فهماً خاطئاً، وتفسيرها تفسيرات غير صحيحة .

كقوله تعالى **﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾** المائدة ١٠٥ فكان سبب ذلك بعدهم عن الشعور بالمسؤولية تجاه أنفسهم ومجتمعهم .

يقول الله تعالى **﴿ومن يطع الله ورسوله ويخشَ الله ويتقـه فأولئك هم الفائزون﴾** النور ٥٢ فالنفس الصالحة الطيبة الكريمة هي البرنامج القويم المفضل لكل خير وصلاح لأنها لا تتخطى النقائص الا بعد إكمالها ولا تتجاوز الأخطاء الا بعد تصحيحها ولا تترك الفساد الا بعد تقويمه ولا تدع الاعوجاج الا وتسهم في عودته الى الصراط المستقيم .. هذه النفس هي التي زكت بالايمان والعمل الصالح فسارت في طريق الخير والصلاح للناس كافة .



الهـوامـش

(١) الدكتور عبدالله عبدالدائم : اهداف التربية الخلقية والروحية ووسائلها في المجتمع العربي مركز التخطيط التربوي بيروت ١٩٦٨ ـ ١٩٦٩ ص ٢ ـ ٤ .

(٢) انظر على سبيل المثال : أحمد الشرباصي ـ الدين والمجتمع في ضوء الميثاق الوطني تاريخ الاستاذ الامام ـ جـ ٢ ص ٣٢٥ ـ ٣٢٦ ـ جريدة العروة الوثقى .

(٣) الدكتور عبدالله عبدالدائم : المرجع السابق رقم ٤ .

(٤) الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي : تجربة التربية الاسلامية ص ٢٣ ـ ٢٤ .

(٥) التعزير : عقوبة غير مقدرة، فللحاكم أن يقدر بحق المخالف العقوبة المناسبة التي يراها عادلة بشأنه على الا تبلغ مقدار حد من الحدود .

انظر : الدكتور فتحي الدريني : التربية الاسلامية ـ وزارة التربية ج.ع.س ص ١١٥ .

البلاغة العربية .. بين القديم والحديث

بقلم: عودة منيع سالم القيسي

كان العرب منذ الجاهلية أمة بلاغة وبيان، يهتزون للقول الرفيع والشعر البليغ، حتى لقد كانت القبيلة تحتفل بمولد شاعر فيها، وكانت العرب تعقد أسواقاً أدبية في مواسم معروفة تعرض فيها جيد القول من الشعر وتستمع له، ويحكم النقّاد منها على الشعراء فيضعونهم في مراتب حسب الإجادة، ومن هؤلاء النقّاد على سبيل المثال النابغة الذبياني.. وقد قال شاعر العرب منوهاً بأهمية البيان:

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده
فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

ثم جاء **القرآن الكريم** بأسلوبه المعجز ليواجه العرب بأعظم قيمة يعتزّون بها... ونوّه بأهمية البيان في قوله تعالى ﴿ **لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين** ﴾[1]. فوصف اللسان العربي بالإبانة مدحاً له وتفضيلاً على اللسان الأعجمي.

وقد دفع العرب إعجابُهم ببلاغة القول ثم بحثهم ـ فيما بعد ـ عن أسباب الإعجاز البلاغية في القرآن الكريم... إلى أن يضعوا (**علم البلاغة**). بينما كان في البدء وفي الجاهلية شذرات من القول ثم كثرت في صدر الإسلام، حتى إذا وافينا مطلع القرن الثالث الهجري وجدنا أديباً **كالجاحظ** يؤلف كتاباً كبيراً هو (**البيان والتبيين**) ينثر خلاله كثيراً من الملاحظات البلاغية. ثم يأتي بعده **عبد الله بن المعتز** في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، فيؤلف كتاباً متخصصاً في البلاغة سمّاه (**البديع**). وهو أول كتاب يقصر بحوثه على علم البلاغة، ثم تتوالى التآليف بعد ذلك صاعدة مع الزمن حتى العصر الحاضر.

مدارس البلاغة العربية

يستطيع الدارس أن يقسم ما ألّف في البلاغة العربية خلال العصور إلى خمس مدارس هي:

(١) مدرسة الجاحظ: وهي التي عُنِيَتْ بالبلاغة لا من حيث هي قواعد وقوانين بالدرجة الأولى وإنما من حيث ما تتمثل به البلاغة من نصوص رفيعة سواء في الشعر أم الخطب أم الأمثال أم الحِكَم، ثم ينثر في ثناياها بعض الأقوال البلاغية، ومن أبرزها صحيفة «**بشر بن المعتمر**» التي تبيّن الأحوال التي يحسن فيها القول، وصفات الكلام الجيد.

(٢) مدرسة العسكري ـ (كتاب الصناعتين): ـ صناعة الشعر وصناعة النثر ـ.

كان العسكري يورد في كتابه (كتاب الصناعتين) التسميات البلاغية التي اقتبس كثيراً منها من **ابن المعتز** ثم يوضح معناها بإيراده النصوص الجيدة معقباً عليها بتعليقات قصيرة. وقد تابعه على طريقته «ابن رشيق» في كتابه (**العمدة في محاسن الشعر**)، و «**ابن الأثير**» في كتابه (**المثل السائر**).

(٣) مدرسة الآمدي: وهو الحسن بن بشر الآمدي، وقد ألّف كتابه (**الموازنة بين الطائيين**) وهما **أبو تمام والبحتري**، وقد أقامه على دراسة تطبيقية، إذ كان يتناول ـ عادة ـ معنى تعاقب عليه الشعراء وهذان الشاعران خاصة، ثم يبيّن الجمال والقبح في قول كل منهما ويحكم لأحدهما على الآخر أحياناً، وأحياناً أخرى يساوي بينهما. وقد استفاد من طريقة الآمدي هذه **القاضي الجرجاني** في كتابه «**الوساطة بين المتنبي وخصومه**» **والزمخشري** في تفسيره الشهير «**الكشاف**»، فقد استفاد من ثمرات البلاغة في إظهار وجوه الإعجاز في القرآن الكريم على نحو تطبيقي.

(٤) مدرسة الجرجاني: وهو **عبد القاهر الجرجاني** من أعلام القرن الخامس الهجري، وقد ألّف كتابين في البلاغة هما: (**دلائل الإعجاز**) و (**أسرار البلاغة**). وكانت طريقته غاية في العمق، فقد كان يورد النصوص ويقوم بتحليل دقيق لها عارضاً لمسمياتها البلاغية. وقد كان من نظرته أن رأى أن البلاغة ترجع إلى «**نظم الكلم**»، أي أن بلاغة النص لا تأتيه من اعتبارات ومقاييس خارجية.. وإنما تأتيه من اعتبارات داخلية عن طريق ترتيب الألفاظ، وصلة هذا الترتيب بترتيب المعاني في النفس. وبهذا، فقد ركّز على «**العلاقة بين الألفاظ**»، فجرّد اللفظة المفردة من صفة الجمال والقبح، **وإنما تكتسي اللفظة بالجمال أو تسقط في القبح من خلال الاستعمال أو النظم، أي من طريق علاقتها بما يجاورها ويتصل بها من ألفاظ.** وهي نظرة في غاية العمق والإصابة.

وكما استفاد **الزمخشري** من طريقة الآمدي فقد استفاد من طريقة

البلاغة العربية
بين القديم والحديث

الجرجاني فجاء بتطبيقات باهرة في مجال الإعجاز البياني في القرآن الكريم .

(٥) مدرسة السكاكي : وقد تمثلت في كتابه « **مفتاح العلوم** » ويعني بها علوم النحو والصرف والبلاغة ، والسكاكي من أعلام القرن السابع الهجري . ولقد انحرف السكاكي بالبلاغة فتحوّلت على يديه إلى مجرد مصطلحات وأمثلة عليها ، دون التفات إلى التحليل الذي يكشف ما في المثل من جمال أو قبح والذي ينتهي بالقارئ إلى أن الجمال ليس في اتباع طراز بياني أو بديعي معيّن كالتشبيه مثلاً أو السجع وإنما في أن يقع هذا اللون البياني أو البديعي موقعه .

لقد عامل البلاغة معاملة النحو والصرف على ما هنالك من فرق بين علمي النحو والصرف وبين علم البلاغة كما سنبيّن .

بين النحو والصرف ـ والبلاغة

أصبح النحو وسيلة أساسية لضبط اللسان بعد أن انتشر اللحن وضعفت السليقة وكثر الداخلون في الإسلام من غير العرب . وكذلك الصرف ، **فإذا كان النحو يضع القواعد لحركات أواخر الكلمات وطريقة التركيب في العربية ، فالصرف يحدد بنى الألفاظ ويضع الميزان الصرفي لها ، ويدرس ما يدخل عليها من إعلال وإبدال وإدغام .**

ولذلك . . . لا بد في هذين العلمين من الإحصاء الدقيق لحركة أواخر الكلمات حسب مواقعها من الكلام ، وللصور التي تبنى عليها الكلمات تبعاً لأصولها ثم توضع « **القواعد** » التي تضبط ذلك . أما في البلاغة فالأمر مختلف :

● **أولا : لأن بلاغة الكلام أساساً ملكة في النفس أو موهبة ، فمعرفة القواعد البلاغية لا تصنعها وإن كانت قد تقويها بعض الشيء .** معرفة القواعد البلاغية لا تجعل غير البليغ بليغاً وقد يفيده قراءة النصوص الجيدة أكثر مما يفيده معرفة القواعد البلاغية . أما معرفة القواعد النحوية والصرفية فهي وسيلة أساسية للنجاة من الوقوع في الخطأ النحوي .

● **ثانياً : لأنك في البلاغة لا تستطيع أن تقدم طريقة محددة ، من نَهجَ على نهجها كان بليغاً** ، على حين تستطيع أن تحدد طريقة أو طرقاً (قواعد) في أواخر الكلمات وفي ضبطها من نهج على نهجها كان يجري على أساليب العربية في ضبط الكلمة من حيث البنية والأواخر .

أنت لا تستطيع أن تقول : إن الاستعارة أو التشبيه إذا ورد أحدهما في كلام جعله أفصح من كلام يخلو منه ومن وجوه البيان الأخرى . ولا **تستطيع أن تقول : إن كل كلام ورد فيه تشبيه كان بليغاً .**

لأن التشبيه ـ على إطلاقه ـ يجعل الكلام بليغاً (وإن قال بعض القدامى ذلك خطأ)[٢] لأن **البلاغة شيء « موضعي خصوصي » وليست شيئاً عاماً نظرياً** ، فقد يكون بيت من الشعر بليغاً وهو خال من المجازات (الاستعارة أو الكناية أو التشبيه) ، ويكون آخر غير بليغ وهو مثقل بالمجاز . فمن أروع القول وأعمقه في النظر إلى الدنيا وعدم دوامها مع خلوه من المجاز قول لبيد في مرثيته لأخيه :

بلينا وما تبلى النجوم الطوالع
وتبقى الجبال بعدنا والمصانع

وقول **أبي العلاء المعري** في مطلع رثائه لأحد شيوخه :

غيرُ مُجْدٍ في ملّتي واعتقادي
نَوْحُ بالٍ ولا ترنُّمُ شادي
وشبيهٌ صوتُ النَعِيِّ إذا قيسَ
بصوتِ البشيرِ في كلِّ نادي

ومن القول الموشح بالمجاز ما جاء بليغاً ومنه ما أساء له المجاز فوضعه موضع السخرية كما في بيتي أبي فراس الحمداني وابن الرومي ، يقول **أبو فراس :**

سيذكرني قومي إذا جدَّ جدُّهُمْ
وفي الليلة الظلماءِ يُفْتَقَدُ البَدْرُ

ويقول **ابن الرومي :**

قد يَشيبُ الفتى وليس عجيباً
أن ترى النَّوْرَ في القضيبِ الرَّطيبِ

فأبو فراس شبّه افتقاد قومه له عندما يَجِدّ الجدّ بافتقاد الناس للبدر عندما تستحكم الظلماء . وابن الرومي شبّه الشيب في شعر رأسه ولحيته


علي الجارم


المازني

بمنظر النور المتفتح في خضرة العشب ، فكلا التشبيهين من الوجهة الاصطلاحية تشبيه « **ضمني** » ، بَيْدَ أن الفرق واسع بينهما من الوجهة البلاغية . لأن الأول تشبيه مستقيم ينسجم طرفاه . فأبو فراس أراد أن يفخر بنفسه فكان معقولا وجميلاً أن يقارن بين نفسه وبين البدر ، وأن يجعل لنفسه من الأهمية بين قومه ما للبدر من أهمية عند السارين في الليلة الظلماء . أما ابن الرومي فقد أراد أن يحتجّ لتبكير الشيب في رأسه ولحيته بتنوّر الزهور على طراوتها ، فوضع نفسه موضع السخرية . . لماذا ؟ لأن الشيب في الشباب أمر غريب شاذ ، أما النَّوْرُ في الزهور فهو الأمر المألوف . . فقياس الغريب الشاذ على المألوف أدعى إلى السخرية والتنطع منه إلى التمكين ، لأنه قياس يأباه المنطق . إن النَّوْرَ جمال للزهر حقاً ، ولكن الشيب ليس جمالا للشباب أبداً .

هذان تشبيهان ، أحدهما زاد التعبير جمالا كما رأيت والآخر أفسد التعبير .

البلاغة في العصر الحديث

مما يدعو للأسف أن البلاغة في العصر الحديث سارت في المدارس على الأقل على غرار بلاغة عصور الانحطاط ، فقد جاء الأستاذان **علي الجارم ومصطفى أمين** . . فقرءا مما قرءا من البلاغة القديمة كتاب « **مفتاح العلوم** » **للسكاكي ، وكتاب** « **الإيضاح** » **للقزويني** الذي كان إعادة تبويب لكتاب « المفتاح » . . فنسجا على منوالهما بعد أن أضافا ثلاث إضافات :

★ **الأولى :** دقة تبويب وترتيب فاقت ما في الكتابين القديمين .

★ **الثانية :** أكثرا من الأمثلة البليغة كتدريبات على القاعدة البلاغية ، ولكن دون تحليل . . أي مع ترك الجانب المهم في الدراسة البلاغية الذي قامت عليه البلاغة الجيدة على أيدي أدباء . . أمثال **الآمدي والجرجاني** .

★ **الثالثة :** زيادة تفصيل في مجال علم البيان كما في أنواع التشبيه ، فقد سمّى بعض القدامى التشبيه « **المركب** » تشبيهاً « **تمثيلياً** » وسمّاه آخرون « **ضمنياً** » فجاء الجارم وزميله وجعلاه نوعين متمايزين لكل منهما تعريف خاص هما **التشبيه** « **التمثيلي** » **والتشبيه** « **الضمني** » فزادا الأمر تعقيداً . . لأن الإكثار من المصطلحات في مجال البلاغة ظاهرة مرضية . . لا ظاهرة صحية .

التأليف في المدارس

ومما يدعو للأسف مرة ثانية أن الذين ألّفوا في البلاغة للمدارس الثانوية . . . قد ساروا على نهج الجارم في كتابه « **البلاغة الواضحة** » ، بل اعتمدوا على هذا الكتاب ، هناك من يأخذه بعد اختصار أمثلته أو إضافة بعض الأمثلة الجديدة ، ومن يأخذه بعد حذف التطبيقات وصياغة المعاني بعبارته . . . لكن المنهج ظلّ واحداً . لم يكلّف أحد المؤلفين نفسه بالعودة إلى بلاغة الآمدي والجرجاني والاستفادة منها ، بل وقفا عند الجارم لسهولته وقرب مأتاه . . . مما جعل البلاغة في المدارس تصاب بعقم شديد ، فتتحوّل إلى مجرد إحصاء لألوان البديع والبيان دون التفات لما في هذه الألوان ، كل في موضعه ، من جمال يرتفع بالتعبير أو قبح ينزل به .

أمثلة من الواقع

في إحدى زياراتي للمدارس حضرت حصة عند معلم يدرس مع طلابه قصيدة **لجرير** في هجاء **الفرزدق** . . فبعد أن انتهى المعلم والطلاب من شرح الأبيات قال المعلم : الآن ننظر في الصور البيانية التي في القصيدة ، ثم قام بتسجيل الأبيات التي فيها استعارات والأخرى التي فيها تشابيه على اللوح ، دالا على نوع الاستعارة أو التشبيه ولم يزد . فسألته بعد انتهاء الحصة :

ماذا تظن الطلاب قد استفادوا من هذه الإحصائية للاستعارات والتشبيهات ؟ أتظن أن معرفة الصورة البيانية لذاتها هو المهم أم أن المهم هو معرفة أثر الصورة البيانية في النص أو المعنى ؟ .

وبعد النقاش والتوضيح أدرك المعلم ما في طريقته من الخطأ .

وفي مناسبة أخرى حضرت حصة عند معلمة فقرأ طالباتها نثر **المازني** في رثاء ابنته الصغيرة ، وعند النقاش انكمش الجمال الذي في النص ، على وفرته ، إلى إحصاء للألفاظ التي دلت على اللون والصوت والحركة ، كأننا

إذا قلنا : أحمر ، يُغنّي ، يجري . . نكون قد أتينا بأدب رفيع . أي كأن اللون والصوت والحركة كيفما وقعت في النص تؤدي إلى إسباغ الجمال عليه . كأن الجمال ليس شيئاً موضعياً يتحدد بعلاقة الصوت أو اللون أو الحركة بموضعه من الكلام وبعلاقته بما يجاوره من معان وألفاظ ، وبعلاقته بجو النص العام كذلك .

لم يكن ذلك ضعفاً في المعلم أو المعلمة وإنما هو ضعف في نهج التأليف الذي لا يعترف في البلاغة إلا بالإحصاء ورسم القواعد وتعريفها وضرب الأمثلة عليها دونما التفات إلى التحليل الذي يبرز ألوان الجمال ويكشف ضروب القبح ، فينمي الذوق ويرهف الإحساس وينضج الملكة .

التأليف خارج المدارس

أما خارج الإطار الأكاديمي فلم يعد الدارسون يهتمون بالمصطلحات القديمة ، بل أخذوا يستعملون تسميات أخرى ليبتعدوا عن التفصيلات الكثيرة المعروفة في البلاغة القديمة وبلاغة الجارم التي تفسد الذوق وتشوّه الموهبة . فأخذوا يرددون ألفاظاً أمثال المشهد والمنظر ، والصورة والتجسيم والتشخيص ، أو أخذوا يعمدون إلى مباحث نقدية مثل وحدة القصيدة والرمز والأسطورة وما تقود إليه من دلالات .

ولكن بعضهم انحرف عن خط الاعتدال وأخذ ينظر إلى ما يقوم عليه هيكل النص من رمز أو أسطورة ، **متناسياً قوة السبك ومتانة الحبك والروح الشعرية** . . هذه الأمور التي يفقد النص قيمته إذا خلا منها . لقد أخذ هؤلاء ينظرون إلى الشكل دون عناية بوَصْلِهِ بموضوعه ومدى تأثيره في الموضوع فكانوا يشبهون متأخري القدامى الذين نظروا إلى الصورة الاصطلاحية دون الالتفات إلى تأثيرها على المعنى إيجاباً أو سلباً .

وأخيراً

وأخيراً . . . لا أرى بأساً أن تُدْرَسَ المصطلحات البلاغية الكبيرة وأن تستخدم في النقد ، دون الخوض في التفصيلات ، فَيُعْرَفُ التشبيه من الاستعارة من الكناية دون الخوض في التفصيلات أو استخدامها ، وتعرف المصطلحات الرئيسية في علم البديع التي لا تزيد على عشرة دون الذهاب مع التشقيقات التي اقتنصها علماء البديع حتى بلغت عند بعضهم مئة وخمسين نوعاً .

وأهم من ذلك . . أن ننظر إلى النصوص نظرة داخلية ذاتية ، باعتبار النص وحدة مستقلة لا يحكم عليه من خارجه وإنما يحكم عليه من داخله . ولا تُسْقَطُ عليه المصطلحات من أجل الإحصاء ، وإنما تستثمر في سبيل ما يكشف عمّا فيه من جمال ، فنلجأ إلى التحليل والتعليل وإلى وضع يد القارئ على مظهر الجمال ، ولو لم نطلق عليه اسماً ما . لأن هذا الأسلوب هو الذي يبصّر القارئ بالفرق بين النص الجيد والنص الرديء . . بل ـ بشكل أخصّ ـ بين التعبير الجيد والتعبير الرديء ، وهو الذي ينضج الموهبة ويربي الذوق ويصل القارئ إلى المتعة بالمقروء .

المصادر والمراجع

(١) البيان والتبيين : للجاحظ .
(٢) البديع : لابن المعتز .
(٣) كتاب الصناعتين : لأبي هلال العسكري .
(٤) الموازنة بين الطائيين : للآمدي .
(٥) الوساطة بين المتنبي وخصومه : للقاضي الجرجاني .
(٦) دلائل الإعجاز : لعبد القاهر الجرجاني .
(٧) أسرار البلاغة : لعبد القاهر الجرجاني .
(٨) العمدة : لابن رشيق .
(٩) المثل السائر : لابن الأثير .
(١٠) المفتاح : للسكاكي .
(١١) الإيضاح : للخطيب القزويني .
(١٢) البلاغة الواضحة : لعلي الجارم ومصطفى أمين .
(١٣) البلاغة ، تطور وتاريخ : لشوقي ضيف .

الهوامش

(١) سورة النحل ، الآية ١٠٣ .

(٢) قال الخطيب القزويني في كتابه « الإيضاح » ، طبعة مكتبة محمد علي صبح وأولاده ١٩٧١م ، في الصفحة ١٨٩ :

(تنبيه : أطبق البلغاء أن المجاز أبلغ من الحقيقة ، وأن الاستعارة أبلغ من التصريح ، وأن التمثيل على سبيل الاستعارة أبلغ من التمثيل لا على سبيل الاستعارة ، وأن الكناية أبلغ من الإفصاح بالذكر) .

وليس لهذا الكلام أساس من الصحة عندما نطبقه على فنون القول كما أوضحنا في متن المقالة ، فرب كلام مغسول من وجوه علم البيان كان أفصح من كلام غص بألوان البيان . والقرآن الكريم معجز ، ومع ذلك فأنت واجد آيات كثيرة خالية من ألوان علم البيان .

قصة قصيرة

فكرة الدكتور عمر

بقلم: إحسان كمال

سيدتي مـريضـة اليـوم.. وملازمة للفراش..

قـالت أصغـر القـادمتين: ثاني؟!..

وانبرت أمهـا ـ حماة المريضـة ـ مصححة: **بل قولي عاشر.. إنني لا أذكر أننا قـدمنا لزيارتها يـومًا.. إلا وجدناها مريضة وملازمة الفراش!**

ـ حقا.. كم أتألم من أجلها، في شرخ شبـابها ودائما صحتهـا متوعكة!..

ردّت الأم متهكمـة: **أما أنـا فما أشـد ألمي.. بـل حسرتي.. ولكن ليس عليهـا بل على ابني فؤاد وحظـه التعس، انتظـري.. دقائق ويحضر، وبـدلا مـن أن يجد المائدة معـدة.. وحجرة نـومه مرتبـة.. إذا به يهرول ـ المسكين ـ وهو بعـد في شـدة التعب والإرهـاق عقب يـوم عمل شـاق.. يهرول ليحضر لها الدواء والغداء وهو يهتف «كيف حـالك الآن يـا نوال يـا حبيبتي؟.. أرجو أن تكـوني أحسن ولـو قليلا عما تـركتك في الصبـاح، طمئنيني هل...»**

قطع حديثهما مفتاح **فؤاد** يدور في قفل البـاب، دخـل مهـرولا فلم يلحظ وجـود أمه وشقيقتـه.. أسرع إلى حجرة زوجته وهو يهتف:

ـ كيف حـالك الآن يا نـوال يـا حبيبتي؟.. أرجو أن تكـوني أحسن ولـو قليلا عما تـركتك في الصبـاح، طمئنيني.. هل أفطـرت؟.. وهل أخذت الدواء بعد الإفطار؟.. وهل اختبرت درجة الحرارة؟..

تبـادلت الضيفتـان في ركن الصالة النظرات.. فـانفجرت الابنة في ضحكة خافية.. في حين وضعت الأم يـدهـا على خـدهـا وهي تتنهـد تنهيدة طويلة..

بعد حوالى السـاعة استطاع **فؤاد** الانتهـاء من خدمـة المريضة وتلبيـة مطـالبهـا.. ثم جلس مع أمـه وشقيقتـه ليتنـاول وإيـاهما طعـام الغداء، وكان لا بـد أن يفعلوا ذلك بسرعة قبل توافـد الزائرين، شقيقتيه وزوجيهما.. شقيقـه الأكبر وزوجته.. ابن عمه وابن خالته و و الخ الخ، باقي أفراد الأسرة جميعا..



ما كـادوا يعلمون بمـرض نوال حتى تـوافـدوا ـ كما يفعلـون في كل مـرة ـ زرافات..

أخيرا انصرف السـائلـون المجـاملـون، ولم يبق سوى والـدتـه وشقيقته الصغرى اللتين همّتا بدورها بالانصراف، قال لهما فؤاد:

ـ سامحيني يـا أمي فإنني متعب غايـة التعب.. لذلك فلن أستطيع توصيلكما

ـ وهل كان يرضيني أن تفعل؟، إنك يـا حبّـة عيني تكـاد تقع من طولك.. من فرط الإرهاق!..

ووجدتها فـرصة فأردفـت: نوال تمرض كثيرا!..

رد بتأثـر بـالـغ: نعم.. مسكينة...

ـ بل أنت المسكين، وفي رأيي أنك ينبغي أن تفعل شيئا إيجابيا؟..

نظـر إليهـا مشـدوهًـا ثم سألها بحدة: **ماذا تعنين؟!..**

نـدمت على مسبق لسـانها... إنها لا تريـد إغضابـه قط، كفـاه ما يعاني.. في عملـه وفي منزلـه أيضًا، قلب الأم.. زائد اعتبـارات أخـرى عديدة، استدركت:

ـ أعني الطبيب الـذي يعالجها، استبدل به طبيبًا كبيرًا مشهورًا أفضل منـه، أو أحضر لها كـونسلتـو.. أو...

قاطعها وهو يقبلها بامتنان: **كل ذلك لم يغب عني، عمـوما لا تشغلي بالك.. كل شيء ـ قريبا إن شاء الله ـ سيكون على ما يرام..**

فعـلا لم يكن **فؤاد** ـ من هـذه الناحية ـ في حاجة لتوصية، استشار أغلب أطباء مصر المشهورين، وكلما حدثـه صديق أو عميل عن بـراعـة طبيب.. بـادر يستـدعيـه، أجـرى كافة الفحوص والتحاليل والأشعات التي طلبوها، رغم ذلك ظلت الآلام القـاسية تهاجمهـا بين الحين والحين، آلام فظيعة في الصـدر ومنطقة البطن بأكملهـا، لذلـك فرغم تلهفـه على رؤيـة فلذة لـه.. كان يـؤجل ذلك شهـرًا بعـد شهـر حتى تشفى نـوال تمامًـا، ولكن.. لا تكـاد الآلام تغـادرهـا حتى تعـاودهـا بعـد أيـام قـلائل، وفي ذلك كان يتحـدث مع

قصة قصيرة

فكرة الدكتور عمر

عمر، لم يكن عمر طبيب الأسرة فحسب.. لكنه كان صديق العمر بالنسبة له، تزاملا منذ بداية الدراسة الابتدائية وحتى نهاية المرحلة الثانوية. عندما حدث لسوء حظ **فؤاد** أن توفي والده في تلك الفترة، وكانت صدمة قاسية أثرت في تركيزه فلم يحصل على المجموع الذي يتيح له دخول كلية الطب مع **عمر**، ومن ناحية أخرى لم يكن باستطاعة الأسرة - بمعاشها الصغير - أن تنفق عليه في هذه الكلية المكلفة، بل إن والدته خبطت كفًا حين أخبرها عن رغبته في الالتحاق بكلية التجارة وهتفت:

- عندما حصل شقيقك الأكبر على الثانوية العامة ألح عليه والدك - وكان باستطاعته ذلك - أن يلتحق بالجامعة، لكنه رفض كل نصح وإلحاح، قال إنه يكره المذاكرة التي عقّدته حتى لقد أقسم ألا يفتح كتابًا قط بعد التوجيهية، وعندما أطلب منك الآن أن تعمل بالثانوية العامة نظرا لظروفنا.. تصر على دخول الجامعة؟!..

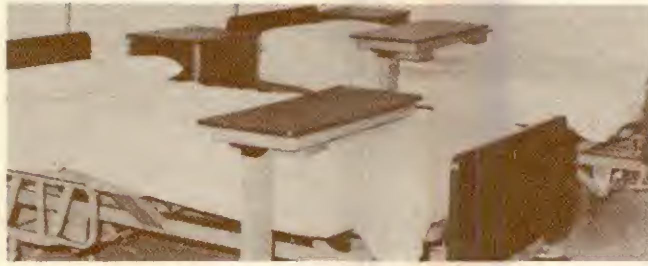
لكن الدراسة كانت بالنسبة **لفؤاد** مسألة حياة أو موت، صمم على رغبته حتى إنه عمل بعد الظهر كي يواجه نفقات تعليمه، كان موفقا جدًا في دراسته ثم في عمله بعد التخرج، عمل في عدة شركات.. وكان ينتقل من نجاح إلى نجاح حتى أخذ الجميع يتحدثون عن براعته وكفاءته وإنجازاته، وكالصاروخ راح يرقى سلم الدرجات والدبلومات.. حتى حصل على إجازة الدكتوراه، وأصبح رئيس مجلس إدارة شركته وهو بعد في الخامسة والثلاثين:، شيء لم يحدث لأحد قبله قط.

الحق أنه كان خليقًا بما حباه الله به من مركز مرموق ومرتب ضخم، فقد كان كريمًا خيّرا يصل الرحم، حتى إنه وضع كل دخله وإمكاناته في خدمة أسرته.. من أقرب فرد فيها حتى أبعد فرد، لم يبخل على أحد منهم قط بأية معاونة.. مالية كانت أو غيرها، ما من أحد خاطبه في إشكال في عمله إلاّ وسعى لحله.. نقل أو تعيين أو حق استعصى على صاحبه.. ظلم وقع على أحد، كان الجميع يلجؤون إليه، معتمدين على منصبه الكبير الذي كان يتيح له صوتًا مسموعًا.. وهو لم يكن يردّ لأحد طلبًا.

وكانت أمه تحلم بأن يصاهر أسرة عريقة تناسب مكانته المرموقة.. لكنه خيب أملها حين تزوج **نوال**، ابنة أسرة أكثر تواضعًا من أسرته، لكنه الإعجاب الذي ملأ قلبه وعقله وكيانه ووجدانه هو الذي جعله يختارها، وهو الذي جعله أيضا يرفض أي مناقشة من أحد - حتى أمه - في اختيارها!..

لكن السعادة لم تدم طويلا.. بدأت الأمراض والأوجاع تحاصرها من كل جانب، وبذل كل ما باستطاعته.. وما باستطاعة الطب أيضا.. عبثا!، لذلك كان حديثه في ذلك اليوم مع صديقه **الدكتور عمر** عن عدم جدوى العلاج في مصر:

- إنني أفكر جديا في اصطحابها للخارج، الأجهزة والمعدات الحديثة التي تساعد على دقة التشخيص



ووضوحه متوافرة هناك..

- **لكنني أرى - بعد اطلاعي على نتائج التحاليل وتقارير الأطباء الكبار - أن حيرتهم ليس منشؤها عدم تمكنهم من تشخيص مرضها.. ولكن لعدم وجود أية أعراض أو أي شيء يدل على أي مرض!..**

- هل لا يجدون شيئا يمكن أن يسبب الآلام.. لكن الآلام موجودة.. وهذا أمر يجنّن!

- **اسمع.. هل يكون مرضها نفسانيا؟..**

- كيف بالله عليك؟، أم تراك تؤيد كلام عمتي التي اقترحت عليّ أن أعمل لها زارًا؟!..

- تخطئ كثيرا يا فؤاد بالتقليل من شأن العلل النفسية، لقد قرأت عن حالة زوجة كانت تكره زوجها.. بل ترفضه تماما، فأصدر عقلها الباطن أمرًا لأعضاء جسمها بالشعور بالآلام والأوجاع.. عن طريق الإيحاء.. هروبًا من حياة ترفضها، هل أنت واثق من أن نوال تزوجتك بكامل رضاها؟

قال **فؤاد** برقة وكأنه يحلم: بل وبكامل سعادتها، إنه لا يوجد ما هو أكبر من إعجابي بها سوى إعجابها بي، وفي الفترات القليلة التي تذهب عنها الأوجاع فإنها تشملني بسخاء عطائها وتدفق عواطفها..

رغم هذا التأكيد قرر **الدكتور عمر** التغلغل بثاقب بصيرته في أعماق نوال.. ليستشف الحقيقة التي ربما لم تغب عن فؤاد وحده.. بل قد تكون غابت عن **نوال** نفسها، ساعده على ذلك كثرة قراءاته في التحليل النفسي، تأكد فعلاً من إعجاب نوال بفؤاد.. لكنه توصل إلى أشياء أخرى ربما تصل بها إلى نفس النتيجة، عرف أن **نوال** تربت - بعد وفاة أمها - مع أب لا يعرف ألف باء الأبوة.. لا من حيث واجباتها ولا حتى مشاعرها، الأمر الذي دفع شقيقها الوحيد إلى الهجرة من البلد كلها. حيث استقر نهائيا في إحدى البلاد العربية، وهكذا لم يعد لنوال سوى هذا الأب.. الذي يعود كل ليلة إلى منزله في الهزيع الأخير من الليل وهو يكاد يكون في غير وعيه، حتى إنه كان من الاستحالة عليه أن يعلم عنها شيئا، هل أكلت؟.. هل استذكرت دروسها؟.. هل تحتاج لشيء؟.. هل هي بصحة جيدة؟، بل هل ما زالت على قيد الحياة؟!، وهكذا لم تنشأ محرومة من الحنان فحسب..

بل حتى من الشعور بوجودها من جانب أي إنسان، لاحظ عمر أيضا أنها في شدة مرضها وآلامها تسأل عمن حضر للسؤال عنها وعمن تحدث بالتليفون، وتبدي في ذلك اهتمامًا يصل حد اللهفة الشديد،

ودهش عندما وجد أنه ما إن تبدأ نوال الشكوى من معاودة آلامها.. حتى يبدأ توافر الزائرين.. وأغلبهم من أسرة فؤاد.. حتى إنه سأل في ذلك شقيقه الأكبر:

ـ من تكرار النوبات تأكد لنا عدم خطورتها.. فلماذا الإصرار على حضوركم في كل مرة؟!..

ـ فؤاد جمائله وأفضاله على الكل، هو نوّارة أسرتنا.. ونوال نوّارة حياته، وكل من يحبه حبا حقيقيا.. أو يبغي رد جزء من جمائله عليه.. أو يعبر عن امتنانه له.. أو حتى يريد أن يتملقه من أجل خدمة يريدها منه.. فإن المصب الوحيد لكل ذلك هو السؤال عن زوجته وعيادتها في مرضها!..

عند ذلك خطرت لعمر فكرة أسرع بها إلى فؤاد:

ــ لماذا لا يكون حرمانها من الحنان والاهتمام من جانب أبيها هو الذي جعلها تتلهف على إرواء ذلك الظمأ الشديد عن طريق...

قاطعه محتدا: تقصد أنها تفتعل هذه النوبات؟!، كيف وقد شاهدتها بنفسك وتقلصات الألم المبرّح محفورة على وجهها الذي غطته حبات العرق الغزير، عدا حالة القيء العنيفة التي تصاحب النوبة؟

ـ إطلاقا يا فؤاد، لم أقصد إلى ما تبادر لذهنك، وإنما قصدت أن عقلها الباطن هو الذي يريد أن يستزيد من تلك الآلام كي تستزيد هي من مشاعر الرعاية والاهتمام.. ومن ثم يوحي لها بالآلام التي تحس بها وتعانيها فعلا!..

ـ هذا شيء بعيد التصديق، ربما كان محتملا في أفلام السينما.. لكن في الواقع؟!..

ــ صدقني هذا علميا جائز، عموما لماذا لا نجرب؟، وكل المطلوب منك أن توصي أفراد أسرتك بالتخفيف ـ تدريجيا حتى لا نسيء إلى نفسيتها أكثر ـ التخفيف من زيارتهم للسؤال عنها..

ــ وبماذا أبرر لهم هذا المطلب الغريب؟، لا أظنك تريد مني أن أكشف نوال أمامهم بشرح ما عانته في طفولتها، لا سيما وأن أغلب الأقرباء ــ والقريبات على وجه الخصوص ــ حاصلون على الحد الأدنى من الثقافة والتعليم، وسينقسم من يسمع بذلك إلى فريقين.. فريق سيتهمها بأنها تمثل المرض.. وفريق آخر سيظن بعقلها الظنون!..

ـ لم أقل ذلك على الإطلاق، فقط أقترح عليك ألا تبلغ أحدا من أسرتك بمرضها عندما تصيبها الأزمات القادمة، أيضا نبه على الخادمة بذلك في ردودها على الأقارب بالتليفون.. بحجة أن الطبيب لا يود إزعاجها بالزيارات، أنت أيضا.. حاول أن تخفف كثيرا من لهفتك إزاء مرضها..

ــ ولو أنني غير مقتنع تماما إلا أنني لا أجد أمامي الآن ـ ولو مؤقتا ـ سوى قشتك هذه.. ولذلك سأتعلق بها، آسف.. سأجربها وأمري إلى الله!..

لكن التجربة فشلت فشلا ذريعا في أول أزمة، عندما اتصل زوج شقيقة **فؤاد الكبرى في ذلك اليوم تلفونيا.. لم تكن الخادمة هي التي ردت عليه، وإنما** نوال نفسها، وما أسرع مادق التليفون في عشرة بيوت ومكاتب ـ على الأقل ـ لتبليغ الأمر الجلل.. الذي توافدت على إثره جموع الزائرين، من ناحية أخرى، ما كان **فؤاد** يعلم حتى أجّل اجتماع مجلس الإدارة وذهب إليها.. تسبقه لهفته المعهودة، قال **لعمر** معتذرا:

ـ لم أستطع.. ما طلبته كان فوق طاقة قدرتي، ربما في المرة القادمة!..

لكن فجأة حدث أمر لم يكن أحد ليتوقعه قط، **وكيل وزارة** جاء حديثا، أعطى ضميره إجازة.. عندما خطر له أن يقصي عددًا من رؤساء مجالس الشركات، ليضع بعض أذنابه بدلا منهم، وكان **فؤاد** واحدا من ضحاياه.. أقصاه عن



منصبه بعد أن وجه إله عددًا من التهم التي تمس الشرف والنزاهة!..

وكانت صدمته مروعة، بعد كل ما بذل في سبيل شركته التي تسلمها خاسرة ومدينة.. فإذا بها بعد أعوام ـ بفضل كفاءته الفذة وإخلاصه العظيم ومجهوداته الجبارة ــ تصبح أكبر شركة في الشرق كله.. لتصل أرباحها للملايين، وبدلا من تلقي الشكر والتقدير والثناء يتلقى هذه اللطمة، بلغ من شدتها أن أفقدته توازنه حتى ظل أسبوعًا كاملاً يدور حول نفسه.. غير مستطيع أن يعي تمامًا ما حدث، وعندما وعاه سقط مصابا بأزمة قلبية حادة..

كان حالته ــ بسبب خطورتها الشديدة ـ تحتاج لمجهودات كبيرة وعناية فائقة في تمريضه، لذلك اقترح طبيبه الاستعانة بممرضة متخصصة.. لكن **نوال** صممت أنه لن يمرضه سواها، كان ممنوعًا من الحركة تماما.. حتى لو كانت مجرد هش ذبابة سخيفة، فقامت **نوال** له بكل شيء.. كل شيء، تطعمه وتسقيه وتقدم الدواء في مواعيده.. ترطب وجهه بالكولونيا.. تقرأ له الصحف.. الخ الخ، يوما تنبه **فؤاد** للجهد الخرافي الذي تبذله فهتف بها:

ـ لقد خسرت كل شيء ولم يعد لي سواك **يا نوال**.. فحذار من كل هذا المجهود الذي تقومين به حذار، إنني لا أريد أن أفقدك أيضا!..

ــ بل لا بد أن أفعل كل هذا وإلا.. فهل أنا التي أريد ــ لا قدر الله أبدا ـ أن أفقدك؟

بعد شهور تماثل فؤاد للشفاء،

www.ahlaltareekh.com

قصة قصيرة

فكرة الدكتور عمر

لكن فترة النقاهة أيضا كانت تحتاج جهدًا مضاعفًا، أكثر ما كان يخشاه **فؤاد** أن تعاود **نوال** أزمتها أثناء مرضه . . حيث لن يستطيع أن يرعاها كما اعتاد، أطباؤه المعالجون أيضا ـ وضمنهم **عمر** ـ كانوا يشاركونه نفس الخشية . . ربما بدرجة أكبر منه، خوفًا من تأثير قلقه من أجلها على حالة قلبه، لكن الذي أدهشها هي نفسها قبل أي شخص آخر . . أن الأزمة لم تعاودها أبدًا طوال فترة مرضه، حتى إنها لم تستطع أن تمنع نفسها من إظهار هذه الدهشة :

ـ بصراحة إنني أعذر والدتك تمامًا في ظنها الذي صارحت به جارتنا . . من أنني كنت اصطنع هذه النوبات، حيث قد انقطعت نهائيا في الوقت الذي لم أردها فيه!!، هل تعتقد أن الإرادة يمكن أن تصل لهذا؟! . .

وبدون تدبر حكى لها **فؤاد** عن فكرة الدكتور **عمر** . . فإذا بها تغضب وتردد ثائرة :

ـ دكتور **عمر** قال ذلك؟! . . دكتور **عمر** قال ذلك؟؟ إنني . . .

لم تستطع أن تكمل فانسحبت إلى غرفتها وأغلقت من خلفها الباب، لكنها بعد حوالى الساعة عادت إلى زوجها لتقول وقد ارتسمت على ثغرها ابتسامة رقيقة :

ـ تعرف يا**فؤاد** . . بعد أن فكرت قليلاً وجدت فكرة الدكتور **عمر** معقولة جدًا، بل أدعو الله أن تكون هي فعلاً الحقيقة . . حيث سمعت أن معرفة الشخص بأصل عقدته هي مفتاحه لحلها والخلاص منها . .

وتمر شهور أخرى وفرحة **فؤاد** بشفاء زوجته تخفف كثيرًا من مرارته للاتهام الظالم الذي ألصق به، لكن الظلم لا يستمر كثيرا والفساد لا يدوم طويلا، لا بد أن يرسل الله ـ من أبناء البلد نفسها ـ من يثور لتصحيحه . . وقد كان، بعدها تولي القضاء العادل التحقيق في جميع التظلمات . . فأعيد الشرفاء إلى مواقعهم معززين مكرمين، طبعا كان فؤاد في مقدمتهم، قالت له نوال بعد أن قبلته مهنئة :

ـ أعتقد أن من حقك أن تطالب بتعويض ورد شرف . .

ـ **لا داعي . . لقد أخذوا جزاءهم . .**

ـ لكن الاتهامات نشرت بالجرائد، وأخشى أن يكون بعضهم قد ظن بك الظنون .

ـ عودتي كذبت كل الظنون، عدا أن ما اقترفوه في حقي لم يكن شرا كله، أنسيت أنك بسببه قد شفيت من مرضك الذي احتار الأطباء فيه؟! .



أجمل الأوطان

شعر : نور الدين صمود ـ تونس

أجملُ الأوطانِ عندي موطني
بِسِوَى فتنتِهِ لم أُفْتَنِ
حُبُّهُ في الصحْوِ أو في الوَسَنِ
إنَّهُ في القلبِ طولَ الزَّمنِ

* * *

في رُبانا قد تفيّأنا الظّلالْ
وقطفنا من دواليها الغِلالْ
وافتتنّا في حِمانا بالجَمالْ
وبماضِي العزمِ حققنا المُحالْ

* * *

حُبُّنا للوطن الغالي قِلَادَه
وعلى أمجاده تحلو الشهاده
كُلّ مَن قد شاءَ أن يُعلي بِلاده
حققَ الأحلام فيها بالإراده

* * *

مثلما قد أنبتتْ أرضُ الجدودِ الشجرَا
وكما تَمنحنا أزهارَها والثَّمَرَا
أنبتنا الله من ثراها بَشَرًا
وغدتْ فخرًا لِجيلٍ بحماهُ افْتخرَا

* * *

الخيال العلمي



تأليف: جان جاتينيو ● إعداد وتقديم: محمود قاسم

القرن العشرون هو قرن العلم. والخيال العلميّ..

وليس من المغالاة أن نقول: إن أكبر مواجهة حدثت في هذا القرن كانت بين العلم والخيال العلمي، فقد انعكست ملامح هذه المواجهة في تغيير أشكال الحياة كافة في السلام والحرب ووسائل الاتصال والأيديولوجيات والسباق نحو اكتشاف الفضاء وأسرار المرض والصحة، وبناء المدن وتطور الفنون..

وقد بدت هذه المواجهة من خلال ذلك السباق الرهيب بين العلماء في مختبراتهم وبين الأدباء أمام أوراق إبداعهم، فكلّما تخيل كاتب الخيال العلمي إنجازاً يمكن للعلم أن يحققه خاصة في المستقبل القريب، فوجئ أن العلماء قد قدحوا أذهانهم وحققوه بدرجه تفوق حدود الخيال، مما جعل بعضهم يُغير من مصطلح «الخيال» إلى «الواقع العلمي»..



مدن الغد.. في الفضاء

ولذا فليس من المغالاة أن نقول: إننا نعيش في عصر أدب الخيال العلميّ، ونتيجة لأهمية هذا الأدب وضرورة تعرّفه فإننا نقدم كتابًا بالغ الأهمية صدرت طبعته الثالثة مع بداية عام ١٩٩٢م من تأليف الكاتب الفرنسي جان جاتينيو الذي يقوم بتدريس الأدب الإنجليزي في جامعة باريس.

وتجيء أهمية إلقاء الضوء على هذا الكتاب من خلال أنه عمل «تعريفي» فهو صادر في سلسلة «ماذا أعرف عن» بما يعني أن منهجه يدخل في الإطار التاريخي مع إلقاء الضوء على أبرز الروائيين الذين أسهموا في تقديم هذا النوع من الأدب، وعلى أبرز الروايات أيضًا.

يقول الكاتب في مقدمته: إن الخيال العلمي موجود فينا ويحوطنا خاصّة في الأدب. ولذا يجب دراسته وإنه لا يمكن الحديث عن وجودِ هذا العلم وتحديد كيانه دون أن نعترف بمكانة «العلم» في حياتنا.

تحدث الكاتب في الفصل الأول عن **«التاريخ»** قائلاً: إنه لمن النغمة الجميلة أن يتكلم المرء عن تاريخ الخيال العلمي، وأن يعطي للأجداد أهميتهم وليس هؤلاء الأقدمون بقريبين منا، فقد تحدث المؤرخ اليوناني **ايشيل** عن «الأشياء القادمة من أماكن أخرى» **أما أفلاطون** فقد تحدث عن **قارة أطلنطا** المفقودة وصحيح أن مثل هذه الأمور لم تخضع للعلم، لكنها كانت بدايات لوضع الأُسس.

بدت هذه الأسس في أول الأمر أشبه بأكاذيب على البشر أن يصدقوها. ولا شك أن الأكاذيب قد كبرت من خلال تصورات **توماس مور وفرانسيس بيكون للمدن الفاضلة، ثم ويليام موريس وصموئيل بطلر** في القرن التاسع عشر حيث آمن بأن المدن الفاضلة ليست أكذوبة بقدر ما هي واقع يبدأ من داخل الإنسان وسوف نرى أن أغلب أدباء الخيال العلمي، فيما بعد، قد صنعوا لأنفسهم مدنًا فاضلة تختلف عن المدن التي تخيلها الفلاسفة.

عالم شجاع جديد

لذا، لم يكن الفلاسفة أبدًا من صُنّاع الخيال العلمي، بل كان الأدباء. وعليه فإن كاتبًا مثل **سويفت** في كتابه عن **«رحلات جاليفر»** كان أكثر اقترابا من الخيال العلمي من الفلاسفة. وفي بدايات الخيال العلمي لا ينبغي تجاهل أعمال **الشاعر المعروف سيرانودي برجراك** مثل **« رحلة إلى القمر»** و**«تاريخ الدول»** و**«إمبراطوريات الشمس»**. لكن لا شك أن الثنائي **جول فيرن وهـ.ج. ويلز** سيظلان دوما العماد الأساسي في صناعة هذا النوع من الأدب. وقد جاءت أهمية كل منهما أن رواياتهما قد امتزجت بأجواء المغامرات فاكتسبت شعبية كبيرة كما اهتمت هذه الروايات بالجوانب السياسية

الخيال العلمي

والاجتماعية والفلسفية لإنسان القرن التاسع عشر بالإضافة إلى ما يمكن أن يحققه هذا الإنسان في مجال العلوم، وبالفعل فبينما كان كلاهما يتخيل أن أبطاله يصعدون بالفعل إلى القمر فإن علماء مثل **أديسون** كانوا يضعون التصميمات النهائية لإنارة مركبات الفضاء من الداخل قبل أن تصعد نحو القمر.

وروايات **جول فيرن** رحلات غريبة سافر أبطالها أول مرة عام ١٨٦٣ **«خمسة أسابيع في بالون»** ثم سافروا لمسافة ٢٠ ألف فرسخ تحت البحار وآلاف الأميال في **«رحلة إلى منتصف الأرض»**. وفي كل هذه المغامرات كان الإنسان يبحث دومًا عن مدينته الفاضلة. هذه المدينة تتمثل في رغبة كبيرة لدى المغامرين أن يحققوا عالمًا أفضل بكثير من عالمنا.

أما **ويلز** فهو أول من صنع البعد الرابع للأشياء باختراق أبطاله حاجز الزمن في رواية **«آلة الزمن»**، وكأنه بذلك يمهد لإينشتاين لوضع أسس نظريته في النسبية، فالبعد الرابع الآن هو الزمن وهو ليس وهميا بالمرة. وقد نجح ويلز في أن يعطي لرواياته بُعدًا فلسفيًا، فالبشر لا يخترقون الأماكن والأزمنة لأسباب مجانية. ولكن هناك واقع المعرفة وفهم الكون. وقد كان للزمن همّ كبير لدى **ويلز**. ليس فقط في روايته السابقة الذكر. ولكن أيضًا في روايته **«عندما يستيقظ النائم»** التي تصور فيها أن نائما يستيقظ بعد مائتي عام كي يشاهد العالم الجديد، وغير خفيّ أن ويلز قد استوحى هذه الرواية من قصة **«أهل الكهف»** لكن صاغها بأسلوب ممزوج بالخيال العلمي.

وحتى السنوات الأولى من القرن العشرين كانت ريادة الخيال العلمي للأوروبيين وحدهم. فمن إنجلترا برع **آرثر كونان دميل** وفي **الاتحاد السوفييتي «سابقا»** برز زمياتين، ثم مزج **الدوس هكسلي** بين الفلسفة والعلم في رواياته العديدة والتي من أبرزها **«عالم شجاع جديد»**.

الأديب الذي تنبأ بالقنبلة الذرية

ما لبث الخيال العلمي أن انتقل إلى **الولايات المتحدة**، كي يتلقفه الأمريكيون ويصدرونه إلى العالم مصبوغًا بالصبغة الأمريكية. ففي عام ١٩١٢م نشر **ادجار رايس بوروز** روايته **«تحت أقمار المريخ»** والتي تحكي قصة مغامر يسافر إلى كوكب المريخ. ومثلما فعل بوروز بأن أصدر مجموعة من الروايات عن شخصية طرزان، فإنه جعل من المغامر **جون كارتر** نموذجا لطرزان في الفضاء حيث ظهر في روايات عديدة منها **«سيد المريخ»** وما لبث أن

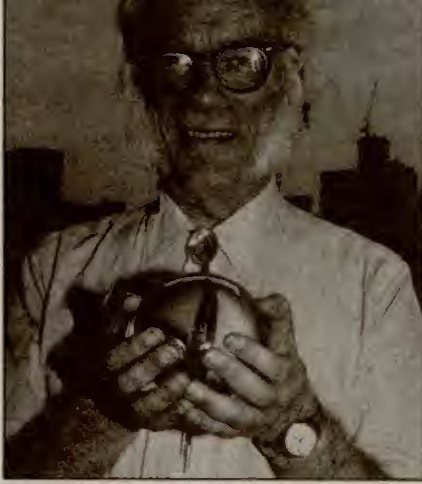


جول فيرن

العصر الذهبي لأدب الخيال العلمي بدأ بإنشاء مجلة "قصص الفضاء"..

تحولت إلى شخصية أكثر شعبية من خلال مجلات القصص المصورة.

وقد ظل الخيال العلمي يتخبط في بلاد عديدة لأكثر من عشرين عامًا، ظهرت فيها روايات عديدة تنتمي أغلبها إلى المغامرات، وقد ساعد هذا على تهميش هذا النوع من الأدب. فأصبح في منظور الناس أدبًا أقل أهمية. لكن العصر الذهبي بدأ من خلال إنشاء مجلة **«قصص الفضاء»** عام ١٩٣٠م، التي شهدت تغييرات عديدة تحت رئاسة **جون كامبل**. وتبنت جيلاً من الشباب أصبحوا هم قادة هذا النوع من الأدب، حاولوا أن يبعدوا عن الصبغة الهامشية مثل **إسحاق آزيموف وراي براد بوري وفان فوجت**.



إسحاق آزيموف

ساعد "آزيموف" في جعل هذا الأدب أكثر رسوخاً ومقروئية..



وآزيموف (١٩٢٠ ـــ ١٩٩٢م) كما جاء في كتاب جان جاتينيو قام بثورة حقيقية في عالم الخيال العلمي كنوع جديد في الأدب. فقد آمن بأنه تاريخ حقيقي للبشرية. كما جعله أدبا «محترما» يفخر الكاتب من خلاله أنه ينتمي إليه. وفي هذه المجلة التي كان **آزيموف** أحد أبرز رجالها أمكن للقارئ أن يطالع أفضل مختارات من الخيال العلمي، لذا فما إن بدأت سنوات الأربعينيات حتى كان الأدب قد عرف عصره الذهبي ورجاله المخلصين مما شجع على صدور عشرات المجلات المتخصصة في قصص المجرات والفنتازيا العلمية. وشجعت

ظروف الحرب العلماء على العطاء. والأدباء على الإبداع.

ففي عام ١٩٤٤م على سبيل المثال، نُشرت قصة قصيرة في إحدى هذه المجلات عن **قنبلة ذرية أمريكية** تستخدم كسلاح لحسم الحرب. وقد أثارت خصوبة خيال الكاتب كل من قرأ الأقصوصة، وكل من عرف أن قنبلتين ذريتين ألقيتا على مدينتين يابانيتين لحسم الحرب العالمية الثانية.

الخيال العلمي .. يتأمل

لم يعد الخيال العلمي أبدا مجرد «**خيال**» بقدر ما

وويلز متفائلا بما يمكن أن يحققه العلم للبشر من خيرات فإن الأدباء الذين ظهروا في القرن العشرين بدوا متشائمين، وذلك حين أكّدوا أن ويلات العلم أبشع من خيراته. وقد بدا ذلك واضحًا في المخاوف الشديدة من الانفجارات النووية والسكانية، وعلى سبيل المثال، فإن **الدوس هكسلي** الذي تنبأ بويلات الهندسة الوراثية بعد قرون عديدة من عصرنا لم يكن يعرف أن نهاية القرن العشرين ستشهد بدايات هذه المخاوف.

لذا فلم يعد الرحيل إلى الفضاء هو الوجه الوحيد للخيال العلمي، لكن قصص الخيال



هو تأمل للواقع والتنبؤ به. فبدأ الناس يتساءلون عن حقيقة وجود عوالم أخرى، وبشر آخرين، وبدأ الأدباء يصنعون للعلماء أسماء الأشياء التي يبتدعونها. فقد سبق للإنسان الآلي ـ الروبوت ـ أن ظهر في الأدب قبل أن يعرفه رجال المعامل، لذا فإن الأسئلة المطروحة هي حدود الخيال العلمي. فلا شك أن هناك حدودًا للخيالات، وإلاّ تحولت الأمور إلى شطحات إبداعية لا تنتمي إلى قدرات العلم في الحاضر والمستقبل. فهناك فرق كبير بين الأكاذيب والتخيلات.

وإذا كان الخيال العلمي قد بدأ على يدي فيرن

العلمي اهتمت كثيرًا بما يحدث فوق الأرض. ومن هنا بدأت الثورة الثانية للخيال العلمي على يدي **إسحاق آزيموف** في الستينيات، وقد تشكلت ملامح هذه الثورة من خلال اقتراب الخيال العلمي من مشكلات الواقع، ثم إيجاد شكل إبداعي جديد للخيال العلمي، لذا تقهقرت الموضوعات التقليدية في هذا النوع. وظهر نوع من الخيال التأملي على أيدي كُتّاب من طراز **جاك برجييه**، فبدلا من الاهتمام بالاكتشافات التقنية أصبح الأدب يتأمل مشاعر الإنسان من خلال علاقته بعصره العلمي، لذا فإن الكاتب الأمريكي **ج.ج بالارد** ـ مؤلف

رواية **إمبراطورية الشمس** ـ قد اعتبر شاعر الفضاء الداخلي، فهو أشبه **بيوذا** الذي اكتشف **نرفانا** الإنسان. كما اهتم هؤلاء الأدباء بتأمل وتعميق علاقة الإنسان بربه باعتبار أن الله سبحانه وتعالى هو خالق الكون.

فلسفة القرن العشرين في الخيال العلمي

لم يبرع **الأمريكيون** وحدهم في الخيال العلمي، فبالإضافة إلى الأسماء المعروفة في النصف الأول من القرن العشرين. فإن هناك أدباء لهم أهمية في **روسيا وفرنسا**. لكن أغلبهم لم يكن وفيا للخيال العلمي مثلما فعل **الأمريكيون** عدا بعض الأسماء القليلة، **ففي فرنسا**، على سبيل المثال، كتب بعضهم روايات عن الخيال العلمي، لكن جُلّ إبداعهم لم يكن في هذا النوع وحده، **فأندريه موروا** قد كتب رواية «**ثقل النفوس**» أقرب إلى الخيال العلمي. أما **رينيه بارجفيل** فقد أراد أن يضع فلسفته في الحياة في رواية فلم يجد سوى الخيال العلمي كمجال.

وقد حاول الكاتب **جان جاتينيو** أن يسرد أسماء بعض **الأدباء الفرنسيين** في مجال الخيال العلمي، فإذا أغلبهم مجهولون لم يتركوا خلفهم أثرًا يُذكر، بل إن الكتاب تعمد أن يتجاهل **اسما فرنسيا كبيرا** مثل **بيير بوول** صاحب رواية «**كوكب القرود**» لأنه بكل بساطة قد تعامل مع هوليوود، أما الفرنسي **روبيير ميرل** فلم يذكر بالمرة برغم أهميته وشهرته.

أما في **الاتحاد السوفييتي** «سابقًا» فإن **مشيكولوفسكي** هو أبرز كتّاب الخيال العلمي قبل ثورة أكتوبر ١٩١٧م ولعله سبق **ويلز** في أن يرحل أبطال رواياته عبر الزمن، أما أدباء ما بعد الثورة فقد خرجوا من جعبة **جول فيرن**. ويرى الكاتب أن الشيوعية قد خنقت كل الإبداع الحقيقي في الخيال العلمي، وكان القليلون منهم يحملون أفكارًا حقيقية في رواياتهم مثل **ا.ر. بيلا بيف**. إلاّ أن صحوةً ما قد عرفها **الأدباء السوفييت** عقب رحلة **جاجارين** حول الأرض. **ففي عام ١٩٦٠م ظهر** الأخوان **ستروجا تسكي**، وقد جاءت أهميتها من أنها عالمان يعملان في مجال الإبداع الأدبي ولا أعرف

الخيال العلمي

لماذا حاول جاتينيو أن يؤكد أنها وغيرهما قد حاولا أن يستلهما الموضوعات العلمية الأدبية الأمريكية.

وللأدب السياسيّ.. خيال

لا شكل أن اليوتوبيا أو المدينة الفاضلة كانت دوما نصب أعين أدباء الخيال العلمي. ولم يكن الرحيل إلى الفضاء على سبيل المثال سوى سفر فلسفي، وهذه الرحلات قد شغف بها الكاتب منذ زمن **حيّ بن يقظان وجزر الهوهان هان** التي سافر **إليها جاليفر**، وفي القرن التاسع عشر كان **«جزيرة آرون» لصموئيل بطلر** بمثابة **عالم فاضل** يذهب إليه الناس، لذا فإن الروايات الأولى من أدب الخيال العلمي التي كتبها **ويلز وفيرن** كانت بمثابة رحلات فضائية عبر الأزمنة والأمكنة من أجل الحياة في مجتمع أفضل. ولقد بدا هذا واضحًا في روايات **«آلة الزمن» و«حرب العوالم»**.

إلاّ أنه مع بداية القرن العشرين بدأ الأدباء يفقدون تفاؤلهم وظهر ما يسمى باليوتوبيا المضادة، فقد كتب **البريطاني أ.م فورستر** قصة يرد بها على **مواطنه ويلز** تحت عنوان **«الآلة تتوقف»** أكد فيها أن آلات الزمن تسلب البشر آدميتهم «لقد صنعنا الآلة كي نقتل إرادتنا. ولا يمكن لنا أن نطيعها كما تشاء».

أما الكاتب المسرحي **كارل تشابك** فقد أكد في مسرحيته «ر.ا.ر» أن الإنسان الآلي سوف يساعد على زيادة الإنتاج لكنه سيشكل عائقًا ملحوظًا دون عطاء البشر، وقد اتضحت مثل هذه الرؤية التحذيرية في أعمال عديدة للكاتب منها **«حروب السلامندر»** وغيرها، وفي الاتحاد السوفييتي -سابقا- حذر الكاتب زمياتين من سطوة الشمولية في روايته **«نحن الآخرون»** التي استوحى منها **جون أورويل** روايته **«١٩٨٤»**.

ويهمنا هنا أن نذكر أن الكتاب قد وقع في خطأ واضح، فروايات من هذا النوع لا تنتمي إلى الخيال العلمي بقدر انتمائها إلى الخيال السياسي، ففي رواية **«نحن الآخرون»** أمام شخصية **لينين** التي تسيطر على الحزب، وفي **«١٩٨٤»** أمام **ستالين** و**«الخيال العلمي»** هنا أقل بكثير من السياسي. ولعلّ هذا يثير النقاش حول الأنواع الأدبية النحتية التي ظهرت بعد ظهور الخيال العلمي.

في الخمسينيات ظهر اتجاه يسمى **بالمعاصرة المضادة** بدأ واضحًا عند رأي **براد بوري في روايته «فهرنهايت ٤٥١»** و في هذه الروايات دق جرس الإنذار واضحًا يحذّر من مخاطر ومثالب المعاصرة. فتطور التلفزيون سوف يساعد على سقوط إمبراطورية القراءة، وفي رواية **«الطلاب غدا» لكليفورد سيماك** يحذر من مخاطر التقنيات الحديثة على الفن التشكيلي الكلاسيكي. وفي رواية أخرى لبراد بوري **«الموشوم»** هناك تحذير أن الآلية سوف تقتل أجمل مشاعر البشر، **والموشوم** هو الشخص الذي لا يمكنه أن ينفصل بسهولة عن روابطه، لكن هناك آلات علمية حديثة يمكنها أن تزيل الوشم بكل سهولة.

ومن بين موضوعات الخيال العلمي البارزة هناك ظهور ما يسمى بالمجتمعات التقنية التي تصف مجتمعات مجاورة أكثر اختلافًا في الشكل والسلوك، ولا تلبث أن تحاول غزو المجتمعات التقليدية وتغييرها. وقد اتضح هذا في رواية **«الطابور السادس»** التي كتبها ر. هاينلين عام ١٩٤١، وفي هذه المجتمعات لا بد أن تكون الحكومات قوية ولديها رغبة أكيدة في السيطرة على المجتمعات المجاورة. ولعل مثل هذه الروايات أكثر قربًا من الواقع من روايات كثيرة.

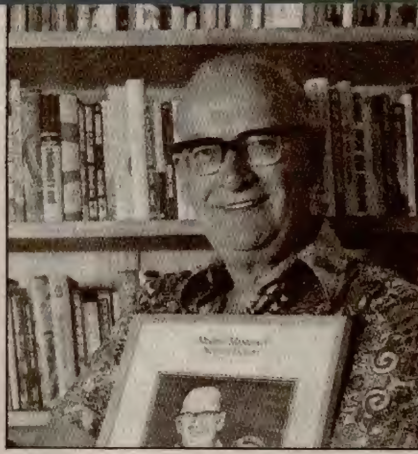
ومن بين الموضوعات تضاؤل قيمة الروحانيات

عالم الغد تخيله الكاتب.. ويحققه العالم



في مقابل الماديات، فالعلم يعني بالضرورة وجود محسوسات مادية ملموسة. وفي هذا العصر يبدو بالفعل كم أن القابض على دينه كالقابض على الجمر، ففي رواية «ألف مليار اسم» أكدآرثر كلارك أن الروابط الروحية في مجتمع الخيال العلمي أصبحت صعبة. وأن الإنسان لم يعد يأمل كثيرًا في مستقبله.

لذا لم يعد البشر وحدهم أبطال روايات الخيال العلمي، بل أصبح الروبوت والآلات الجامدة المتحركة شخصيات محسوسة تتكلم وتنطق وتتألم أيضا، وظهرت روايات عن الآلة المستأنسة التي عليها أن تخدم إرادة الإنسان وتطيعه وأن تحفظه من الشر. وبدا ذلك في رواية «أزمنة مهشمة» لجون ويندهام الذي أكد فيها أن الآليات لن تكون أبدًا كائنات مستأنسة مثل الحيوانات الأليفة، لذا فلا



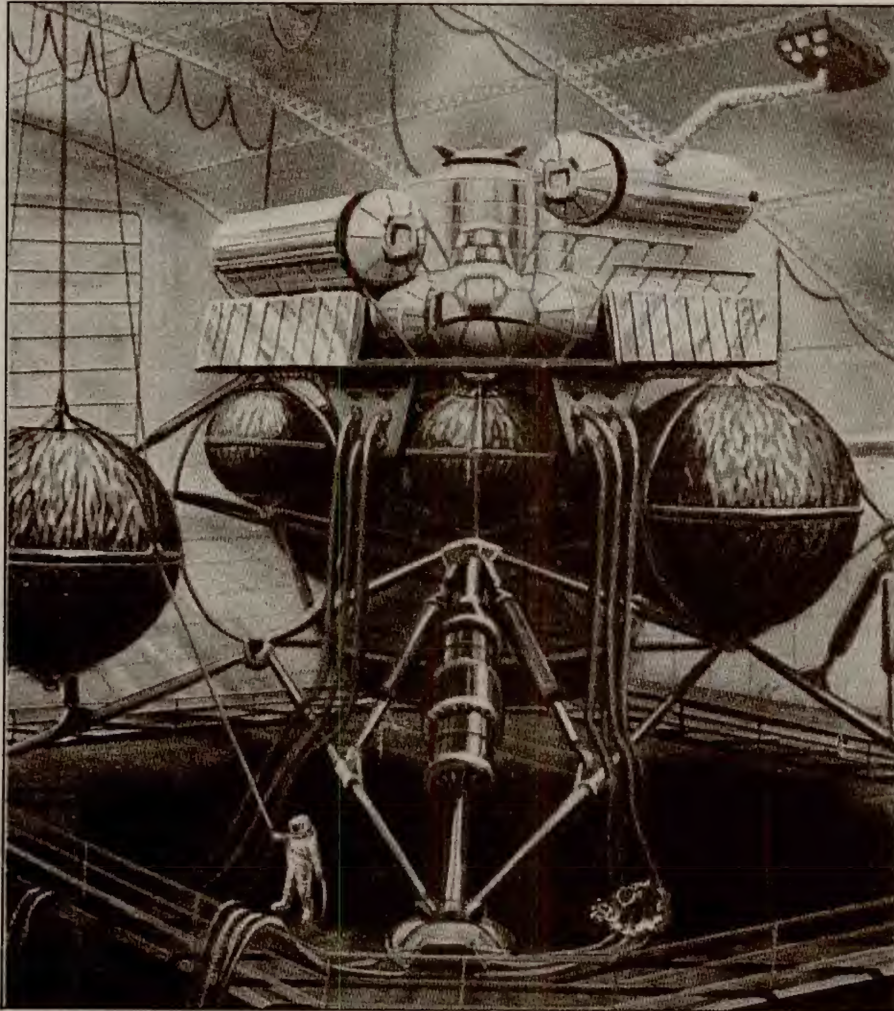
آرثر كلارك

الروابط الروحية في أدب الخيال العلمي أصبحت صعبة

يمكن للمرء أن يلاعب روبوته مثلما يداعب كلبه أو قطته. لكنّ هناك خطرًا أن الروبوت قد يحل مكان البشر. وقد اتضح ذلك في رواية «أنا روبوت» التي وضع فيها إسحاق آزيموف قوانين ثلاثة للإنسان الآلي، وبدت مشكلة الروبوت أمام البشر أشبه بمسألة علاقة هذا الأخير بالكون الذي وجد نفسه فيه.

لكن ماذا عن مستقبل أدب الخيال العلميّ ؟ لا شك أن جان جاتينيو قد رصد وحلل بعض معالم هذا الأدب في كتابه دون أن يحاول هو نفسه أن يرصد مستقبله. ويهمنا أن نؤكد أن القرن العشرين قد شهد سيادة لنوع الخيال العلمي، وكان هناك تسابق واضح بين العلماء والأدباء، فكلما تخيل الأدباء صيغة للحياة في المستقبل فوجئوا أن العلماء قد أسرعوا باختراعها وتحقيقها مما جعل إنسان القرن العشرين لا يعيش في «خيال» بل في «واقع» علمي.

الإنسان الآلي العملاق.. كما تخيله الفنان





أدب الطبيب

عند الكحّال صلاح الدين الحموي

بقلم : فاضل السباعي

اهتمّ العرب قديماً بالآداب التي ينبغي أن يتّصف بها أهل الفضْل والعلم والنباهة، كالقضاة والفلاسفة والأطبّاء . . . فألّفوا في ذلك الكتب وصنّفوا المصنّفات، فكان لهم : «أدب الطبيب» للرّهاوي، و«أدب القاضي» للإمام أبي حنيفة وآخر للإمام الشافعي وثالث للأنصاري المصري، و«أدب المُفتي والمستفتي» للشَّهْرَزُوري، و«أدب الدنيا والدين» للماوردي، و «أدب الكاتب» لابن قُتيبة وآخر للأنباري، و«آداب الفلاسفة» لحُنين بن إسحاق، و«آداب الحكماء» لابن عبدون الحاتمي، و«آداب السياسة» لابن الأثير، و«آداب الملوك» للسيوطي[1] . . .

ويمكننا التعريفُ بأدب الطبيب خاصة، بأنه **جملةٌ من الواجبات المهنية الأساسية، والتقاليد العلميّة والعمليّة، والخصال الأخلاقيّة التي ينبغي أن يتحلّى بها الطبيبُ في أثناء مزاولته صناعة الطبّ(٢) . . . وذلك فضلاً عن تحصيله العلوم والمعارف ابتداء؛ فالتأدّب لغةً، هو: التعلّم.**

ولعلّ أول ما أُفْرِد لهذا الأدب من الكتب، وأحسنَ ما صُنّف فيه، هو ذلك الكتابُ الذي ألّفه، في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، الطبيبُ إسحاق بن علي **الرّهاوي** في ديار بكر (شماليّ بلاد الشام)، وسمّاه : **«أدب الطبيب»** (٣)(*)

١ - أبُقراط، والمُحتَسِب :

ولو عدنا إلى عهود ما قبلَ الحضارة العربيّة الإسلامية، لرأينا أنّ أبقراط Hippocrates (في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد) - وهو الذي كان أولَ من أشاع تعليم صناعة الطبّ لِمَن يستحقّها من «الغرباء» [4]**، وسُمّي عند الإغريق بـ«أبي الطبّ» - قد نص في العهد الذي أوصي به وأُطلق عليه بعده «قسم أبقراط»** [5] **- على بعض الوصايا** التي تندرج في تقاليد الطبّ وآدابه، منها: تعهّد الطبيب، في ابتداء حياته العمليّة، أن يسعى إلى منفعة المرضى ويبتعد عن الإضرار بهم، ويتحلّى بالطهارة، والعفّة، والأنَفَة، ويكتُم أسرار مرضاه . . .[6].

وكان لا بدّ من أن تستمدّ كتبُ الحِسبة **العربيّة**، التي نظّمت شؤونًا من المجتمع الإسلامي، شيئًا من أدب الطبيب، **فَتَضُمّه إلى ما تشترط توافره في الأطبّاء لدى ممارستهم صناعة الطبّ.**

من ذلك ما نصّ عليه **الشَّيْزري** (من علماء القرن السادس الهجري/ ١٢ الميلادي)، في كتابه الشهير عن الحسبة، مُوجبًا على المحتسب :

* أن يأخذ على الأطبّاء الناشئة عهدَ أبقراط؛
* أن يُحلّفهم ألا يعطُوا أحدًا دواءً مضرًّا، ولا يُركبّوا له سُمًّا؛
* ولا يصفوا التمائم عند أحدٍ من العامّة؛
* ولا يذكُروا للنساء الدواء الذي يسقِط الأجنّة، ولا للرجل الدواء الذي يقطع النسل؛
* وليغضّوا أبصارهم عن المحارم عند دخولهم على المرضى؛
* ولا يفشوا الأسرار، ولا يهتكوا الأستار. . .[7]

٢ - الكحّال صلاح الدين الحموي :

ولستُ، هنا، لأستقصي آداب الطبيب التي تأصلت على أيدي الأطباء على كرّ العصور، واتّخذت مكانًا لها في الكتب التي ألّفها الأطبّاء جميعًا. . . ولكني بصدد الحديث عمّا وقفتُ عليه، من هذا الأدب، في كتاب في طبّ العيون، قديمٍ، صدر حديثًا، ألّفه صلاح الدين بن يوسف الكحّال، الحموي (كان حيًّا حوالى ٦٩٦هـ/ ١٢٩٧م)، ووَسَمه بهذا العنوان: **«نور العيون وجامع الفنون»**[8]. . . وذلك في مقدمة هذا الكتاب، الذي ألّفه صاحبُه لَمِن كَنَاه «أبا الرجا»، وجعل يُخاطبه مخاطبة عزيز بقوله: «أيها الولد. . .» ويُحدّثه عن المصادر التي استقى منها مادة كتابه، وعن تجاربه في الكحالة، وعمن يأمل أن يقرأ كتابه هذا فيستفيد ممّا حوى من علم.

ولم يَفُتْ طبيبنا العالِم هذا، الذي عاش في بلاد الشام قبل نحو ثمانمئة سنة، أن يُقدّم تعاليم أوليّةً لمن يُعد نفسه ليكون كحالاً (طبيبًا للعيون)، يقول: «وينبغي لك، أيها الولد، أن تعتمد وصيّتي هذه، لتفلح بها دنيا وأخرى».

ثم يقول:

«واعلم أنّ هذه الصناعة منحةٌ من الله تعالى، يعطيها لمستحقها، لأنه يصير واسطة بين المريض وبين الحق سبحانه وتعالى في طلب العافية له، حتى تجري على يديه، فتحصل له الحرمة الجزيلة من الناس، ويمثل عندهم، ويشار إليه في صناعته، ويطمأن إليه فيما يعتمده، و[يكون له] في الآخرة الأجر والمجازاة من ربّ العالمين، لأن النفع المتعدي لخلق الله عظيم، خصوصًا للفقراء العاجزين، مع ما يحصل لنفسك من كمال الأخلاق، وهو خلق الكرم والرحمة...»(9).

٣ - آداب الكَحّال (١٠):

وبعدئذ يقدم جملة من الوصايا، التي يمكن أن ندرجها - بعد التحليل والتصنيف - في هذه البنود السبعة:

١ - يرى أن على الطبيب **أن يلبس «ثوب الطهارة والعفة، والنقاء»**.

وإذا ظننا أن المراد أن يكون الثوب طاهرا على الحقيقة، فإن المجاز، أيضا، يتجلى في الصفتين التاليتين: العفة والنقاء، وهل تعنيان سوى عفة النفس، ونقاء السريرة؟

ويضيف: وأن يكون **«محبًا للخير والدين»**، و **«تاركًا للشهوات البدنية، غير الضروري [منها]»**.

وينصح ذاك الذي ألّف له الكتاب، بأن: **«راقب الله تعالى، وخاصة في عبورك على حريم الناس»**.

على الطبيب أن يلبس ثوب الطهارة والعفة وأن يكون محبًا للخير والدين

٢ - والطبيب المؤلف ينصح الطبيب المعالج **بأن يترفع عن التكسب من صناعته**، فلا يكون غرضك جمع المال، **إلا تحصيل الثواب، فيحصل لك كلاهما**».

٣ - ويوجب عليه أن يتحلّى بـ **«الرأفة»**؛ ومع الرأفة أن يكون **سخيًا**. ويزيد على ذلك بقوله: «وإن أمكنك أن **تُؤْثِر الضعفاء من مالك، فافعل**».

٤ - وهو لا يقنع له بالاكتفاء **بأن يتعرف الداء** ويصف الدواء، بل يريده أن يبذل قصارى جهده **في مراقبة المرض وملاحظة أحوال المريض**، لذلك يحضه على أن يكون «مواظبا للمرضى، حريصا على مداواتهم، متحيلا في جلب العافية لهم».

٥ - وهو يتوقع، مع اتصال الطبيب المعالج بمرضاه ودخوله بيوتهم، أن تنكشف له في ذلك شؤون خاصة تتعلق بالمرض، وأخرى بالمرضى وذويهم الذين يتولون خدمتهم؛ فينصح بأن يكون الطبيب **«كتوما على أسرارهم، [ويضيف] خصوصا الملوك»**.

٦ - ومنذ القديم، حذرت الوصايا الطبية من استعمال الأدوية المضرة والسموم، فكان أن أكد المؤلف: **«واحذر أن تنبه على دواء قتال!»**.

ولما كان طبيبنا كحالا، فقد حذر كذلك من استعمال **«كحل يحجب البصر، أو يضعفه»!**

٧ - وهو يبدي، قبل ذلك كله، اهتماما بعلم الطبيب وتنميته لثقافته. فيرى أن يكون **«مكبا على الاشتغال في العلوم»**، وذلك لا يتحقق إلا بمواصلة الدراسة والاستفادة من التجارب العمليّة.

ويريده، كذلك، أن يكون **«معاشرًا للعلماء»**، يحضر مجالسهم في علم وفي سمر! وإن ذلك لمصدرٌ هامّ لنماء ثقافة الطبيب، والأديب، والعالم.

تلك آداب، ساقها الطبيب الشامي الحموي، صلاح الدين بن يوسف الكحّال، عرضًا، في مقدمة كتابه «نور العيون وجامع الفنون».

وقد استلفتت هذه الآداب، قبل مئة عام، نظر المستعرب الفرنسي **لوسيان لوكليرك Lucien LECLERC** (١٨١٦ - ١٨٩٣)، فسمّاها، في كتابه الجامع الذي أرخ فيه للطبّ العربي في عصوره المتابعة، **Conceils de morale «نصائح أخلاقية»** (11).

وهي نصائح صغيرةٌ في مبناها... ولكنها تحمل معاني كبيرة يقوم عليها النجاح الأمثل لمن يمارس الطب، هذه الصناعة الشريفة، التي تخدم الرجل الرفيع والملك العظيم، مثلما تخدم الفقير، والعاجز، والوضيع!

الهوامش

(١) وقد تعدوا ذلك إلى ما سموه أدب السلوك، وأدب الصحبة، وأدب المعيشة، وأدب النديم، وأدب النفس، وأدب التعازي، وأدب القراءة، وأدب الإملاء، وأدب العلم، وأدب العلم، وأدب المتعلمين وأدب المتحدثين، وأدب الجَدل.. فضلا عن أدب الشهود، وأدب الغرباء، وأدب الحمام!... إلخ، راجع: **حاجي خليفة**: «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون»، المجلد الأول، ص ٤٢ - ٤٩.

(٢) وثمّة، في اللغة الفرنسية اليوم، مصطلح جديد موازٍ: **Déontologie**: واجبات الطبيب المهنية.

(٣) مخطوطة في مكتبة السليميّة (بأدرنة - تركيّة)، طبعة مصورة عنها، صدرت في منشورات معهد العلوم العربية الإسلامية في فرانكفورت بألمانية (الاتحادية) ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥.

(*) اهتم مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بهذا الكتاب ونشره عام ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢ بتحقيق الدكتور مريزن بن سعيد مريزن عسيري، وجاء في / ٣٥٥/ صفحة بالقطع المتوسط. المجلة

(٤) أي: الذين لا يمتون بصلة القرابة للأطباء الذين كانوا، حتى ذلك التاريخ، يتوارثونها أبا عن جد.. **الشهرزوري**: «نزهة الأرواح وروضة الأفراح في تاريخ الحكماء والفلاسفة» (تحقيق السيد خورشيد أحمد، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٩٧٦) الجزء ١: ص ٢٢١.

(٥) ومطلعه: «أقسم بالله، رب الحياة والموت، وواهب الصحة، وخالق الشفاء...»، انظر: **ابن أبي أصيبعة**: «عيون الأنباء في طبقات الأطباء»، ص ٤٥.

(٦) السجستاني: «منتخب صوان الحكمة» (تحقيق الدكتور عبدالرحمن بدوي، طهران ١٩٧٤) ص ٢١٣ و ٢١٤.

(٧) **الشيزري**: «نهاية الرتبة في طلب الحسبة»، ص ٩٨.

(٨) حققه الدكتور محمد ظافر الوفائي والدكتور محمد رواس قلعة جي، وصدر في منشورات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

(٩) «نور العيون وجامع الفنون».

(١٠) «نور العيون...»، ٦.

(١١) Lucien LECLERC: Histoire de la Médicine Arabe (2T.) (Paris 1876, Réédité Rabat الرباط 1980), T.2, P. 205.




الجزيرة


المسائية

أثر القرآن في تطور النقد الأدبي عند العرب

بقلم : بهاء الدين الزهوري

القرآن الكريم ، كتاب الإسلام الخالد . كرم الله به الإنسان وشرفه ، وجعله معجزة تخاطب العقل والقلب والفكر والوجدان ، معجزة حية قائمة لا تنقضي بانقضاء العصور .

وقد أقر المفكرون والعلماء والأدباء والنقاد ، بأن القرآن الكريم نمط من القول غير مسبوق . وشهدوا بما له من سحر التأثير ،وروعة البيان ، وكمال الإعجاز .

قالوا : إن فيه أخباراً غيبية ، وإن فيه أنماطاً من التشريع السياسي والاجتماعي يسعد بها الفرد والمجتمع ، وإن فيه إشارات إلى كثير من الحقائق الكونية ، وأسرار النفس الإنسانية والمجتمعات البشرية ، وقالوا نه تفرد بنمط خاص في البيان والتصوير .

حين نزل القرآن على النبي محمد صلى الله عليه وسلم فاجأ العرب بأسلوب لا عهد لهم به ، فهو وإن تألف من كلماتهم وحروف لغتهم ، فإنه ينصب في قالب متفرد ، يدركون حلاوته ويحسون روعته دون أن يستطيعوا محاكاته .

كان انفراد القرآن بطابعه الآخذ مسيطراً على أرواح سامعيه وقارئيه . وهو من الشموخ والاستعلاء بحيث كانوا كمن يرفع رأسه إلى كوكب عالٍ يفيض عليه بالضوء دون أن يستطيع السمو إلى بعض آفاقه ، فكان قصارى أمرهم أن يعترفوا بروعته الآسرة مدهوشين .

منذ الدعوة الإسلامية ، برزت ظاهرتان[١] : أولاهما **هذا الكتاب العربي المبين** الذي تمت له الصدارة على كل شئ مما أنتجه العرب وينتجونه من أدب وبيان . وهو في الوقت نفسه ، دستور الحياة ، وميزان السلوك ، والأصل الأول للتشريع .

مما دفع المسلمين إلى العناية بنصه وكلماته ، بشرح ألفاظه ، وتفسير آياته وتعرف أساليبه ، واستنباط الأحكام منه .

والظاهرة الثانية التي برزت على الحياة الأدبية النقدية عند العرب ، هي **ظاهرة الإعجاز البلاغي** ، وقيام الرسالة السماوية عليه ، وهي ظاهرة لم تعرفها الآداب الأخرى ، وقد اشتغل علماء العربية بها ، وتعتمد على بحث الأساليب ، وتعمق أسرار البلاغة ، والموازنة بين ألوان الكلام الرفيع .

إن الكتب التي صدرت في نهاية القرن الثاني الهجري ، تعد ثروة كبيرة تتناول النقد الأدبي من جهتيه النظرية والعلمية ، ومن هذه الكتب **(مجاز القرآن) لأبي عبيدة**[٢] و **(معاني القرآن) للفراء**[٣] ، و **(مشكل القرآن) لابن قتيبة**[٤] ، و **(طبقات الشعراء) لابن سلام**[٥] و **(البيان والتبيين) للجاحظ**[٦] و **(الشعر والشعراء) لابن قتيبة** و **(الكامل) للمبرد**[٧] .

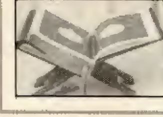
إن مجمل هذه الكتب وأشباهها في تلك المرحلة تدخل في صميم النقد الأدبي ، فهي تحاول فهم النص ، وتعرف ظواهر الاستعمال اللغوي والتركيبي فيه ، والإشارة إلى ما فيه من وجوه المجاز .

وقد أثرت الدراسات القرآنية في تطور النقد الأدبي عند العرب ، نظراً لبحثها ظواهر اللغة وفقهها وطرق الأداء فيها ، ونظام الجملة العربية في إعرابها وتركيبها وما في الكلام العربي عامة من أفانين التصوير والإبداع .

تعريف النقد الأدبي

لقد اختلف الأدباء والنقاد وعلماء اللغة في تحديد تعريف دقيق للنقد الأدبي ، لأن مفهوم النقد يختلف تبعاً للعصور التي مر بها . ففي نشأة النقد في عصوره الأولى كان مفهومه فطرياً يعتمد على الإحساس والذوق البسيطين ، ثم ارتقت حاسة النقد في العصر العباسي كما ارتقت حياة العرب الاجتماعية والعلمية والفلسفية وأخذوا يسألون : **ما البيان ، وما إعجاز القرآن ، وما البلاغة ، وما الأسلوب ؟؟ !**

وانبعث النقاد يوازنون ويقارنون لا بين المُحْدَثين والقدماء ، بل بين المحدثين أنفسهم ، فلاحظوا أنهم ينقسمون إلى مجددين ومحافظين . وهذا ما نلمسه في **كتاب الآمدي**[٨] **(الموازنة بين أبي تمام والبحتري) وكتاب الجرجاني**[٩] **(الوساطة بين المتنبي وخصومه)** .



ونستطيع أن نعرف النقد الأدبي بشكل موجز (**هو تحليل للنصوص الأدبية وتقدير مالها من قيمة فنية**)[10] وهذا التعريف الاصطلاحي لم يؤخذ به إلا منذ العصر العباسي ما قبل ذلك فكان يستخدم النقد بمعنى الذم والاستهجان .

إن **دراسات القرآن** ، وعلل البلاغة والجمال فيه ، قد أغنت النقد الأدبي ، وحددت مفاهيمه الاصطلاحية التي تعتمد على دراسة النص الأدبي ، واستلهام صوره البلاغية، وتذوق جماله الفني[11].

أثـر القـرآن

(أ) في اللغة : للقرآن فضل كبير في تطور دراسات اللغة ، والنقد اللغوي ، ولم يكن حرص العرب على اللغة الأصلية ـ لغة البدو ـ وتشددهم في المحافظة عليها إلا رغبة منهم في حفظ لغة القرآن ليظل مفهوماً ، ومقروءاً ، ومدروساً .

فالقرآن كتاب العربية الأول ، ودستور الإسلام الأساسي . والعربية لغة المسلمين الفاتحين ، ولغة السلطان والدولة ، والأدب والكتابة والسياسة والحكم . فكان الاهتمام كبيراً باللغة العربية ، حيث استقل جماعة بدراستها ، والتعرف على ألفاظها الفصيحة والغريبة ، وقد عرفت هذه الجماعة باسم **اللغويين** .

غير أن اللغة قد خالطها بعض الشوائب الغريبة ، نتيجة اختلاط العرب بغيرهم فانتابتها ليونة أحياناً ، وتحريف أو تداخل بعض ألفاظ أعجمية ، مما جعل اللغة تنحرف عن بداوتها ويتفشى اللحن ، وتختلط اللهجات . وصارت لغة التعبير اليومي ـ العامية ـ تختلف عن اللغة الأصلية ، لغة القرآن .

وبدأت دراسات ضبط الإعراب بمحاولات النحويين لتخليص اللغة من هذه الشوائب الغريبة التي انتابتها . وقد ظهر **أبو عمرو بن العلاء**[12] ، الذي كان أعلم الناس بأمور العرب والعربية ، وعلى رأس جماعة اللغويين الذين اهتموا بألفاظ العربية وعلومها .

ومن هؤلاء اللغويين أيضاً ، **النضر بن شميل**[13] ، **والأصمعي**[14] زعيم جماعة النقاد اللغويين . ومن أهم الكتب التي ظهرت في هذا العصر ، ومثلت مرحلة الجمع المنظم (**كتاب العين**) **للخليل بن أحمد**[15] ، وهو يجمع المفردات اللغوية ، ويصنفها بالترتيب الصوتي لمخارج حروفها الأولى يبدؤها بحرف (**العين**) ، ويستشهد على الألفاظ بآيات القرآن . إلى جانب ذلك فقد ظهرت **دراسات الأضداد ومدلول الألفاظ** ، فكان كتاب (الأضداد) **للأصمعي، ولابن السكيت**[16] ، **ولابن الأنباري**[17] .

(ب) في الشعر : نزل القرآن والشعر حينذاك في رفيع منزلته ، ولكن بيان القرآن كان معجزاً لم يستطع الشعر مغالبته فارتفعت مكانته في النفوس مبشراً بالإسلام وتعاليمه ، ونزل الشعر عن مرتبته وصار عوناً للناس على فهم القرآن وتفسيره ، وجاء **ابن عباس** ليقول للناس : **إذا صعب عليكم شئ من معاني القرآن فالتمسوه في الشعر ، فالشعر ديوان العرب** .

وبدأ الناس يهتمون بجمعه للاستشهاد به . ومد الشعر التفسير ، كما مد اللغة والنحو بشواهده ، وتفرغ الناس لجمع الشواهد وأغرموا بها ، وكانت شواهدهم أبياتاً مفردة قد تنسب لقائلها ، وقد تعفى من النسب .

وبعد أن تجمع الشعر في مجموعات **كالمعلقات والأصمعيات ، والنقائض والمفضليات وأشعار القبائل** ، كأشعار الهذليين ودواوين الشعراء الجاهليين ، كديوان ، **امرئ القيس وعلقمة وطرفة والنابغة وزهير وغيرهم ممن كان يستشهد بشعرهم . تناول اللغويون والأدباء والنقاد تلك المجموعات بالشرح والنقد والتفسير** .

(ج) في البلاغة : أما ما يتعلق بأثر القرآن على البلاغة ، فقد كان القرآن الكريم من بين الحوافز التي حفزت علماء البيان والأدب للاهتمام بفن الأسلوب الجيد ، والتعبير الفني الرائع ، بما جمع في أسلوبه من ضروب البلاغة والفصاحة .

إن الدافع لأولئك العلماء للاهتمام ببلاغة القرآن وبيانه كان في أول أمره بقصد الدفاع عن قدسية القرآن ضد نزعات الشك الفلسفية ، ورد ما يدعى من التناقض والمطاعن التي رمي بها الكتاب ، ثم لإثبات الإعجاز فيه ، وإظهار أسلوبه في مظهر لا يرقى إليه فن آخر من فنون العرب في كلامهم والاحتجاج لذلك بكل وسيلة كلامية وحجج عقلية ، وبالأدب وفنون البلاغة الرائعة . فكان من ذلك خير للنقد الأدبي ، إذ اندفع العلماء يبحثون عن فنون القول في الشعر والنثر أثناء بحثهم ودراستهم للقرآن الكريم .

كانت قريش جماعات مختلفة لها آراؤها المتشعبة ، وأهواؤها المختلفة ، مع اتحاد الكثرة الكاثرة على إنكار القرآن بادئ ذي بدء ، فإن أفرادها من رؤوس هذه الجماعات لم يستطيعوا أن يكبتوا صيحات الإعجاب في نفوسهم . فند عنهم ما ينبئ عن روعة البيان القرآني وسرعة نفاذه وعمق تأثيره .

منذ نزول القرآن الكريم عرف العرب أنه طراز رائع في القول ومثال بديع من أمثلة الكلام..

ونمثل لذلك **بالوليد بن المغيرة المخزومي** حيث كان يتحرى سماع القرآن من **رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يعلن تقديره لما يلمس من روعة البيان وانفراده المثالي . حتى ضجر أبو جهل** منه وخاصمه ، وسعي إليه ليثنيه عن إبداء هذا التقريظ خشية ما يحدث من المغبة المتوقعة ، فقال له الوليد في صراحة ناصعة :

(والله ما في قريش من رجلٍ أعلم بالشعر أو رجزه أو قصيده مني ، ولا والله ما يشبه الذي يقول محمد شيئاً من هذا الشعر أو ذلك الرجز . والله إن لقوله لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه ليعلو ولا يعلى عليه وإنه يحطم ما تحته . فأسف أبو جهل لما سمعه وقال في إنكار : لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه . ففكر طويلاً ، ثم قال **هذا سحر يؤثر**)[18] .

النقد الأدبي عند العرب

بدأت الدراسات القرآنية بمحاولات فردية متفرقة لمعرفة المرامي اللغوية المحدودة أو العقلية المتعلقة بمعاني القرآن ، وكان هذا طبيعياً لأن الأمة في أول الأمر كانت أحوج إلى التشريع في نموها من الأدب . فالمجتمع الناشئ أحوج إلى ماينظمه ويرسي قواعده . ومع مرور الزمن ازداد اهتمام الناس بالدرس الأدبي والتدقيق في فنون القول ، ونقد الكلام . فإننا نجد محاولات شتى ترمي

إلى معرفة أساليب **التعبير أو المجاز** على حد تعبيرهم الأول .

فقد بدأ فعلاً بحث المجاز في أواخر المئة الثانية بتأليف كتاب (**مجاز القرآن**) **لأبي عبيدة** ، وهو أول ما ألف في البيان .

لهذا كان أبو عبيدة في (مجاز القرآن) أول من تعرض للبيان ، وفنون التعبير في كلام العرب ، وبهذا يصبح القرآن أول باعث وموجه لحركة النقد الأدبي عند العرب .

وتطورت دراسة أبي عبيدة وتدخلت عوامل جديدة ، فكانت دراسة الجاحظ في (نظم القرآن) ودراسة ابن قتيبة في (مشكل القرآن) وهاتان الدراستان تكونان اتجاهاً واحداً ومرحلة مشتركة من مراحل تطور الدراسات النقدية في أسلوب القرآن والأدب عامة .

إن الدراسات القرآنية قد أثارت بعض المسائل الفنية والجمالية في الأسلوب والتي كان لها الفضل في توجيه دراسات النقد العربي في مراحله المختلفة فقامت جهود العلماء في دراسات القرآن لحل اللغز الذي حير الناس وهو (الإعجاز) فتوصلوا إلى نتائج خدمت الأدب والنقد جميعاً .

وقد عرف العرب منذ أول نزول القرآن أنه طراز رائع في القول ، ومثال بديع من أمثلة الكلام ، وإنه جمع فنوناً مختلفة من الأسلوب ، تضافرت معاً .

وينظر المحدثون إلى فن القول نظرة واسعة شاملة ، فيعتبرونه واحداً من مجموعة الفنون الإنسانية التي تتمثل في النحت ، والتصوير ، والعمارة ، والموسيقى ، والأدب . فالثلاثة الأول تعتمد في الأداء أو التعبير على حاسة البصر . أما الاثنتان الباقيتان فتعتمدان على حاسة السمع أو على الأصوات ، وتعتمد الموسيقى على فن الصوت ، والأدب على فن الكلمة . ولكنهم يبحثون في هذه الفنون جميعاً على أساس أنها تتلاقى في النفس الإنسانية ، ويتتبعونها من هذه البداية .

والقرآن في صورته المكتملة مثال رائع لفن القول عند العرب ، وقد اجتمعت فيه ضروب الأساليب ، وخصائصها . ويمكننا القول **بأن القرآن كان صاحب فضل لا ينكر في تربية الملكة النقدية عند العرب** . وكان لما امتاز به أسلوبه من روعة في التعبير وجمال في الأداء أكبر الأثر في مقاييس الأدب وموازينه . وكان الشاهد من آياته الحكم والمرجع في فنون القول ، وضروب الأساليب . وهذه ظاهرة خاصة في أدبنا العربي وحده . لم تشاركه فيها الآداب الأخرى لأنها لم تحو كتاباً مثل القرآن ، وكان لهذا نتائجه التي لم تعرف في أدب غير الأدب العربي ولا في نقد أدبي إلا في النقد الأدبي عند العرب .

أسلوب القرآن الكريم

لقد انفرد القرآن الكريم في أسلوب خاص به ، فهو لم يخرج عن معهود العرب في لغتهم ، فمفرداته مفرداتهم ،وجمله جملهم ، وقواعد صوغه قواعدهم . من حروف العرب تألفت كلماته ، ومن كلماتهم تألفت تراكيبه ، وعلى قواعدهم جاء تأليفه . ومع هذا فقد أعجزهم بأسلوبه الفذ ، ومذهبه الكلامي المعجز ، ولو دخل عليهم من غير هذا الباب الذي يعرفونه لأمكن أن يُتَلَمَّس لهم عذر ، وأن يسلم لهم طعن أو شبه طعن .[19]

وسأحاول قدر المستطاع بيان جمال أسلوب القرآن من خلال دراسة بعض العناصر التي أثرت هي وغيرها في تطور النقد الأدبي عند العرب .

جرس المفردات القرآنية يوحي بمعناها قبل أن يوحي مدلولها اللغوي عليه

(أ) المفردة القرآنية :

تمتاز المفردة القرآنية بميزات ثلاث رئيسية :[20]

١ ـ جمال وقعها في السمع .

٢ ـ اتساقها الكامل في المعنى .

٣ ـ اتساع دلالتها لما لا تتسع له عادة دلالات الكلمات الأخرى .

لننظر إلى قوله تعالى في سورة التكوير ، الآية (١٧ ـ ١٨) في وصف الليل والصبح (**والليل إذا عسعس ، والصبح إذا تنفس**) ألا نشعر أن كلمة (عسعس) وكلمة (تنفس) تبعثان في خيالنا صورة المعنى محسوساً مجسماً دون حاجة للرجوع إلى معاجم اللغة ؟؟ وهل نستطيع أن نتصور إقبال ظلام الليل ، وتمدده في الآفاق المترامية بكلمة أدل من (عسعس) ؟ أو هل نستطيع أن نتصور انفلات الضحى من مخبأ الليل وسجنه بكلمة أروع من (تنفس) ؟ بل هل نجد في المعاجم أدق من هاتين الكلمتين في التعبير عن هذين المعنيين ؟

إن الأمثلة في القرآن أكثر من أن تعد وتحصى ، وكلها تؤيد نظرية أن **جرس المفردات القرآنية ، يوحي بمعناها قبل أن يوحي مدلولها اللغوي عليه** .

لنقرأ قوله تعالى في سورة الفجر الآيات (٢٧ ـ ٣٠) : (**ياأيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية ، فادخلي في عبادي ، وادخلي جنتي**) .

لنتأمل ما ضمت هذه الآيات من مدود : يا ـ ها ـ جعي ـ إلى ـ را ـ خلي ـ في ـ عبا ـ دي ـ خلي ـ تي .

وما ضمت من تشديد :أيّتها ـ النّفس ـ المطمئنّة ـ ربّك ـ ضيّة ـ جنّتي .

وما ضمت من نونات : النفس ـ المطمئنة ـ راضيتَنْ ـ مرضيتَنْ ـ جنتي .

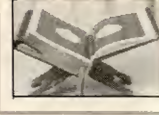
وما ضمت من حركات الكسر : جعي ـ بكِ ـ خلي ـ في ـ دي ـ خلي ـ تي .

ثم لنتصور أن الميت مسجّى في كفن ، والقبر فاغر فاه ، ينتظر ضيفه الجديد ليضمه حيناً من الزمن ، ثم يسلمه إلى الأبدية الخالدة التي لا نهاية لها ، ونتصور كذلك الدموع الصامتة يذرفها الأهل والأحباب لفراق عزيز أو حبيب عاش معهم حيناً من الزمن ، ثم فارقهم إلى سفر طويل لا عودة منه ، ونتصور الصراع النفسي في قلوبهم : فرح فيما هو مقبل عليه من رحمة الله ونعيمه ، وحزن إنساني لابد منه عند الوداع .

فهل نجد أوقع أثراً وأدق تعبيراً عن هذا الموقف الجليل ، وهذا الحزن ، وتلك الدموع ، وذلك الأمل العريض مما جاءت به تلك المفردات ، بكل ما حملت من مدود ، وشدات ، وغنات ، وحركات كسر ، ونونات ؟ !

ثم لنجرب أن نعيد قراءة الآيات ، مرات عدة ، فسوف نجد الحزن والرضى والطمأنينة قد امتزجت امتزاجاً تاماً ، وهيهات هيهات لإنسان مهما أوتي حظاً من الذوق والأدب أن يبلغ إلى هذا المستوى المعجز .

إن الجمال الصوتي ، والتناسق الفني والإيقاع الموسيقي هو أول شئ أحسته الأذن العربية يوم نزل القرآن ، وتلاه الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا التناسق الذي لا يمكن التعبير عنه ، وهذا الجمال اللغوي . كان سوراً منيعاً لحفظ القرآن



بحيث لو داخله شئ من كلام الناس لاعتل مذاقه ، واختل نظامه .

(ب) بين الجزالة والرقة :

لا يوجد لدينا معجم تاريخي يبين تطور الكلمات على مر الزمن لنعرف متى انتقلت كلمة الجزالة من معناها اللغوي إلى معناها النقدي فالبلاغي ، لقد قيل – على سبيل المجاز – رجل جزل إذا كان ذا عقل قوي ، وشعر جزل إذا تماسك وقوي أسلوبه ، وتقابل الجزالة الرقة .

لنبدأ بالجزالة ، فنختار لها هذه الآيات الرائعة من كتاب الله ، قال تعالى في سورة **الحاقة** ، الآيات (١ – ٢٤) : **(الحاقة ، ما الحاقة ، وما أدراك ما الحاقة ، كذبت ثمود وعاد بالقارعة ، فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية ، وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية ، سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية ، فهل ترى لهم من باقية ، وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة ، فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية ، إنا لما طغا الماء حملناكم في الجارية ، لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية ، فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة ، وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة ، فيومئذ وقعت الواقعة ، وانشقت السماء فهي يومئذ واهية ، والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ، يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ، فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤوا كتابيه ، إني ظننت أني ملاق حسابيه ، فهو في عيشة راضية ، في جنة عالية ، قطوفها دانية ، كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية)** .

الرقة البيانية منحى إنساني يصور عواطف التودد ونوازع الملاينة..

لنتأمل هذه الآيات الرائعة ، فنجد أن المشهدين اللذين يتكفل بعرضهما هذا النص الكريم من أقوى المشاهد الإنسانية روعة وإدهاشاً وأخذاً بالألباب والأحاسيس مشهد الماضي وقد عرفت أخباره من قراءة التاريخ ، ومشهد الآتي وقد جاءت به النذر في الكتب المنزلة من توراة وإنجيل وقرآن . وهما معاً متشابهان دهشة وقوة وأخذاً بالنفوس والألباب .

فمن ناحية اللفظ ، تأتي كلمات **الحاقة والقارعة والآخذة والرابية والطاغية والريح الصرصر والعاتية والسماء المنشقة** . ذات جرس يأخذ منافذ الأسماع وقد نطق بها التعبير القرآني جزلاً بفواصله ونظمه وتصويره .

أما بخصوص الرقة ، فقد قال تعالى في سورة غافر ، الآيات (٢٦ – ٢٨) : **(وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد ، وقال موسى إن عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب ، وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وإن يك كاذباً فعليه كذبه وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب)** .

تعرض هذه الآيات حواراً هادئاً في جلسة ، يقف فيها فرعون موقف الجريح الحائر ، بعد أن ظهرت نبوة موسى مؤيدة بالمعجزات الخارقة ، إذ آمن به السحرة مصدقين ، وكانوا عدة فرعون على تكذيبه ، فهو مضطر إلى الملاينة مع أنصاره بعيداً عن جبروته .

إن بعض المتحدثين عن الرقة في الأسلوب الأدبي يظنونها لا تكون إلا في وصف الأزهار والرياحين أو في أحاديث الغزل والحنين أو أبيات الرثاء والتأبين دون أن تتعدى ذلك إلى أساليب الحجة وبراهين النقاش . وقد فاتهم أن الرقة البيانية منحى إنساني يصور عواطف التودد ونوازع الملاينة ، لا في وسائل الشوق ، ومواقف العتاب فحسب ، بل في كل موقف يجنح إلى **الاستمالة العاطفية والإقناع العقلي** . وها هو ذا مؤمن من آل فرعون ، قد صور القرآن جداله الهادئ في آيات شفافة تمثل أعلى ما تنحسر عنه روائع الفن الأدبي في أعلى مراقيه ، متخذاً من أساليب التودد والاستعطاف وبراهين الإقناع والإفحام ما يشف عن عاطفة هادئة يستقر ينبوعها الرائق في صدر صاحبها كما تستقر صفحة الغدير الهادئ بعيدة عن هبات الريح .

ج – التشبيه والاستعارة :

(أ) التشبيه : جعل القدماء التشبيه رابطاً بين أمرين أو مفرقاً بينهما ، وأغفلوا وقع أثره في النفس وشعورها به .

إن القرآن الكريم كتاب التصوير البياني الأول ، لا أقول ذلك عن حماسة مسلم يتعصب بل عن دراسة كاتب يتحقق . والقرآن حين يشبه محسوساً بمحسوس ، يرمي أحياناً إلى رسم الصورة كما تحس بها النفس ، ونجد ذلك في قوله تعالى يصف سفينة نوح : **(وهي تجري في موج كالجبال)** فهذه الجبال تصور للعين هذه الأمواج الضخمة كما تصور لنا ما يحس به ركاب هذه السفينة .

ومن خصائص التشبيه القرآني مقدرته الفائقة في اختيار ألفاظه الدقيقة المصورة الموحيّة ، وهذا ما نجده في كل تشبيه قرآني : فلقد آثر القرآن كلمة (بنيان) في قوله تعالى **(إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص)** لما تثيره في النفس من معنى الالتحام والاتصال والاجتماع القوي ، مما لا يثار عند كلمة (حائط) أو (جدار) مثلاً .

ويهدف التشبيه في القرآن إلى التأثير في العاطفة ، فترغب أو ترهب . ومن أجل ذلك كان للمنافقين والكافرين والمشركين نصيب وافر من التشبيه الذي يزيد نفسيتهم وضوحاً ، قال تعالى : **(ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس ، لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون)** .

في هذه الأبيات نرى كيف مهد لهذا التشبيه ، التمهيد الصالح ، فجعل لهم قلوباً لا يفقهون بها ، وأعيناً لا يبصرون بها ، وآذاناً لا يسمعون بها . ونحن نراهم في أنفسنا بمنزلة البهائم ، لذا فإن التشبيه لا غرابة فيه .

(ب) الاستعارة : الاستعارة لون من ألوان التصوير البلاغي في القرآن ، فالألفاظ المستعارة ألفاظ موحية لأنها أصدق أداة تجعل القارئ يحس بالمعنى أكمل إحساس وأوفاه وتصور المنظر للعين ، وتنقل الصورة للأذن ، وتجعل الأمر المعنوي ملموساً ومحسوساً .

عناصر متعددة جسدت جمال الاستعارة في القرآن الكريم، منها : اختيار الألفاظ وتناسقها مع بعضها البعض ...

قال تعالى في سورة مريم ، الآية (٤) : **(قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك ربّ شقيا)** نلاحظ أن كلمة (اشتعل) لم تقف عند معنى انتشر فحسب ، ولكنها تحمل معنى دبيب الشيب في الرأس في بطء وثبات كما تدب النار في الفحم مبطئة ولكن في دأب واستمرار ، حتى إذا ما تمكنت من الوقود اشتعلت في قوة لا تبقي ولا تذر ، كما يطغى الشيب على ما يجاوره من شعر الشباب حتى لا يذر شيئاً إلا التهمه ، وأتى عليه .

إن أهم العناصر التي جسدت جمال الاستعارة في القرآن الكريم هي :[٢١]

١ ـ اختيار الألفاظ المتناسقة والمؤتلفة مع بعضها ومع معانيها .

٢ ـ استخدام الألفاظ الموضوعة للدلالة على الأمور الحسية في الدلالة على الأمور المعنوية ، فتصبح بذلك الثانية محسوسة ملموسة كما في قوله تعالى في سورة الشعراء ، الآيتان (٢٢٤ ـ ٢٢٥) : ـ**(والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون)** فقد استعملت كلمة **(واد)** الموضوعة أصلاً للدلالة على المنخفض بين مرتفعين في الدلالة على الأغراض الشعرية التي مقرها الأفئدة ، فتحولت هذه المعنويات الفكرية المجردة إلى أودية سحيقة ، وقد اختار القرآن لفظة (**الأودية**) لما بين الفكر والوادي من تناسب في العمق والبعد والخفاء والغموض .

من خلال هذه السمات استطاع أسلوب القرآن في التشابيه والاستعارات أن يملك على الناس ألبابهم .

إن ما ذكرناه من عناصر أسلوب القرآن ، ما هو إلا غيض من فيض ، فهناك عناصر أدبية وبلاغية ونقدية عديدة لا يتسع المجال لعرضها في دراسة موجزة كهذه الدراسة ، منها **فن صياغة الآية ، والكناية القرآنية ، والفاصلة ، وهيكل السورة، والمثل في القرآن ، والقسم ، وبلاغة الإقناع ، والإيجاز والإطناب والحقيقة والمجاز ، وقضية السجع ، والإعجاز القرآني ، وفن القصة في القرآن .**

وبذلك نكون قد ألقينا من خلال هذه الدراسة الموجزة بعض الضوء على أثر القرآن في تطور النقد الأدبي عند العرب . ولا شك أن كتاب الله كان عاملاً فعالاً في تطور النقد بدءً بالدراسات القرآنية الأولى حتى الفكر النقدي المعاصر .

الهوامش والمصادر

(١) سلام ، محمد زغلول ، أثر القرآن في تطور النقد العربي .

(٢) أبو عبيدة (١١٠ ـ ٢٠٩ هـ) معمر بن المثنى ، في مقدمة العلماء الرواد في البصرة عاصر الخليل وأبا زيد الأنصاري ، واسع الاطلاع على أخبار العرب وأيامهم .

(٣) الفراء (١٤٤ ـ ٢٠٧ هـ) أبو زكريا ، يحيى بن زياد ، من أصل ديلمي ومولى بني أسد . ولد بالكوفة . تلميذ الكسائي ، من أعلم الكوفيين في النحو واللغة وأخبار العرب له . (معاني القرآن) و (المنقوص والممدود) .

(٤) ابن قتيبة (٢١٣ ـ ٢٧٦ هـ) أبو محمد ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري عالم أديب ، متعدد الجوانب ألف في علوم القرآن والحديث والأدب والنقد واللغة له (أدب الكاتب) و (الشعر والشعراء) و (عيون الأخبار) .

(٥) ابن سلام (١٣٩ ـ ٢٣٢ هـ) أبو عبد الله ، محمد بن سلام الجمحي ، ولد بالبصرة وعاش في بغداد ، عاصر الأصمعي والمفضل وتتلمذ عليهما ، لغوي كبير وناقد حسن الذوق .

(٦) الجاحظ (١٥٩ ـ ٢٥٥ هـ) أبو عثمان ، عمرو بن بحر . قمة في البيان والنثر الفني وإمام في التأليف ، ورأس فرقة المعتزلة ، ترك نحواً من (٣٦٠) كتاباً .

(٧) المبرد (٢١٠ ـ ٢٠٩ هـ) أبو العباس ، محمد بن يزيد ، ولد في البصرة ، ثم رحل إلى بغداد وصار إمام المذهب البصري في النحو واللغة ، كان متمكناً في الأدب والأخبار له (الكامل) و(المقتضب) في النحو.

(٨) الآمدي (٠٠٠ ـ ٣٧٠ هـ) أبو القاسم ، الحسن بن بشر بن يحيى ، أصله من آمد ولد في البصرة ونشأ بها ، لغوي ونحوي وراوية أخبار . عالم بالشعر ، وناقد أدبي بارز ، له (الموازنة بين الطائيين) .

(٩) الجرجاني (٠٠٠ ـ ٣٦٦ هـ) القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني ، أحد النقاد الكبار في عصره ، وممن أخذوا بالمنهج العربي (طريقة العرب أو أقام النقد على عمود الشعر وله كتاب (الوساطة بين المتنبي وخصومه) .

(١٠) ضيف ، شوقي النقد .

(١١) سلام ، محمد زغلول ، أثر القرآن في تطور النقد العربي .

(١٢) ابن العلاء (٦٥ ـ ١٥٤ هـ) أبو عمرو ، زبان بن العلاء ، أحد القراء السبعة من الأئمة الرواد في البصرة . أستاذ الخليل والأصمعي وأبي عبيدة راوية كبير لأخبار العرب وأيامهم وأشعارهم .

(١٣) النضر بن شميل (٠٠٠ ـ ٢٠٤ هـ) أبو الحسن ، ولد بالبصرة ، ثم رحل إلى خراسان وتوفي في مرو ، أخذ عن الخليل وفصحاء العرب ، كان نحوياً ولغوياً وراوية للحديث وأيام العرب . له (الإبل) و (خلق الإنسان) .

(١٤) الأصمعي (١١٢ ـ ٢١٦ هـ) أبو سعيد ، عبد الملك بن قريب ... بن أصمع عالم بصري فذ في اللغة وراوية قوي الحافظة لأنساب العرب وأيامها وأخبارها وأرجازها له كتاب (الأصمعيات) في الشعر القديم .

(١٥) الخليل (١٠٠ ـ ١٧٥ هـ) أبو عبد الرحمن ، الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي الأزدي في مقدمة رواد العربية ، إمام البصريين في اللغة والنحو واضع علم العروض وصانع معجم (العين) أول معجم في العربية .

(١٦) ابن السكيت (١٨٦ ـ ٢٤٤ هـ) أبو يوسف ، يعقوب بن إسحق . يقال إن أباه كان كثير السكوت ، أخذ عن أبي عمرو الشيباني والفراء وابن الأعرابي له (الألفاظ) و (الأضداد) .

(١٧) ابن الأنباري (٢٧١ ـ ٣٢٨ هـ) أبو بكر ، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار والأنباري والده عالم جليل ، فاق الابن أباه علماً وكان إماماً في اللغة والنحو والرواية والقراءات .

(١٨) البيومي ، محمد رجب ، البيان القرآني .

(١٩) الزرقاني ، عبد العظيم ، مناهل العرفان .

(٢٠) و(٢١) شيخ أمين ، بكري ، التعبير الفني في القرآن .

مسابقة أرامكو السعودية السنوية الرابعة عشرة لرسوم الأطفال

دعوة إلى جميع الأطفال بالمملكة

يسر إدارة العلاقات العامة بأرامكو السعودية أن تعلن عن إجراء مسابقتها السنوية الرابعة عشرة لرسوم الأطفال، إسهامًا منها في تشجيع القدرات والمواهب الفنية لدى البنين والبنات في المملكة العربية السعودية

ملاحظة هامة: يرجى من المشاركين قراءة نظام وشروط المسابقة بعناية واتباعها بدقة حتى لا يؤدي الإخلال بها إلى استبعاد الرسوم من المسابقة كما حدث، مع الأسف، في بعض الأعوام الماضية.

نظام وشروط المسابقة

أولاً: يحق لكل طفل لا يزيد عمره على ١٤ عامًا ويقيم حاليًا في المملكة أن يشترك في المسابقة.

ثانيًا: للطفل كامل الحرية في اختيار موضوع الرسم أو حجمه أو المواد والخامات المستخدمة في تنفيذه.

ثالثًا: يتقدم المتسابق برسم واحد فقط، على أن يكون الرسم من عمله هو دون أي تدخل أو مساعدة من الوالدين أو المدرسين أو غيرهم. كما يجب أن يكون الرسم عملاً أصليًا غير منسوخ أو مشارك به في مسابقة أخرى.

رابعًا: يجب تثبيت البطاقة المنشورة ضمن هذا الإعلان أو صورة منها على ظهر الرسم، كما يجب ملء جميع البيانات المطلوبة فيها طباعة أو بخط واضح حتى يعد الرسم صالحًا لدخول المسابقة.

خامسًا: يجب أن يكون الرسم مرتبًا ونظيفًا قدر الإمكان مع عدم كتابة أي معلومات عن الطفل أو الرسم على الرسم نفسه.

سادسًا: يجب تغليف الرسم، أو مجموعة الرسوم المرسلة من المدارس، في ظرف أو مغلف من الورق المقوى للحفاظ عليها من التلف أثناء نقلها بالبريد.

سابعًا: جميع الرسوم التالفة أو المخالفة للشروط المذكورة سابقًا لن تدخل المسابقة.

ثامنًا: تعتبر جميع الرسوم المرسلة للمشاركة في المسابقة ملكًا لأرامكو السعودية. وتبقى هذه الرسوم في حوزة إدارة العلاقات العامة بالشركة التي تحتفظ بحق استخدام أي منها حسب ما تراه مناسبًا.

تاسعًا: آخر موعد لتسلم الرسوم هو يوم السبت الموافق ٧ شعبان ١٤١٣هـ (٣٠ يناير ١٩٩٣م) ولن يدخل المسابقة أي رسم يصل بعد هذا التاريخ ما لم يتم التأكد من أن سبب تأخر وصوله هو البريد وذلك عن طريق ختم البريد على المظروف.

عاشرًا: تشكل إدارة العلاقات العامة بأرامكو السعودية لجنة تحكيم من ذوي الخبرة والمعرفة في الفنون لاختيار الفائزين في المسابقة، ويعتبر قرار هذه اللجنة نهائيًا.

حادي عشر: بعد فرز النتائج يتم إعلان أسماء الفائزين في الصحف والمجلات السعودية، كما يتم الإبراق لكل فائز بالنتيجة على عنوانه.

ثاني عشر: ترسل جميع الرسوم إلى العنوان التالي:

إدارة العلاقات العامة
الغرفة ٢٢١٦ - مبنى الإدارة الشرقي.
أرامكو السعودية - الظهران ٣١٣١١

على أن يكتب على المظروف: "مسابقة أرامكو السعودية الرابعة عشرة لرسوم الأطفال"

البيانات التي يجب تثبيتها أو صورة منها على ظهر الرسم المشارك

مسابقة أرامكو السعودية السنوية الرابعة عشرة لرسوم الأطفال

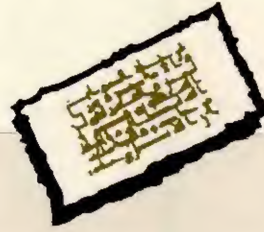
اسم الطفل كاملاً (ثلاثيًا على الأقل) ____________
تاريخ ميلاد الطفل ____________ عمره ____________
الصف الدراسي ____________
اسم المدرسة ____________
عنوان المدرسة أو العنوان الشخصي كاملاً
ص.ب ____________
المدينة ____________ الرمز البريدي ____________
الموقع ____________
الشارع ____________
رقم الهاتف ____________
رقم الناسخة الهاتفية (الفاكس) ____________
نوعية الخامة أو المادة الفنية المستعملة عند التنفيذ ____________
موضوع أو عنوان الرسم المشارك: ____________
التاريخ: ____________

الجوائز

تخصص الشركة للفائزين في هذه المسابقة مائة وخمسين جائزة تقسمت إلى الفئات التالية:

- خمسون جائزة للذين تقل أعمارهم عن ٧ سنوات
- خمسون جائزة للذين تتراوح أعمارهم بين ٧، ١٠ سنوات
- خمسون جائزة لمن تتراوح أعمارهم بين ١١، ١٤ سنة

يمكن توجيه الاستفسارات عن المسابقة إلى قسم النشر بإدارة العلاقات العامة على الهاتف رقم ٨٧٥٥٩٣٥ أو الهاتف رقم ٨٧٤٦٢١٢ في الظهران، مع تمنياتنا للجميع بالتوفيق.



إعداد: أ.د. عبد الحميد إبراهيم

قاموس الألوان عند العرب (٣)

ض

ـ ضرج :

ضرج الثوب وغيره لَطَخه بالدم ونحوه من الحمرة، وقد يكون بالصفرة، وقيل الضريج صبغ أحمر وثوب مضَّرج من هذا. وتضرج بالدم أي تلطخ، وضرجت الثوب تضريجا إذا صبغته بالحمرة، وهو دون المشبع وفوق المورّد.

ـ ضرح :

رجل مَضْرحى: عتيق النِّجار، والمضرحى أيضا: الأبيض من كل شئ.

ط

ـ طحل :

الطُّحلة لون بين الغُبرة والبياض بسواد قليل كلون الرماد. ومنه ذئب أطحل وشاة طحلاء. وقال ابن الأعرابي: فرس أخضر أطحل للذي يعلو خضرته قليل صفرةٍ.

ـ طخم :

الطُّخمة سواد في مقدَّم الأنف ومقدم الخَطْم (أنف الدابة). وكبش أطخم: أسود الرأس وسائره أكدر. ولحم أطخم وطخيم: جاف يضرب لونه إلى السواد. قال ابن السكيت: يقال أطخم أدغم وهو الدَّيْزجُ (الديزج: معرب دَيْزة وهي لون بين لونين غير خالص).

ـ طرف :

شاة مطرفة: بيضاء أطراف الأذنين وسائرها أسود. أو سوداؤها وسائرها أبيض. وفرس مطرَّف: خالف لون رأسه وذنبه سائر لونه. وقال أبو عبيدة: من الخيل أبلق مطرَّف، وهو الذي رأسه أبيض، وكذلك إن كان رأسه وذنبه أبيضين عهو أبلق مطرَّف. قال الأزهري: طرفت الجارية بنانها إذا أخضبت أطراف أصابعها بالحناء وهي مطرِّفة. وأطراف العذَارى عنب أسود طوال كأنه البلّوط (ثمر شجر) يشبه بأصابع العذارى المخَّضبة لطوله. وقيل هو ضرب من عنب الطائف أبيض طوال دقاق. والطريفة: ضرب من الكلأ؛ وقيل هو النِّصِّى (نبت) إذا يبس وابيض.

ـ طلس :

في حديث علي رضي الله عنه: «لا تدع تمثالا إلا طلسته» - أي محوته، وقيل الأصل فيه: الطُّلسة وهي الغبرة إلى السواد. الأطلس: الأسود والوسخ. والأطلس الثوب الخَلَق. وذئب أطلس: في لونه غبرة إلى السواد وكل ما كان على لونه، فهو أطلس والأنثى طلساء. وفي حديث أبي بكر أن مولداً أطلس سرق فقطع يده. قال شمر: الأطلس الأسود كالحيش. والأطلس من الرجال: الدنس الثياب شبه بالذئب في غبرة ثيابه.

ـ طوف :

يقال لشدة سواد الليل الطُّوفان. والطوفان ظلام الليل.

ـ طيف :

الطِّياف سواد الليل، وأنشد الليث

عقبانَ دجنٍ بادرت طيافا

ظ

ـ ظلم :

أظلم الليل: أسود. شعر مظلم: شديد السواد. ونبتٌ مظلم: ناضر يضرب إلى السواد من خضرته. والظَّلم: الثلج. والظلم: الماء الذي يجرى

ويظهر على الأسنان في صفاء اللون لا من الريق كالفرند، حتى يتخيل لك فيه سواد من شدة البريق والصفاء. قال شمر: الظّلم بياض الأسنان كأنه يعلوه سواد، والغروب ماء الأسنان. الجوهري: الظّلم بالفتح ماء الأسنان وبريقها، وهو السواد داخل عظم السن من شدة البياض كفرند السيف، وقيل الظَّلم رقة الأسنان وشدة بياضها.

ـ ظمى :

شفة ظمياء بينة الظَّمى إذا كان فيها سمرة وذبول. وظل أظمى: أسود. ورجل أظمى أسود الشفة. الأصمعي: من الرماح الأظمى غير مهموز وهو الأسمى. أبو عمرو: ناقة ظمياء وإبل ظَمْسٌ إذا كان لونها أسود.

ع

ـ عتك :

عَتكت القوس تعتك عتكا وعتوكا هي عاتك: احمرت من القِدم وطول العهد. والعاتكة القوس إذا قدمت واحمرت. وامرأة عاتكة محمَّرة من الطيب، وسميت المرأة عاتكة لصفائها وحمرتها. أحمر عاتك شديد الحمرة. والعتيك الأحمر من القدم. وأحمر عاتك وأحمر أقشر إذا كان شديد الحمرة. ولون عاتك خالص أي لون كان. والعاتك الخالص من كل شيئ ولون. وعرق عاتك: أصفر.

ـ عرق أرطاة :

يقال بعير أحمر وناقة حمراء. وإذا بولغ في نعت حمرته قيل: عرق أرطاة، ويقال أجلد الإبل وأصبرها الحمر.

قال الأزهري: عروق الأرطاة حمر زاهية في ثرى الرمال الممطورة في الشتاء، تراها إذا انتثرت واستخرجت من الثرى حمرا ريانة مكتنزة يقطر منها الماء فشبه الإبل في حمرة ألوانها وسمنها وحسنها واكتناز لحومها وشحومها بعروق الأرطى.

ـ عرم :

العرم والعرمة لون مختلط بسواد وبياض في أي شيء كان. وقيل تنقيط بهما من غير أن يتسع. كل نقطة عرمة. الحية العرماء التي فيها نقط سود وبيض. قال ثعلب: العرم من كل شيئ ذو لونين. الأعرم الأبرش. ويقال للأبرص الأعرم والأنقع، ودهر أعرم أي متلون.

وبيضة عرماء وقطيع أعرم إذا كان فيهما سواد وبياض، وإذا وقع ذلك بان أحد اللونين من صاحبه.

ـ عصب :

العُصب غيم أحمر تراه في الأفق الغربي، يظهر في سنى الجدب، قال الفرزدق:

إذا الغضب أمسى في السماء كأنه سَدَى ارْجُوانٍ واستقلت عبورها

وقد عصب الأفق يعصب أي احمر

ـ عظلم :

عصارة شجر لونه كالنيل أخضر إلى الكدرة، والعِظْلِم صبغ أحمر. وقيل هي الوسمة. وليل عظلم مظلم على التشبيه.

ـ عفر :

العُفرة غبرة في حمرة: والأعفر من الظباء الذي تعلو بياضه حمرة وثريد أعفر مبيض. الأعفر الرمل الأحمر. والأعفر الأبيض وليس بالشديد البياض، وماعزة عفراء خالصة البياض.

ـ علط :

العُلطة والعلط: سواد تخطه المرأة في وجهها تتزين به، وكذلك اللُّعطة. ولُعطة الصقر: سُفعة في وجهه. ونعجة علطاء بِعُرْضِ عنقها علطة سوداء وسائرها أبيض.

ـ عندم :

العندم: شجر أحمر. وقال بعضهم: العندم دم الغزال بلحاء الأرطي، يطبخان جميعا حتى ينعقدا، فتختضب به الجواري.

ـ عنم :

قيل العَنَم أغصان تنبت في سوق العضاة (الشجر) رطبة، لا تشبه سائر أغصانها، حمر اللون. وقيل هو ضرب من الشجر له نور أحمر، تشبه به الأصابع المخضوبة، وقيل العنم ثمر العوسج يكون أحمر، ثم يسود إذا نضج.

ـ عيس :

العيس: بياض يخالطه شيئ من شقرة، وقيل هو لون ابيض مُشْرَبٌ صفاءً في ظلمة خفيفة. وحجل أعيس وناقة عيساء وظبي أعيس فيه أدمة. وقيل: العيس الإبل تضرب إلى الصفرة. ورحل أعيس الشعر ابيضه.

ـ عين :

عيون البقر: عنب أسود ليس بالحالك، عظام الحب، مدحرج يُزَبِّبُ وليس بصادق الحلاوة. وثور معين: بين عينيه سواد. والمعَّين من الجراد: الذي يسلخ فتراه ابيض وأحمر. والمعيَّن الذي ينسلخ فيكون أبيض وأحمر.

غ

ـ غبر :

الغُبرة : لون الغبار. وقد غَبَر وأغبر اغبراراً وهو أغبر.

والغبرة اغبرار اللون يغبر للهمِّ ونحوه .

ـ غبس :

الغبس والغُبسة لون الرماد وهو بياض فيه كدرة . والورد الأغبس من الخيل هو الذي يدعوه الأعاجم السَّمند . وقال اللحياني : يقال غبس وغبش لوقت الغلس ، وأصله من الغبسة وهو لون بين السواد والصفرة ، وحمار أغبس إذا كان أدلم ، وغبس الليل ظلامه من أوله وغبشه في آخره .

ـ غثر :

الأغثر الذي فيه غبرة ، ويسمى الطُّحلُب الأغثر ، والغثرة غبرة إلى خضرة ، وقيل الغُثرة شبيهة بالغبشة يخلطها حمرة . قال ابن الأعرابي : الضبع فيها شُكلة وغُثرة ، أي لونان من سواد وصفرة سمجة ، وذئب أغثر كذلك ، والأغثر : طائر ملتبس الريش ، طويل العنق ، في لونه غبرة ، وهو من طير الماء .

ـ غثم :

الغثمة والعثمة شبيهة بالورقة ؛ والأغثم الأورق . والغثمة أن يغلب بياض الشعر سواده .

ـ غدف :

الغداف الغراب . ويقال أسود غدافي إذا كان شديد السواد ، نسب إلى الغداف . وقيل كل أسود حالك غداف .

ـ غرب :

الغراب الطائر الأسود ، والجمع أغربة وغربان . والعرب تقول : ازهى من غراب وأشد سوادا من غراب . وأغربة العرب سودانهم شبهوا بالأغربة في لونهم . ومنهم في الجاهلية عنترة ، وخفاف بن ندبة السلمى ، وسُليك بن السُّلكة . والغريب ضرب من العنب بالطائف شديد السواد . والغَرَب الزرق في عين الفرس مع ابيضاضها ، وعين مغربة زرقاء بيضاء الأشافر والمحاجر ، والمغرب الأبيض . وقال ابن الأعرابي : الغربة بياض صرف ، والمغرب من الإبل الذي تبيض أشافر عينيه وحدقتاه وهُلبه وكل شي منه . والمغرب من الخيل الذيَ تتسع غرته حتى تجاوز عينيه وقيل المغرب الذي كل شئ منه ابيض . والمغرب الصبح لبياضه ، والغربي صبغ .

وفي الألوان الإغراب وليس بناصع الحمرة ، فإذا ابيضت الأرفاغ ، وهي أصول الفخذين مما يلي الخاصرة والمحاجر والأشفار فهو مغرب ، فإذا ابيضت الحلقة فهو أشد الأغراب .

ـ غضب :

الغَضْب الحمر الشديد الحمرة . الكسائي قال : إذا ألْبَسَ الجُدري جلد المجدور قيل : أصبح جلده غَضبة واحدة

ـ غلس :

الغلس : ظلام آخر الليل . قال أبو منصور : الغلس أول الصبح حتى ينتشر في الآفاق ، وكذلك الغبس ، وهما سواد مختلط ببياض وحمرة ، مثل الصبح سواء .

ـ غمر :

قال أبو عمر : الغُمرة تطلى به العروس يتخذ من الورس . قال ابن سيده : الغُمرة والغُمر وقيل الورس وقيل الجص ، وقيل الكُركم . وثوب مغمَّر مصنوع من الزعفران . وجارية مغمَّرة مطلية ، وقد غمَّرت المرأة وجهها تغميرا ، أي طلت به وجهها ليصفو لونها ، وتغمرت مثله . وليل غَمْر شديد الظلمة .

وقيل : الغمير ما كان في الأرض من خضرة قليلا ، وقيل : هو الأخضر الذي غمره اليبس .

ـ غهب :

الغهب : شدة سواد الليل والجمل ونحوه . ويقال : جمل غيهب مظلم السواد . الغيهب من الرجال الأسود ، شبه بغيهب الليل ، وأسود غيهب شديد السواد ، وليل غيهب مظلم ، وفي حديث قُس : ارقُب الكوكب وأرعى الغيهب . الغيهب الظلمة . وفرس أدهم غيهب إذا اشتد سواده . قال أبو عبيد : أشد الخيل دُهمة الأدهم الغيهبي ، وهو أشد الخيل سوادا ، والأنثى غيهبة ، والدَّجوجى دون الغيهب في السواد وهو صافي لون السواد .

ف

ـ فحم :

فحمة العشاء شدة سواد الليل وظلمته ، وإنما يكون ذلك في أوله ، حتى إذا سكن فَوْرُهُ قلت ظلمته . والفاحم من كل شئ الأسود بين الفحومة ، ويبالغ فيه فيقال : أسود فاحم . وشعر فحيم أسود .

ـ فدم :

المفدّم من الثياب المشبع حمرة ، وقيل هو الذي ليست حمرته شديدة . وأحمر فدم مشبع . وفي الحديث أنه نهى عن الثوب المفدم ، هو المشبع حمرة ،

كأنه الـذي لا يقدر على الزيـادة عليه لتناهـي حمرته، فهو كـالممتنع من قبول الصبغ، ومنه حـديث عروة: أنـه كره المفدم للمحـرم ولم ير بـالمضَرَّج بأسا، والمضَرَّج دون المفدم وبعده المورَّد.

ـ فضح :

يقال: فضحه الصبح إذا دهمه بفضيحته وهي بياضه. فالأفضح الأبيض ليس بشـديد البيـاض. وقيل الفُضحة والفضح غُبرة في طحلـة يخالطها لـون قبيح يكون في ألوان الإبل والحمام. وأفضح البسر إذا بدت الحمرة فيه وأفضح النخل: أحمر واصفـرّ. والأفضح الأسـد للـونـه، وكـذلك البعير، وذلك من فضح اللون.

ـ فقح :

هـو نور الإذخـر إذا تفتح برعـومه، وكل نـور تفتح فقد تفقح، وكـذلك الفرو وما أشبهه من براعيم الأنوار، وتفقحت الوردة تفتحت. وعلى فلان حلة فقَّاحيَّة، وهي على لون الورد حين هم أن يتفتح.

ـ فقع :

الفقع شدة البياض وأبيض فقاعي خالـص منه. والفاقع خالص الصفرة الناصعها. ومنه أصفر فاقع: شديد الصفرة. وأحمر فاقع يخلط حمرته بياض. وقيل هو الخالص الحمرة. ويقال للرجل الأحمر فقـاعي وهو الشديد الحمرة. وقيل الفاقع الخالص الصـافي من الألوان أي لـون كان. ويقال أصفـر فاقع، وأبيض ناصع، وأحمر ناصع أيضا، وأحمر قانئ.

ـ فنن :

قال عكرمة: في قوله تعالى - ذواتا أفنان -: ظل الأغصان على الحيطان. وقـال أبو الهيثم: فسره بعضهم ذواتـا أغصـان. وفسره بعضهم ذواتا ألـوان، واحدها حينئذ فن وفنن. قال أبو منصور: واحد الأفنان إذا أردت بها الألوان فن. وإذا أردت بها الأغصـان فواحـدهـا فنن. وفي الحديث: أهل الجنة مُـرد مكحَّلون أولو أفـانين، يريد أولو شعور وجمم. وافـانين جمع أفنان وافنان جمع فنن وهو الخصلة من الشعر شبه بالغصن.

ـ فوف :

الفوف البياض يكون في أظفار الأحداث وكذلك الفوف. قال الجوهري: الفوف الحبة البيضاء في باطن النواة التي تنبت منها النخلة.

ق

ـ قتم :

القتمة سـواد ليس بشديد، الأقتم: الـذي يعلوه سواد ليس بالشـديد، وسنة قتماء: شـاحبة. وقتم وجهه قتومـا تغير. وأسود قاتم وقاتن، مبـالغ فيه كحالك. والقاتم الأحمر. وقيل هو الذي فيه حمرة وغبرة.

ـ قرح :

القُرحة: الغرة في وسط الجبهة. وقيل: إذا صغرت الغرة فهي قرحة، وفي الحديث: خير الخيل الأقرح المحجل. والأقـرح الصبح لأنه بيـاض في سواد وروضة قرحاء في وسطها نَوْر أبيض. والقُرحان ضرب من الكمأة بيض صغار ذوات رؤوس كرؤوس الفُطر.

ـ قرطس :

يقال للجـارية البيضاء المديـدة القامة قرطـاس. ودابة قرطـاسيٌّ إذا كان ابيض لا يخالط لونه شية، فإذا ضرب بياضه إلى الصُّفرة فهو نرجسي.

ـ قرف :

القرف لحاء الشجر. والقرف الأديم الأحمر كأنـه قرف فبدت حمرته. وأحمر قرف شديد الحمرة.

ـ قرمز :

القرمز صبغ أرمني أحمر يقال أنه مـن عُصارة دود يكون في آجامهم، وهو فارسي معرب

ـ قمر :

القُمر لـون إلى الخُضرة، وقيل بيـاض فيه كدرة. قـال ابن قتيبـة: الأقمر الأبيض الشديد البياض.

ـ قلب :

القلب الحيـة البيضـاء على التشبيـه بـالقلب من الأسـورة. وفي حـديث ثـوبان: أن فـاطمة حلت الحسن والحسين رضي الله عنهم بقلبين من فضـة. القلب السـوار. وقلبت البُسرة إذا احمرت. قـال ابن الأعرابي القلبـة الحمـرة. الأموى في لغـة بلحارث بن كعب. القالب بالكسر البُسر الأحمر. يقـال منه: قلبت البسرة تقلب إذا احمرت. وقال أبـو حنيفة: إذا تغيرت البُسرة كلها فهي القالب. وشاة قالب لون إذا كانت على غير لون أمها.

ـ قنف :

الأقنف الأبيض القفا من الخيل. قال أبو عمرو: القنف واللَّخن البياض الـذي على جردان الحمار. ومن الأحـاجي: مـا أقنف شطـرا، أسود ظهـرا، يمشي قمطرا، ويبول قطرا؟ وهو القنفد. وقوله يمشي قمطرا أي مجتمعا.

فصاحة

حبس الرشيد أبا العتاهة الشاعر، فكتب الأخير على حائط سجنه :

أما والله إن الظلم شؤم ... وما زال المسيئ هو الظلوم
إلى ديان يوم الدين نمضي ... وعند الله تجتمع الخصوم
ستعلم في المعاد إذا التقينا ... غداً عند المليك مَن الظلوم

وحدث أن قرأ الرشيد ذلك فبكى بكاءً مُراً، ودعا بأبي العتاهية فاستحله ووهب له ألف دينار وأطلقه .



أطول جناحين

طائر القطرس يعد صاحب أطول جناحين بين الطيور الحية، فمعدل الاتساع ١٥ , ٣ متراً، وهو من الطيور النادرة ويعيش في الشمال .

U.P.I عربية !

أخيرا؛ أصبحت وكالة الأنباء الشهيرة «يونايتد برس أنترناشيونال U.P.I. عربية، واكتسبنا تواجداً عربياً في ٩٠ دولة تستفيد من أنباء هذه الوكالة الإعلامية، وذلك بعد نجاح مركز تليفزيون الشرق الأوسط (MBC) في الفوز بصفقتها، حيث كانت معروضة للبيع بعد تعثرها في تغطية تكاليفها منذ ما يقرب من ربع قرن . .

معروف أن هذه الوكالة إحدى أهم خمس وكالات أنباء في العالم، وقد تأسست عام ١٩٠٧م ووزعت أخبارها على ٣٦٩ صحيفة، وبلغ عدد المطبوعات التي تستخدم أخبارها منذ عام ١٩٣٢م أكثر من ألف مطبوعة في العالم . .

السؤال الهام الآن :

- هل سنشكو (كما هي الحال) من عدم التوازن في التدفق الإعلامي - رغم هذه الفرصة ؟!

مناقب للتصدير



النصوص اليهودية الدينية تتضمن حكايات ومسامرات ومغامرات مسلية حقاً، تنطق بأنها ألصقت بالأشخاص الذين تتحدث عنهم بعد موتهم بقرون طويلة، كان لا بد منها حتى تنضج هذه الأساطير، وتنتشر، وتتكرر، فيتخيل سامعوها أنها حقائق. ولا تفلت الأرقام من هذه البحبحة. «إذ نهض الشيطان في إسرائيل ووسوس لداود أن يحصى الأمة. فقال داود ليوءآب (قائده) ولرؤساء الشعب: اذهبوا وأحصوا إسرائيل من بئر سبع (جنوبا) إلى دان (شمالا) وارفعوا إليّ عددهم فأعرفه» - أخبار الأيام الأول ٢١ : ١ - ٢ . فقدم يوءآب جملة عدد الشعب إلى داود، فكان إسرائيل (الشمال) كلهم مليون ومائة ألف رجل مدجج بسيفه، ويهود (الجنوب) أربعمائة وسبعين ألف رجل ممتشق سيفه أيضا، ولم يحص سبط بنيامين ولا سبط اللاويين في هذا العدد، لأن أمر الملك كان مكروها عنده، كما كره الله ذلك فضرب إسرائيل. فقال داود لله: لقد ارتكبت خطأ جسيماً بإنفاذ هذا الأمر فتجاوزه الآن عن خطيئة عبدك، فقد ارتكبتها بحماقة كبيرة، فكلم الرب جاداً - عرّاف داود - قائلاً: امضِ وقل هكذا يقول الرب: إني عارض عليك ثلاثاً فاختر لنفسك واحدة منها فأنزلها بك. إما ثلاث سنين جوعاً، وإما ثلاثة أشهر تهرب فيها أمام أعدائك وسيف أعدائك يدركك، وإما ثلاثة أيام يكون فيها سيف الرب والوباء في الأرض، وملاك الرب يدمّر في جميع تخوم إسرائيل . . . فبعث الرب وباءً في إسرائيل، فسقط من إسرائيل سبعون ألف رجل، وبعث الله ملاكا إلى أورشليم ليدمرّها وعندما كان يدمّر، نظر الرب فندم على الشر، وقال للملاك المهلك: كفى! فكُفّ الآن يدك! (سفر أخبار الأيام الأول ٢١ : ١ - ١٦).

والآن، نحن أمام جيش يهودي قوامه نحو مليوني جندي مسلح، بعد أن استثنينا اللاويين وسبط بنيامين من (كمبيوتر) يوءآب. وإذا كنا نعلم أن التعبئة العامة للقتال في كل أمة لا يمكن أن تتجاوز عُشْرَ العدد العام للسكان، كان علينا أن نؤمن بأن مملكة داود كانت تتجاوز العشرين مليونا من اليهود، دون أن نعدّ مُساكنيهم من (الجوييم = الكفّار) أي الفلسطينيين والمؤابيين والعمونيين والفرزيين والحويين واليبوسيين وغيرهم! مع العلم بأن التعداد المنسوب إلى داود لم يدخل فيه عدد الشبان ممن كانوا دون العشرين! (سفر أخبار الأيام الأول، ٢٧ : ٢٣). ولو كان حكماء التلمود معاصرين لاختراع (الحاسوب) لنادوا بتحريم استعماله، لأنهم كانوا يتشاءمون من الاحصاء، ولأن الربّ قال لإبراهيم: إن عدد ذريته يستحيل إحصاؤه كنجوم الليل ورمل البحار!

أ. د. حسن ظاظا

www.ahlaltareekh.com

طبيبك

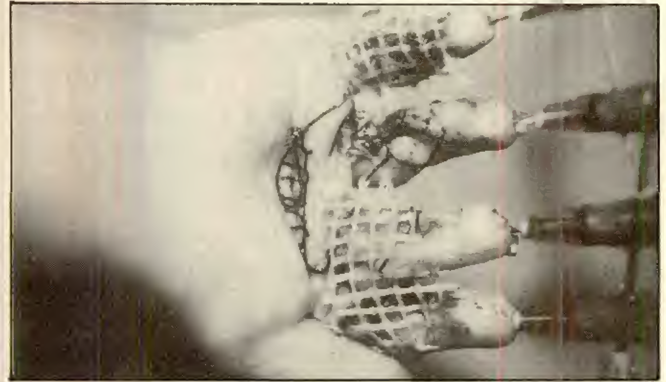
طبية خاصة تقدمها لك مجلتك (الفيصل)، استضافت فيها أطباء واختصاصيي «مستشفى دلّة» للإجابة عن أسئلتكم واستفساراتكم. ويسعد هذا الباب أن يتلقى رسائلكم وإفادتكم بالنتيجة . .

عيادة

إعادة زراعة الأطراف

القارئة سميرة عبدالرحمن ظاهر من الخرطوم أرسلت إلى الصفحة تقول:

«تحية طيبة لكافة القائمين على مجلة (الفيصل) ويسعدني أن أتوجه بسؤال إلى الصفحة الطبية عن إمكان نقل إحدى أصابع القدم إلى اليد؟



وبتوجيه السؤال إلى الدكتور فؤاد محمد راغب جراح التجميل والإصلاح بمستشفى دلّة أجاب قائلاً:

أصبحت إعادة زراعة الأطراف المبتورة من العمليات الناجحة بعد أن كانت حلمًا، وذلك نتيجة لتقدم الجراحة المجهرية وجراحة التجميل والإصلاح، وأصبح إجراء مثل هذه الجراحات الهامة جزءًا هاماً من تدريب جرّاح التجميل . . فإعادة زراعة الأصابع المبتورة والأيدي أصبحت تجرى بنجاح في معظم مراكز التجميل.

وقد ساعد على ذلك ما وهبه الله ليد الجرّاح الماهر من دقة، حيث إنه وجد أن أصابع الجراح يمكن لها أن تؤدي حركات دقيقة لا يمكن كشفها إلاّ تحت المجهر الجراحي.

وترتكز هذه الجراحات أساساً على إعادة توصيل الشرايين والأوردة التي يكون قطرها حوالي «١» مليمتر من الإصبع وحوالي ٣ مليمتر من الساعد، ويتم التوصيل باستعمال خيوط جراحية لا تكاد ترىٰ إلاّ تحت المجهر الجراحي وباستخدام آلات جراحية دقيقة، وعندما يتأكد الجراح من وصول الدورة الدموية للطرف يتم إيصال الأوتار والأعصاب ويوضع المريض تحت العناية المركزة، لمدة لا تقل عن أسبوعين حتى يتم كشف أي انسداد في هذه الأدعية الدموية ويتم معالجته سريعاً.

وقد تطورت في الفترة الأخيرة جراحة نقل إحدى أصابع القدم إلى اليد وذلك لإستعاضة إصبع الإبهام المبتورة والذي يعتبر مسؤولاً عن حوالي ٥٠٪ من وظيفة اليد.

اختلاف فصائل الدم

- القارئة حنان عباس من الرياض تسأل عن اختلاف فصائل الدم بين الأزواج وأثره على الأطفال؟



وبإحالة السؤال إلى الدكتورة سامية مكارم أستاذة الباثولوجيا الإكلينيكية وأخصائية المختبر بمستشفى دلّة أجابت قائلة:

- في الإنسان يوجد ٤٠٠ انتيجية على كرات الدم الحمراء و٢٠ فصيلة دم مختلفة أهمها اكلينيكياً ومناعياً هو " A B O" و "R H" لما تكونه من جيوبلونات مناعية قوية ينتج عنها تكسير في كرات الدم الحمراء عند نقل دم من فصيلة مختلفة، أو في الجنين داخل رحم الأم (التي تكون سلبية العامل ريسوس)

واختبارات الأنتيجيات على كرات الدم الحمراء لتحديد الفصائل مهمة اكلينيكيًا في الحالات التالية: نقل الدم، نقل الأعضاء، إثبات البنوة في الطب الشرعي وعلم الأجناس.

والنوع الرئيسي لفصائل الدم هو "A B O" وأهم أنتيجيات به هي **"A"** و "B"، وعن طريق مضاد **"A"** و "B" الذي يحضّر من مصل الدم في الإنسان يمكن تقسيم فصائل الدم في الإنسان إلى المجموعات الآتية

فصيلة "A" وتحمل أنتيجين "A" على خلايا الدم الحمراء ومضاد "B" في مصل الدم.

- فصيلة " A B" تحمل أنتيجين **"A"** و "B" على خلايا الدم الحمراء ولا توجد أي أجسام مضادة في مصل الدم.

- فصيلة "O" ولا يوجد أي أنتيجينات على الخلايا الحمراء ولكن يوجد مضاد للأنتيجينات **"A"** و "B" في مصل الدم.

النوع الثاني من انتيجينات الدم له أهمية اكلينيكية هو "RH" عامل ريسوس والأنتيجينات الهامة به هي **"Ee"** و **"Dd"** و "Cc" أهمها أنتيجين "D" لأنه يسبب أجساماً مناعية قوية فعند تحديد فصيلة الدم (ABO) للمتطوعين والحاصلين على دم لا بد من معرفة هل هذا الشخص سلبي أو إيجابي لعامل ريسوس "RH" فالغالبية في الإنسان ٨٥٪ إيجابية وتحمل هذا الإنتيجين، وأهميته أن الشخص السلبي لعامل ريسوس "RH negativa" لا بد أن يحصل على دم سلبي أيضاً حتىٰ لا تتكوّن مضادات مناعية في جسمه تسبب

ثلاث طرق فقط ثبت دورها في نقل هذا المرض الخطير

تكسير الدم. **ويظهر هذا التأثير واضحاً عند زواج سيده سلبية لعامل ريسوس بزوج إيجابي لهذا العامل. . عند حدوث حمل لطفل إيجابي مثل الوالد يكوّن جسم الطفل مضادات مناعية لكرات دمه ممّا يتسبب في وفاة الطفل داخل الرحم أو بعد الولادة، ويمكن تفادي ذلك بإعطاء الأم السلبية لعامل ريسوس جلد بيولين مناعي عقب الولادة مباشرة وبذلك نضمن سلامة المولود.**

خطر نقص المناعة

القارئ: عبدالحكيم سالم من الجزائر العاصمة؛ يسأل الصفحة عن إمكان انتقال مرض نقص المناعة المكتسبة المعروف بـ «الإيدز» عن طريق الملامسة أو عن طريقه العطس والشرب في كأس شخص مصاب بالمرض؟

وقد أجابت على هذا السؤال - أيضا -

الدكتورة سامية مكارم؛ قائلة:

* لقد تمت بعض الأبحاث عن إمكان احتمال العدوى المباشرة بالإيدز عن طرق مثل: العطس والمشاركة في أدوات المنزل ولكن لم يثبت عملياً دورها الفعال في نقل مرض الإيدز ولكن ما ثبت للآن فقط هو العدوى من ثلاث طرق هي:

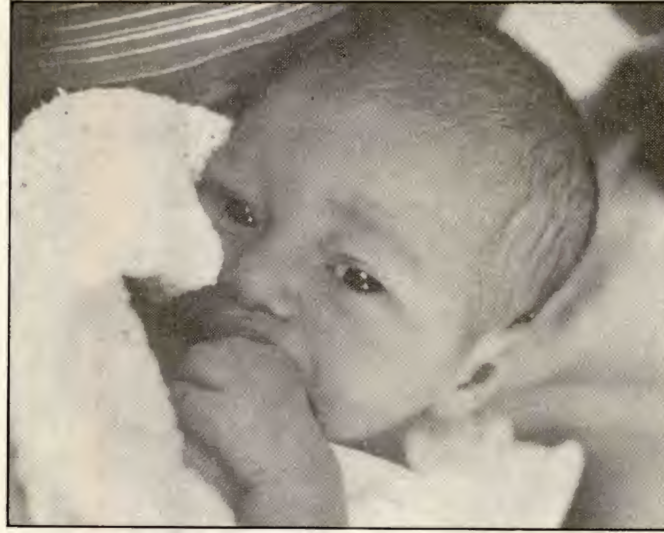
١ - الاتصال الجنسي بكل أنواعه وتزداد نسبة العدوى إذا كان هناك اتصال جنسي بأكثر من شريك - أو كثرة عدد مرات الاتصال - أو الاتصال الجنسي مع شخص معدي.

٢ - العدوى عن طريق أخذ الدم أو أحد مشتقاته من أحد المصابين

- إدمان الأدوية المخدرة وتعاطيها في الوريد مع اشتراك أكثر من شخص في حقنة واحدة وبذلك تنتقل العدوى من المريض إلى السليم.

٣ - انتقال العدوى من الأم المصابة إلى طفلها أثناء الحمل - أو الولادة - أو بالرضاعة.

* وبالرغم من وجود فيروس الإيدز في سوائل الجسم المختلفة مثل: الدم - البلازما - اللبن - السائل المنوي - الدموع - اللعاب - سائل النخاع الشوكي - نخاع العظام - البول و إفرازات المهبل. فهذا لا يسبب بالضرورة أو بالتأكيد انتقال العدوى بالإيدز عن طريق هذه الإفرازات؛ لأن انتقال فيروس الإيدز ليس بهذه السهولة؛ وذلك للأسباب الآتية:



١ - لا بد من تواجد **الفيروس** نفسه في هذا السائل.

٢ - لا بد من تواجد **فيروس الإيدز حي وبطريقة ثابتة** في هذا السائل

٣ - لا بد من انتقال الفيروس لشخص قابل للعدوى.

٤ - لا بد من اختراق الفيروس لأنسجة الجسم لكي يصل إلى مكان العدوى المخصص وهو ممرات الدم البيضاء ليصبح فعالاً. وللآن لم تثبت عدوى بمرض الإيدز - بدون اتصال جنسي - أو عدوى عن طريق الحقن في الوريد أو نقله من أم مريضة.

ردود خاصة

القارئ محمد عبدالسلام - طرابلس - ليبيا سبق أن أجبنا عن سؤال لأحد القراء عن **أسباب تكوّن حصىٰ الجهاز البولي** في العدد (١٨٤) من المجلة ولأن العدد كما تقول في رسالتك - لم يصل إليك

نوجز لك إجابة الدكتور إيلي فارس استشاري جراحة الكلىٰ والمسالك البولية في مستشفى دلة بما يلي:

- **أسباب تكوّن حصى الجهاز البولي كثيرة ومن أهمها**: الجفاف الناتج عن عدم شرب الماء والسوائل، فمن المعروف أن الجسم يفقد كل يوم ما يقارب ليتراً ونصف الليتر من الماء في العرق والبول والتنفس، وعند التكلم، وعلى كل شخص أن يعوّض ذلك بشرب الماء، أمّا المرضىٰ الذين يتكرر عندهم تكوين الحصىٰ فيجب البحث عن أسباب أخرى عضوية مثل وجود تحلُّل في تصريف الكالسيوم أو زيادة في إفرازه، وكذلك بعض الحوامض الأخرى كحامض البول وغيرها، وتكون الوقاية على أية حال بشرب الماء بما يقارب ثلاثة ليترات في اليوم لأن علاج هذه الحالات ليس سهلاً، أما آثار تكرر الحصى في الكلى فلم تعد بالأهمية التي كانت عليها عندما كان العلاج الوحيد هو الجراحة.

□ **القراء الأفاضل: محمد الريمي - وجدة - المغرب، حمد عبدالقدوس - الزقازيق - مصر، علي أحمد هويدي الرياض، س.ج عالم - مكة المكرمة، علياء أحمد - ليبيا.**

أسئلتكم جميعها سبق الإجابة عنها في أعدادنا السابقة وبإمكانكم الرجوع إليها.

□ **القارئ: م. أبو عباة**: بعرض سؤالك على الطبيب المختص أشار بوجوب مراجعة الاختصاصي مباشرة.

يا عربي

شعر: سعد البواردي

يا عربي . . اخرج من ربقة صمتك
اخرج . . من سقطة صوتك
أثبتْ أنك حي
أكثر من صمت
أكبر من صوت
أنك تعشق في العزة موت
أنك إنسان قوي . . وأبي
أنك مخلوق يرى أقداره فيه اقتدارا
ويرى الظلمة إن رانت . . بما يعطي نهارا
ويرى الكبوة في الميدان دفعاً وانتصاراً



يا عربي . .
ما جئنا لنحني الهام للأوهام ذلا.
لا . . ولن نبسط أيدينا . .
ولن نلقمها في الضعف غلا
نحن جئنا مثل ما جاء الناس
بأنفاس . . وبإحساس
بأعراس . . وبأجراس . .
فلنقرع أجراس العيد
لنغني في صبحه أحلى نشيد . .
ولنهتف في ملحمة النصر:
«إن العمر جهاد . . وعقيدة
لم يكن نثراً يُغني . . أو قصيدة»
أُتخمتْ أعماقنا من نثرنا . .
أثقلت أوراقنا من شعرنا
أَطبقت أحداقنا من هجرنا
ملَّنا الحرفُ . . وضاقت كلماته
ملَّنا القيثار . . ماتت نغماته
وتوارى عن ربانا البلبل الصداح
ضاعت أغنياته . .



يا عربي . .
الحرية فينا مهزومه
والنفس لدينا مكلومه
والعدوان المطبق في كل مكان
تنهشنا منه أظافره والأسنان
لم يبق لنا حتى الأكفان
حتى تمتمة الغفران
لا بُدَّ لنا من صحوه
فلننهي مرحلة الغفوه



يا عربي . .
يا أمي . . وأبي
لا بد لنا من صحوه
إن كنا أحياء
إن كنا أحفاد الكرماء
إنه العمر «كرامه»
إنها العُرب «الكرامه»

مسابقة مجلة الفيصل

١ ـ الإخوة القراء الأعزاء :

جوائز قيمتها ٤٥٠٠ ريال تقدمها المجلة لأصحاب الحلول الفائزة، على النحو التالي :

أ ـ جائزتان قيمة كل جائزة ٣٥٠ ريالاً
ب ـ جائزتان قيمة كل جائزة ٣٠٠ ريال
ج ـ جائزتان قيمة كل جائزة ٢٥٠ ريالاً
د ـ جائزتان قيمة كل جائزة ٢٠٠ ريال
هـ ـ جائزتان قيمة كل جائزة ١٥٠ ريالاً
و ـ ٢٠ جائزة قدر كل منها ١٠٠ ريال

٢ ـ شروط المسابقة :

أ ـ المطلوب :

الإجابة عن جميع الأسئلة،

وإرفاق الإجابات مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحًا عليها الاسم ثلاثيًا أو رباعيًا ـ إن أمكن ـ مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز.

ب ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي :

مسابقة مجلة «الفيصل»
ص . ب ٣ الرياض ١١٤١١
المملكة العربية السعودية
(مع ذكر رقم المسابقة على الظروف)

جـ ـ أية إجابة تصل بعد ٤٥ يومًا (حسب التقويم الهجري) من صدور العدد لا يلتفت إليها.

د ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة.

هـ ـ الأسئلة لم تعد مأخوذة من الموضوعات المنشورة بالمجلة وذلك لإفساح مجال البحث لدى القارئ في مصادر معلومات أخرى.

• أجوبة مسابقة العدد (١٨٢) •

ج ١ : من أقوال العلماء في قراءة الفاتحة ووجوبها على المأموم :

أ ـــ عند أبي حنيفة ومن وافقه من أصحابه أنها لا تتعين، بل مهما قرأ به من القرآن أجزأه، واستدلوا بعموم قوله تعالى : ﴿فاقرءوا ما تيسر من القرآن﴾ . وبما ثبت في الصحيحين من حديث المسيء صلاته ؛ وفيه أن النبي ﷺ قال له : «ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن»، فأمره بقراءة ما تيسر، ولم يعين له الفاتحة.

ب ـــ عند بقية الأئمة (مالك والشافعي وأحمد) أنه يتعين قراءة الفاتحة، ولا تجزىء الصلاة بدونها، لعدة أحاديث منها : قوله ﷺ : «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن ـــ وفي رواية : بفاتحة الكتاب ـــ فهي خداج هي خداج غير تمام»، وحديث : «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»، وحديث : «لا تجزىء صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب»، وفي بعض طرق حديث المسيء صلاته «ثم اقرأ بأم القرآن» . والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

أما وجوب قراءتها على المأموم ففيه ثلاثة أقوال للعلماء :

الأول : أنه تجب عليه قراءتها كما تجب على الإمام لعموم الأحاديث المتقدمة.

الثاني : لا تجب على المأموم قراءة بالكلية، لا في الجهرية ولا في السرية، لقوله ﷺ : «من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة».

الثالث : تجب القراءة على المأموم في السرية لا في الجهرية لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : «إنما جعل الإمام ليؤتم به، فإذا كبّر فكبّروا، وإذا قرأ فأنصتوا» . إلا أن مذهب الجمهور أن قراءتها شرط لصحة الصلاة، فمن تركها على القدرة عليها لم تصح صلاته.

□ □ □

ج ٢ : هو الإمام محمد بن إدريس الشافعي . ولد بغزة ـ من أعمال فلسطين سنة ١٥٠هـ، وتوفي ـ رحمه الله ـ سنة ٢٠٤ هـ بمصر.

□ □ □

ج ٣ : هناك عدة صحف ظهرت في بلدان عربية مختلفة تحمل اسم «الرائد» نذكر منها :

الرائد : أسسها عبد الفتاح أبو مدين ـ (١٩٥٩م ـ السعودية)، الرائد : أسسها محمد الصادق باشا باي تونس ـ ١٨٦٠م (أو ١٨٦١م على خلاف بين المصادر ـ تونس)، الرائد : أسسها عبد الرحيم قليلات (١٩١٢م ـ السودان)، الرائد : أسسها أمين أبو شعر (١٩٤٥م ـ الأردن)، الرائد : أسسها جبر جوهر (١٩٣٤م ـ لبنان)، وغيرها.

□ □ □

ج ٤ : الغدة الكظرية، هي عضو صغير يرتكز على أعلى الكلية، وهي إحدى الغدد الصماء، وتتألف من جزئين مختلفين : أحدهما سطحي ويسمى القشرة، والآخر غائر ويسمى اللب . يفرز كل منهما هرموناً خاصاً به ؛ فهرمون القشرة ويسمى (كورتين) له علاقة بأيض النشويات وبالوظائف الجنسية . وهرمون اللب ويسمى الأدرينالين، وله علاقة بالجهاز العصبي السمبتاوي، وكذلك يتأثر إفرازه بالحالة العاطفية للشخص ؛ فيزداد مقدار الإفراز عند الغضب والخوف مثلاً، ويؤدي ذلك إلى سرعة خفقان القلب وارتفاع ضغط الدم . ومرض أي الجزئين من الغدة الكظرية، يؤدي إلى اعتلال الصحة بدرجة خطيرة.

□ □ □

ج ٥ : أسس هذا المتحف ؛ جرترود فاندربلت وتني سنة ١٩٠٣م، ويضم أعمالاً بالألوان المائية والزيتية والنحت . اشتري معظمها من فنانين وهم على قيد الحياة.

□ □ □



● نتائج مسابقة العدد (١٨٢) ●

م	اسم الفائز	العنوان	قيمة الجائزة بالريال
١	الأخت منيرة عبد الله القبلان	الرياض ـ المملكة العربية السعودية	٣٥٠
٢	الأخ هيثم حسن فتحي كامل	دبي ـ الإمارات العربية المتحدة	٣٥٠
٣	الأخ كمال أبو اليزيد شبارة	كفر الزيات ـ مصر	٣٠٠
٤	الأخت زينت بنت سعد السلمي	الدار البيضاء ـ المملكة المغربية	٣٠٠
٥	الأخ أديب محمد خليل الفزاري	دمشق ـ الجمهورية العربية السورية	٢٥٠
٦	الأخ ابن زيان صلاح الدين	المسيلة ـ الجمهورية الجزائرية	٢٥٠
٧	الأخت فوزية بنت سعيد الريفي	الوردية ـ الجمهورية التونسية	٢٠٠
٨	الأخ ياسر صديق محمد حسن	الخرطوم ـ جمورية السودان	٢٠٠
٩	الأخت ثمار عمر عبد النبي	أربد ـ المملكة الأردنية	١٥٠
١٠	الأخت نورة محمد عوض الله جبران	المدينة المنورة ـ المملكة العربية السعودية	١٥٠
١١	الأخ سهيل حسن عبد الغفار	إسلام آباد ـ الباكستان	١٠٠
١٢	الأخت نسيبة محمد السباعي	دمشق ـ سورية	١٠٠
١٣	الأخ حاتم قاسم عاشور	جدة ـ المملكة العربية السعودية	١٠٠
١٤	الأخت منى سعيد صالح	صحم ـ سلطنة عمان	١٠٠
١٥	الأخ جمال أحمد علي هاشم	أبو ظبي ـ الإمارات العربية المتحدة	١٠٠
١٦	الأخ سليمان عبد الله المسعود	جدة ـ المملكة العربية السعودية	١٠٠
١٧	الأخت نادية محمود الشاذلي	الزقازيق ـ مصر	١٠٠
١٨	الأخ التوم محمد الفكي علي	الخرطوم ـ السودان	١٠٠
١٩	الأخت انتصار كامل محمد حرز الله	المدينة المنورة ـ المملكة العربية السعودية	١٠٠
٢٠	الأخت اليمني فاطمة	الدار البيضاء ـ المغرب	١٠٠
٢١	الأخ مهند سلطان الشريدة	عمان ـ الأردن	١٠٠
٢٢	الأخ محمد هيثم محمد مطيع مراد	الطائف ـ المملكة العربية السعودية	١٠٠
٢٣	الأخ صلاح الدين سيد علي	المسيلة ـ الجزائر	١٠٠
٢٤	الأخ محمد عماد محمد أنور رمضان	القاهرة ـ مصر	١٠٠
٢٥	الأخت فاطمة خليفة كرم الله	ود مدني ـ السودان	١٠٠
٢٦	الأخ محمد إبراهيم بكر حوباني	جيزان ـ المملكة العربية السعودية	١٠٠
٢٧	الأخ صالح بن الشريف بن علي	تونس ـ الجمهورية التونسية	١٠٠
٢٨	الأخ أزكاغ جامع بن أحمد	تزينت ـ المغرب	١٠٠
٢٩	الأخ بندر حسن علي بنجر	جدة ـ المملكة العربية السعودية	١٠٠
٣٠	الأخ عزت سلامة الخولي	الغربية ـ مصر	١٠٠

أسئلة مسابقة العدد (١٨٩)

● السؤال الأول:

في كتاب الله العزيز، آية تحدد أصناف المستحقين للصدقات.

اذكر الآية.

□ □ □

● السؤال الثاني:

منظمة الصحة العالمية، هي إحدى منظمات هيئة الأمم المتحدة. متى تأسست؟ وأين يقع مقرها؟

□ □ □

● السؤال الثالث:

كيميائي ومخترع سويدي، تعلم في سان بطرسبرج (لينينجراد حالياً)، وفي سنة ١٨٦٣م سجل براءة صنع مزيج من النتروجلسرين والبارود؛ ابتدعه بالمشاركة مع أبيه وأخيه. من هو؟

□ □ □

● السؤال الرابع:

ماذا تعرف عن «داء الكلب» أو ما يسمى «رهاب الماء»؟

□ □ □

● السؤال الخامس:

كتابان ـ صدرا منذ فترة قريبة ـ آثارا ضجة واسعة. أولهما لافتراء مؤلفه ـ لعنه الله ـ على الرسول وأمهات المؤمنين والصحابة، والثاني لزعمه أن أحد الكتب السماوية ـ قبل الإسلام ـ قد نزل في جزيرة العرب. من مؤلفا الكتابين وما كتابيهما؟

□ □ □

متابعة شاملة للحركة الثقافية وبجرياتها في العالم؛ نقدمها لك من خلال هذا الرصد للأحداث والمناسبات والندوات الفكرية والعلمية والأدبية والفنية والإصدارات الجديدة في مجالات المعرفة



السعودية

ملتقى أبها الثقافي

تبدأ في الخامس عشر من الشهر الجاري فعاليات ملتقى أبها الثقافي الثالث.

تشمل الفعاليات افتتاح **المعرض الثامن للكتاب**، والمعارض الفنية والتشكيلية، **وعروضاً للفنون الشعبية بقرية المفتاحة التشكيلية في مركز الملك فهد الثقافي** بأبها.

كما تقام **مجموعة من المحاضرات والندوات والأمسيات الشعرية والفنية والثقافية بحضور** ومشاركة نخبة من الأدباء والمفكرين.

فرع بحائل لجمعية الثقافة والفنون


الأمير مقرن بن عبدالعزيز

افتتح صاحب السمو الملكي **الأمير مقرن بن عبد العزيز** أمير منطقة حائل **فرع الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون بالمنطقة**.

وقام سموه عقب تشريفه الحفل الخطابي الذي أقيم بهذه المناسبة بافتتاح **معرض الفنون التشكيلية** الذي نظمه الفرع وتجول في أرجائه.

الأندلس وتجربتها.. في ندوة بالرياض

تنظم **مكتبة الملك عبد العزيز العامة** في الرياض في الخامس والعشرين من شهر شوال المقبل ندوة بعنوان «**الأندلس: قرون من التقلبات والعطاءات**» بمشاركة العديد من الباحثين السعوديين.

تناقش الندوة على مدى أربعة أيام تقويم التجربة الأندلسية ثقافياً واجتماعياً وسياسياً واقتصادياً، وتأثيرها على المستوى المحلي والإقليمي والعالمي، فضلاً عن تناول الدراسات التي ركزت على ذلك ومحاولة استكشاف ما يمكن التوجه إليه مستقبلاً.

وقد انتهى في العشرين من شهر صفر الماضي قبول المشاركات وتحديد الموضوع وينتظر أن تقوم المكتبة في العشرين من الشهر الجاري بإشعار الباحثين بالموافقة على الموضوع بحيث يلتزم الباحث بإرساله مطبوعاً وجاهزاً قبل ٢٠/٧/١٤١٣هـ، تمهيداً لعرضه على لجنة المحكمين التي تقوم بدورها بتحكيم الموضوع بحيث يتم إبلاغ المشارك بقبول مشاركته أو رفضها في ٢٧/٨/١٤١٣هـ.

وأوضح **فيصل المعمر** مدير المكتبة أن هناك تسهيلات قدمت للباحثين المشاركين، منها مخاطبة الجهات المسؤولة لمنحه في حالة كونه غير سعودي تأشيرة دخول إلى المملكة، مع إركابه من وإلى بلده، واستضافته مدة انعقاد المؤتمر، كما تعتزم المكتبة مساعدة من يرغب في حضور الندوة دون إلقاء بحث في الحصول على تأشيرة دخول إلى المملكة مع تأمين مسكن له بأجر مخفض.

الفائزون بجوائز علي وعثمان حافظ

أعلنت هيئة أمناء **جائزة علي وعثمان حافظ الصحفية** ـــ مؤخراً ـــ أسماء الفائزين بجوائز عام ١٩٩١م، وعددهم تسعة فائزين.

حصل على **جائزة «كاتب عام ١٩٩١م»** فضيلة الداعية الشيخ **محمد الغزالي**، لنشاطه الفكري والعلمي على صفحات معظم مطبوعات العالم العربي.

وتقاسم الصحافيان **فراج عرفجي إسماعيل وعلي عثمان مبارك** من صحيفة «المسلمون» **جائزة «أحسن المعالجات الصحفية للمشكلات الإسلامية»**.

وتحصل على جائزة «**الكاريكاتير**» ـــ مناصفة ـــ الرسامان السعوديان **أحمد المغلوث وسعد الدين شحاتة**.

أما جائزة «**أحسن التحقيقات الصحافية**» فتقاسمها مناصفة الصحافي **سيد أحمد خليفة** (عن تحقيقاته التي أجراها في الصومال والقرن الأفريقي) مع الصحافيين السعوديين: الرائد **محمد فيصل أبو سان**، والدكتور **سعود المصيبيح**، **وسليمان العودان** عن تحقيقهم حول «الفراغ الأمني» في مجلة كلية الملك خالد العسكرية.

وقررت هيئة الأمناء **تخصيص ٣ جوائز جديدة** تقدم العام المقبل **إلى ثلاثة مفكرين عرب** ممن تبرز أعمالهم هذا العام، قيمة كل جائزة عشرة آلاف دولار وميدالية ذهبية، كما **استحدثت ثلاثة جوائز أخرى** قيّمة كل منها خمسة آلاف دولار أمريكي وميدالية فضية تمنح لأحسن الأعمال الصحافية التي تنشر عام ١٩٩٢م في مجالات:

- الموضوعات التي تعالج موقع المسلمين من النظام العالمي الجديد.
- أحسن كاتب عمود أو زاوية في الصحف العربية.
- التحقيقات الصحافية.

فائزون بمسابقات أدبية

أعلنت ـــ مؤخراً ـــ أسماء الفائزين في **مسابقات: نادي الطائف الأدبي** الخامسة عشرة، وإبداع التي نظمها **نادي جازان الأدبي**، والقصة القصيرة التي نظمها **المكتب الرئيسي لرعاية الشباب بالمدينة المنورة**.

وأسفرت مسابقة **نادي الطائف الأدبي** عن حجب ما يقارب نصف جوائز مسابقتي الشعر والقصة.

ففي مجال الشعر حجبت الجوائز الأولى والثانية والخامسة فيما حصل على الجائزة الثالثة **معيض طالع عسيري** عن قصيدته **«الهيب الكبرياء»** وجاء في المركز الرابع **محمد السيد الشريف** عن قصيدته **«رسالة إلى ولدي»**.

وفي مجال القصة حجبت الجائزتان الأولى والثانية، ومنحت الجائزة الثالثة للقاص **عبد الرحمن هليل المطيري** عن قصته **«الانهيار»**، والجائزة الرابعة **لإبراهيم محمد الحربي** عن قصته **«معين لا ينضب»** والجائزة الخامسة **لهند سالم النمري** عن قصتها **«أريدها.. ولكن»**.

وفاز بالجائزة الأولى في مجال البحث والمقال **مبارك إبراهيم بوبشيت** عن دراسته **«الواقعية في مجموعات خليل الفزيع»**. وجاء ثانياً **إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي** عن دراسته **«عكاظ بين التاريخ والإسلام والأدب»** وفازت بالجائزة الثالثة **عائشة مانع العبدلي** عن مقالها **«لمحات من تاريخ الطائف»** وفاز بالجائزة الرابعة **أحمد محمود مبارك** عن دراسته **«قراءة نقدية وتحليلية في كتاب قصائد من الصحراء»** وجاء خامساً **حمد محمود أبو باشا** عن دراسته **«تاريخ الطائف قبيل وبعد الإسلام»**.

أما جوائز **نادي جازان الأدبي** فتوزعت كالتالي: أولا في مجال الشعر، تقاسم الجائزة الأولى كل من **حسن حجاب الحازمي** عن مجموعته **«وردة في فم الحزن»** و**علي محمد الأمير** عن مجموعته **«بوصلة واحدة لا تكفي»**. وتقاسم الجائزة الثانية **مسفر خلف القثامي** عن مجموعته **«ذكريات الحب»** و**منصور دماس** عن مجموعته **«الأمل الهامس»**. كما تقاسم الجائزة الثالثة كل من **خالد شوعي العامري** عن مجموعته **«عابر سبيل»**، وعلي إبراهيم الحملي عن مجموعته **«الشعلة المشعة»** ومنحت جائزتان تشجيعيتان لكل من **محمد بن حسن المباركي** عن مجموعته **«سؤال حائر»** و**ليلى سعيد الجهني** عن مجموعتها **«ترنيمة الحلم المبتعد»**.

وفي مجال القصة فازت بالجائزة الأولى **زكية راشد نجم** عن مجموعتها **«رجل قابل للتغيير»**، وجاءت في المركز الثاني **سلوى محمد موصلي** عن مجموعتها **«غداً أعود لوطني»** وحجبت الجائزة الثالثة، ومُنحت جائزتان تشجيعيتان لكل من **هشام إسماعيل** عن مجموعته **«الأمانة»**، و**نوال يحيى معافا** عن مجموعتها **«الوافد»**.

وأسفرت مسابقة القصة القصيرة **لمكتب رعاية الشباب بالمدينة المنورة** عن فوز خمسة متسابقين هم على التوالي: **عبد الله علي إسماعيل، أديب عبد الله ضاحي**، فاطمة عوض الرحيلي، سلطان محمد بدين، و**خالد محمد القرني**.

كتب جديدة



د. عبدالله باقازي



د. علي شلش

● **أول الغيث**، ديوان جديد للشاعر **أحمد يحيى بهكلي**، صدر عن نادي الرياض الأدبي.

● **أوصاف الشعر عند العرب: حالات ودلالات**، تأليف الدكتور **عبد الله باقازي**، صدر عن نادي جازان الأدبي.

● **تهذيب اللسان وتقويم البنان**، تأليف **المختار أحمد العيساوي**.

● **كتابة القصة القصيرة**، تأليف **ولسن ثورنلي**، ترجمه إلى العربية مانع حماد الجهني.

● **علامة استفهام**، تأليف الدكتور علي شلش.

صدرت الكتب الثلاثة السابقة عن نادي جدة الأدبي الثقافي.

الإمارات

مكتبة إسلامية

أحدث مكتبة إسلامية تم ـــ مؤخراً ـــ افتتاحها في إمارة رأس الخيمة باسم **«مكتبة قباء للثقافة والعلوم الإسلامية»**.

تضم المكتبة قسماً لتحفيظ القرآن الكريم، ومجموعات متخصصة من كتب الفقه والسنة والسيرة ونحوها.

معرض تشكيلي

افتتح في المجمع الثقافي بالإمارات **المعرض التشكيلي السادس لأعمال الرسم الحر**.

شارك في المعرض الذي يعد تظاهرة فنية سنوية نحو ١٢٠ فناناً من الذين تدربوا بالمرسم، إلى جانب نخبة من الفنانين التشكيليين المحترفين.

وضم المعرض لوحات متنوعة ما بين مائية وزيتية وأعمال سيراميك وزجاج ونحت وغير ذلك.

عُمان

ترميم قلعة بهلا

يبدأ مع نهاية العام الميلادي الجاري **ترميم قلعة بهلا التاريخية وسورها** الذي يمتد لمسافة ١٢ كيلو متراً.

تستغرق عملية الترميم نحو ثلاث سنوات، وتقوم به وزارة التراث القومي والثقافة العمانية بالتعاون مع منظمة اليونسكو العالمية.

ويذكر أن **تاريخ القلعة يرجع للألف الثالثة قبل الميلاد**، وقد أقيمت على عدة مراحل، وأقيمت لها امتدادات في عصور مختلفة حيث ارتبطت بالعديد من الحضارات القديمة في بلاد ما بين النهرين وفارس. مما أهلها لأن تدخل موسوعة التراث الإنساني العالمي إلى جوار أهرامات مصر، وسور الصين العظيم، وغيرها من الإنجازات العالمية.

معرض مسقط الدولي للكتاب



الشاذلي القليبي

تنظم وزارة التراث القومي والثقافة بالتعاون مع مركز عمان الدولي للمعارض خلال الفترة ما بين ٢٥ ربيع الآخر و٥ جمادى الأولى المقبلين **«معرض مسقط الدولي للكتاب»**.

ينتظر أن تشارك في المعرض ستمائة دار نشر عربية إلى جانب نحو مائة دار نشر أجنبية.

وتعتزم الجهة المنظمة إقامة عدة فعاليات على هامش المعرض ما بين ندوات ومحاضرات وأمسيات يشارك فيها مجموعة من الكتاب والأدباء والمثقفين، كما سترسي تقليداً جديداً بحيث يتبع في كل عام يتمثل في دعوة إحدى الشخصيات العربية البارزة في أحد ميادين الثقافة والفكر والاقتصاد والسياسة، وتقرر أن تكون الشخصية المدعوة هذا العام السيد **الشاذلي القليبي** أمين عام الجامعة العربية السابق.

الكويت

حوليات الآداب تستأنف الصدور

استأنفت مجلة **«حوليات كلية الآداب»** بجامعة الكويت الصدور بعد توقف طويل بسبب ظروف حرب الخليج.

وصدر عدد جديد من «حوليات» يتضمن مجموعة من الأبحاث والدراسات الأدبية والتاريخية ذات الصبغة العلمية

معرض لفنانة سويدية

أقامت الفنانة التشكيلية السويدية **كريستين كليتنبورغ** معرضاً للوحاتها في الكويت.

ضم المعرض ٤٦ لوحة تنتمي إلى المدرستين الواقعية

والانطباعية، وتتضمن مشاهد لمجريات الحياة لدى الشعب السويدي.

مصر — جامعة دولية مصرية

تسعى مجموعة من الشخصيات البارزة ورجال الأعمال والمثقفين المصريين إلى إنشاء أول جامعة دولية في مصر تحت مسمى **«جامعة الشرق الأوسط»**.

وتجنباً للقانون المصري الذي قد يحد من استقلالية الجامعة يعتزم المؤسسون إنشاء مركز رئيسي للجامعة أولاً في واشنطن، على أن يكون مقرها في مصر فرعاً لها.

تضم قائمة المؤسسين أسماء بارزة منها: وزير الخارجية المصري السيد **عمرو موسى**، والصحافيان البارزان**لطفي الخولي** و**إبراهيم نافع**، والنائبة **منى مكرم عبيد** ورجل الأعمال **كامل دياب**، والمحامي **علي الشلقاني**، وأسماء أخرى.

خطة الجامعة المبدئية تتمثل في إنشاء كليات للإدارة والزراعة والقانون في البداية، ثم تقام في مرحلة لاحقة كليات للهندسة والعلوم والطب، وستكون على غرار **جامعة شارل ديجول**.

وتنوي الجامعة ـ حسب خطتها المبدئية ـ الاعتماد على خبرات جامعات كبرى، بحيث يمكن ـ مثلاً ـ في إطار الجامعة أن تفتح **جامعة هارفارد** فرعاً لها في مجال الإدارة، و**جامعة باريس** في مجال الحقوق.. إلخ، مما يعني حصول الطالب بعد التخرج على شهادة رسمية من جامعة عالمية كبرى هي التي تخرج من فرعها.

وستتكون الأمانة العامة للجامعة من أسماء علمية مصرية لها وزنها في الخارج، ومن الأسماء التي قبلت عضوية الأمانة العامة الدكتور **فاروق الباز** عالم الجيولوجيا والفضاء المشهور، والدكتور **زهني فراج** طبيب القلب العالمي، والدكتور **عبد الشكور شعلان** المدير التنفيذي بالبنك الدولي، والدكتور **إبراهيم حسين** نائب رئيس خدمات التنمية في نيويورك، والدكتور **إبراهيم شحاتة** نائب رئيس البنك الدولي، والدكتور **جابر أبو العينين** عميد مدرسة الإدارة في جامعة ولاية ماتكاتو، والدكتور **إسماعيل سراج الدين** المدير التنفيذي بالبنك الدولي، والدكتور **محمود وهبة**، رئيس جمعية رجال الأعمال المصريين بالولايات المتحدة الأمريكية.

وحتى لحظة كتابة هذه السطور لم تصدر ـ بعد ـ الموافقة الرسمية على إنشاء الجامعة، وإن كان الدكتور **حسين كامل بهاء الدين** وزير التعليم المصري مرحباً بالفكرة مبدئياً. فيما تلقى معارضة من قبل القائمين على إنشاء الجامعة الأهلية المقرر إقامتها قريباً.

الاحتفال بمئوية تيمور


محمدتيمور

افتتحت الأديبة المصرية **رشيدة تيمور** احتفالات العام المائة على مولد جدها الكاتب المسرحي والروائي **محمدتيمور**، رائد الواقعية في الأدب المصري.

وقام معالي وزير الثقافة **فاروق حسني** بتسليم جوائز محمد تيمور لثلاثة من شباب المبدعين.

ومن المقرر أن تقام على مدى العام فعاليات أدبية وفنية متنوعة في إطار الاحتفال بمئوية تيمور.

بحث إنشاء قناة تلفازية للقرآن الكريم

تدرس لجنة الثقافة والإعلام والسياحة في مجلس الشعب المصري اقتراحاً **بتخصيص قناة تلفازية للقرآن الكريم والبرامج الدينية**.

يحظى الاقتراح بتأييد شعبي واسع، خاصة مع الحاجة إلى توعية الشباب بمبادىء دينهم على الوجه الصحيح.

كشف أثري

عثر في منطقة **البعالوه** في التل الكبير بمحافظة الإسماعيلية على **٧٤ مقبرة فرعونية قديمة**. تدل الآثار المكتشفة داخلها على أنها **ترجع إلى عصر الأسرة الفرعونية الأولى**، ويحمل بعضها نقوشاً باسم **الملك مينا نارمر** الملقب بموحد القطرين.

تشمل المكتشفات أواني فخارية، وحلي ذهبية ومبخرة فريدة، لا مثيل لها في الاكتشافات السابقة عليها رسم لتاج الملك مينا، وأسلحة وسكاكين كانت تستخدم آنذاك.

وقد وجد بعض الموميات التي عثر عليها وقد اتخذت وضع القرفصاء، وتشير الكتابة على تلك الآثار إلى أن أصحابها في بداية عهدهم بالكتابة.

أهمية الكشف تكمن حسبما قال مصدر آثاري مسؤول في أنه يدل على وجود حياة في تلك المنطقة في عهد ما قبل الأسر، **مما قد يغير معالم الخريطة الأثرية لمصر الفرعونية وعصر ما قبل الأسر**.

مؤتمر دولي عن الحضارة الأندلسية


د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي

يعقد بالقاهرة خلال الفترة من ٢٠ ـ ٢٢ تشرين الأول (أكتوبر) المقبل **مؤتمر دولي لدراسة الأسباب التي أدت إلى ضياع الأندلس** من المسلمين والخروج بالدروس المستفادة من التاريخ الأندلسي وإبراز معالم الحضارة الإسلامية هناك.

تنظم المؤتمر **كلية التربية بجامعة عين شمس** بالتعاون مع **رابطة الجامعات الإسلامية**، ويترأسه معالي الدكتور **عبد الله بن المحسن التركي** مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ورئيس رابطة الجامعات الإسلامية.

ومن المقرر أن يناقش المؤتمر **٧٥ بحثاً** تدور حول ثلاثة محاور رئيسة هي: التاريخ الإسلامي في الأندلس. والمعالم الحضارية والثقافية هناك، وأثر الثقافة الإسلامية على الثقافة الأوروبية.

يذكر أن المؤتمر يعقد بمناسبة مرور خمسة قرون على انتهاء الحكم الإسلامي في الأندلس.

الاحتفال بمئوية أبو شادي


احمد زكي أبو شادي

تقيم **جماعة أبوللو الجديدة ورابطة الأدب الحديث** في تشرين الأول (أكتوبر) المقبل **مهرجاناً ثقافياً** بمناسبة مرور مائة عام على **ذكرى مولد مؤسس** جماعة «أبوللو» الشاعر **أحمد زكي أبو شادي**.

ينتظر أن يتضمن المهرجان العديد من الندوات والمحاضرات التي تتناول شعر **أبي شادي**، ودوره في التجديد، إضافة إلى أمسيات شعرية يشارك فيها شعراء تأثروا به في أشعارهم..

تحقيق مخطوطات مكتبة الأزهر

وجه رئيس جامعة الأزهر كليات الجامعة الأزهرية إلى ضرورة التعاون **لتحقيق المخطوطات النادرة الموجودة في مكتبة الأزهر**.

كانت كلية الطب من أولى الكليات في الاستجابة للقرار حيث بدأت في تحقيق مجموعة من المخطوطات الطبية من بينها مخطوطة «**الحاوي في علم التداوي**» **لنجم الدين الشيرازي**، وتعود هذه المخطوطة إلى القرن الثامن الهجري.

مركز للبحوث الإسلامية

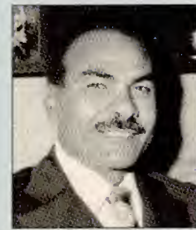
قررت جامعة القاهرة **إنشاء مركز للدراسات والبحوث الإسلامية**، تناط به عدة مهام من بينها الكشف عن التراث الحضاري الفكري للأمة الإسلامية.

ويعد المركز وحدة علمية لها استقلالها العلمي، ويقوم بالدراسات والبحوث في المجالات العلمية الإسلامية، لاستكشاف أساليب تطويرها وتنميتها.

وقد عين الدكتور **محمد** بلتاجي عميد كلية دار العلوم رئيساً لمجلس إدارة المركز.

«عمارة» يكتب عن معارك الغزالي

المفكر الإسلامي الدكتور **محمد عمارة**، صدر له ـ مؤخراً ـ كتاب جديد يتناول إسهامات الداعية **الشيخ محمد الغزالي** الفكرية ومكانته بين العلماء المجتهدين.


د. محمد عمارة

يشمل الكتاب أيضاً معارك الغزالي الفكرية ودراسة لأهم مؤلفاته، ودوره في حركة الأحياء، وغير ذلك من الموضوعات.

واكب صدور الكتاب عن الهيئة المصرية العامة للكتاب إعلان فوز الشيخ الغزالي بجائزة الدولة التقديرية وجائزة علي وعثمان حافظ الصحفية باعتباره «كاتب عام ١٩٩١م».

اللغويات الحاسبية العربية في ندوة دولية

استضافت مدينة القاهرة أول ندوة دولية من نوعها عالجت موضوع «**اللغويات الحسابية العربية**».

افتتح الندوة معالي الدكتور **عادل عز** وزير البحث العلمي المصري، وشارك فيها ممثلون لمختلف البلدان العربية.

ودعا د. عز في كلمة ألقاها إلى أن تأخذ اللغة العربية مكانها بين سائر اللغات في مجال اللغويات الحاسبية، مشيراً إلى أن العقد الأخير شهد تقدماً مذهلاً واستخداماً واسعاً في مجالات التشغيل الالكتروني للبيانات والمعلومات.

أول ترجمة لأشعار التركي يونس أمرة

صدرت ـ مؤخراً ـ في القاهرة أول ترجمة عربية لأشعار الشاعر التركي **يونس أمرة**.

أصدرت الترجمة **الدار العربية للطباعة والنشر بالتعاون مع وزارة الثقافة التركية**، وقام بترجمة القصائد والتقديم لها الدكتور **جنكيز كتابه**، كما كتب وزير الثقافة التركي **نامق كمال سيبك** مقدمة للديوان.

ويذكر أن الشاعر يونس أمره عاش خلال النصف الثاني من القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر الميلاديين، وترك عملين مهمين أولهما ديوانه ويضم نحو ثلاثمائة قصيدة، والآخر كتاب بعنوان «رسالة النصيحة» يحتوي على أشعار تعليمية في الدين والأخلاق. وقد نشرا عدة مرات بتركيا، لكنها أول مرة ينشر له شيء باللغة العربية.

مجمع فني ثقافي بالاسكندرية

تقرر **تحويل مسرح بيرم التونسي** في مدينة الاسكندرية **إلى مجمع فني وثقافي**.

ينتظر أن يشتمل المجمع الجديد على دار للعرض السينمائي وأخرى للعرض المسرحي فضلاً عن مكتبة ونادٍ للطفل.

متحف إسلامي وقصر ثقافة بدمنهور

اعتمد السيد **فاروق حسني** وزير الثقافة **مبلغ ٩ ملايين جنيه لإنشاء قصر ثقافة جديد بمدينة دمنهور**.

يقام القصر على مساحة ١٦٠٠ متر مربع ويشتمل على سينما ومسرح ومكتبة عامة وأخرى للطفل وقسمين لتعليم اللغات الأجنبية.

كما وافق الوزير على إنشاء **أول متحف للآثار الإسلامية والرومانية في محافظة البحيرة**.

معرض لفن الجداريات والجرافيك

أقيم في القاهرة معرض للفنان الفرنسي هوج فونتين تحت عنوان «**ذكريات الواجهات**».

ضم المعرض عدداً من لقطات فونتين الفوتوغرافية لفن الجداريات الشعبي المنتشر في القرى والأحياء الشعبية. والمتمثل في تزيين واجهات المنازل والمحلات بالموروث في صدق وفطرية، مثل تلك الرسومات التي تحمل صور الكعبة المشرفة أو المسجد النبوي الشريف على واجهات منازل العائدين من الحج، وغير ذلك.

من ناحية ثانية، نظم **المعهد الثقافي الإيطالي** بالاسكندرية، **معرضاً** في قاعة الاتيليه لأعمال فنان **الغرافيك الإيطالي برونو كاروزو**.

ضم المعرض نحو ٥٠ عملاً فنياً أنجزها الفنان على مدى ٢٥ عاماً، معظمها من البورتريهات.

كتب جديدة

● **الإسلام ومشكلة الحضارة**، تأليف الداعية الشهيد **سيد قطب**، صدرت طبعته الحادية عشرة عن دار الشروق.

● **التربية في الإسلام**، تأليف **ياسين رشدي**، صدر ضمن سلسلة كتب إسلامية عن دار نهضة مصر.

● **المجتمعات الجديدة: طريق للتنمية الاقتصادية**، تأليف **الدكتور سامي عفيفي حاتم**.

● **الأسلوبية والبيان العربي**، تأليف الدكاترة: **محمد عبد المنعم خفاجي، ومحمد السعدي فرهود، وعبد العزيز شرف**.


د. محمد السعدي فرهود

● **عشرون فيلماً تسجيلياً عن الحياة والفن في مصر**، تقديم **أحمد كامل مرسي**، تعليق **صلاح حافظ**، تعقيب **مختار السويفي**.

صدرت الكتب الثلاثة السابقة عن الدار المصرية اللبنانية بالقاهرة.

● **أنا والرئيس**، تأليف **أحمد الشايب**، صدر عن مكتبة مدبولي بالقاهرة.

● **سهرة خاصة جداً**، مجموعة قصصية للصحافية **ليلى حسن**، صدرت عن دار الضياء للنشر والتوزيع.

● **موسوعة الأمثال الشعبية المصرية**، إعداد الدكتور **إبراهيم أحمد شعلان**، صدرت عن دار المعارف.

● **الإخوان المسلمون والطبقة العاملة**، تأليف **سناء المصري**.

● **ديانا: ملكة الأميرات**، تأليف **انجريد سيوارد**، ترجمه إلى اللغة العربية الدكتور **محمود بهنسي وحسن صبري**، صدر عن الدار المصرية للنشر.

● **مراجعات في الأدب والنقد**، تأليف **عبدالرحمن أبو عوف**، صدر ضمن سلسلة النقد عن الهيئة العامة لقصور الثقافة.

● **منحنى النهر**، مجموعة قصصية للقاص **محمد**

الحركة الثقافية

البساطي، صدرت ضمن سلسلة «مختارات فصول» عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

● **هاتف المغيب**، رواية جديدة **لجمال الغيطاني**، صدرت ضمن سلسلة روايات الهلال.

● **إعادة الاعتبار للرئيس السادات**، تأليف الدكتور **سعد الدين إبراهيم**، صدر عن دار الشروق.

د. سعدالدين إبراهيم

● **الرجل المناسب**، رواية الأديب البريطاني **ويليام بويد**، ترجمها إلى اللغة العربية **عبدالمنعم صادق**، صدرت ضمن سلسلة «روايات الهلال».

● **إطلالة على الشعر اليوناني الحديث: يانيس ريتسوس**، تأليف **نعيم عطية**، صدر عن مطبعة الجبلاوي بالقاهرة.

● **تجربتي في كتابة الرواية**، تأليف الروائي البريطاني **جراهام جرين**، ترجمها إلى العربية **أحمد عمر شاهين**، وصدرت ضمن سلسلة «كتاب اليوم» عن مؤسسة أخبار اليوم بالقاهرة.

● **ثلاثون عاماً مع الشعر والشعراء**، تأليف **رجاء النقاش**.


رجاء النقاش

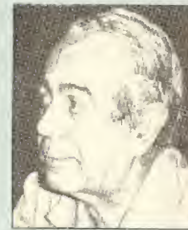
● **الكلام المباح**، مجموعة قصصية للكاتبة **سناء البيسي**.

صدر الكتابان السابقان عن دار سعاد الصباح.

● **أعمال الشاعر أحمد سويلم**، ثمان مجموعات شعرية في مجلد واحد.

● **النثر الفني في الأدب الفارسي المعاصر**، تأليف الكاتب الإيراني **حسن كمشاد**، ترجمه إلى العربية الدكتور **إبراهيم الدسوقي شتا**.

● **ثلاث وردات وشمعة**، رواية للدكتور **يوسف عز الدين عيسى**.


د. يوسف عزالدين عيسى

● **الأوراق السياسية**، الجزء الحادي عشر والأخير من الأعمال الكاملة للشاعر الراحل **صلاح عبد الصبور**.

● **الأخلاق والسياسة في الفكر الإسلامي والليبرالي والماركسي**، تأليف الدكتور محمد ممدوح العربي.

صدرت الكتب الخمسة السابقة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

● **الغائية عند الأشاعرة**، تأليف **نوران الجزيري**، صدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

● **نوم العازب**، المجموعة القصصية الأولى للصحافي والقاص **محمد حسن الألفي**.

● **فرق الشيعة، للإمام الحسن بن موسى النوبختي وسعد بن عبدالله القمي**، تحقيق ودراسة الدكتور **عبدالمنعم الحفني**، صدر عن دار الرشاد.

● **الحب المستحيل**، تأليف **رؤوف وصفي**، صدر ضمن سلسلة نوفا للخيال العلمي عن المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر.


رؤوف وصفي

● **افتح قلبك**، للكاتب الصحافي **عبدالوهاب مطاوع**، صدر عن دار الشروق.

● **شرح مشكلات الفتوحات المكية لابن عربي**، تأليف **عبدالكريم الجيلي**، دراسة وتحقيق د. **يوسف زيدان**، صدر عن دار سعاد الصباح للنشر في القاهرة.

سورية: شريط سينمائي لآثار البلدان العربية

يعد المخرج **محمد أنور حازم** للبدء في تصوير فيلم تسجيلي سوري عن آثار البلدان العربية تمهيداً للتقدم به لمهرجان البرتغال السينمائي.

يتناول الفيلم **آثار مصر من فرعونية وقبطية وإسلامية، ومأثوراتها الشعبية، وآثار الأشوريين**

محاضرات وندوات

● «**معنى شهادة لا إله إلا الله محمد رسول الله**» عنوان محاضرة ألقاها في جامع الخالدية بنجران الشيخ **عبد العزيز اليحيا**.

● «**تسوية النزاعات العربية**» موضوع محاضرة ألقاها في مقر جمعية الاقتصاديين والتجاريين في أبو ظبي الدكتور **يوسف الحسن**.

● «**الإبداع والمنظور النفسي**» عنوان ندوة نظمها في الشارقة اتحاد كُتَّاب وأدباء الإمارات، شارك فيها الدكتور **نصر عباس**، وأدارها الشاعر **إبراهيم علان**.

● «**التكامل الثقافي والفني بين مصر والمغرب**» موضوع ندوة نظمتها جمعية أبي رقراق بالتعاون مع وزارة الثقافة المغربية شارك فيها وزيرا الثقافة بالبلدين **فاروق حسني ومحمد بن عيسى** وعدد من المفكرين والأدباء


محمودالمراغي


فهمي هويدي

وافتتحها **الأمير سيدي محمد ولي عهد المغرب**.

● «**العلاقات الصينية العربية**» موضوع ندوة أقيمت في نقابة الصحافيين بالقاهرة شارك فيها من الجانب العربي الدكتور **علي لطفي، ومحمد فائق، وأحمد صدقي الدجاني، ومحمود المراغي، وأحمد حمروش**.

● «**التيارات الإسلامية والديموقراطية**» عنوان محاضرة ألقاها في دار الندوة ببيروت **فهمي هويدي**.

● «**تطوير مناهج رياضية بمساعدة الحاسب الآلي**» عنوان محاضرة ألقاها بقسم العلوم الرياضية في جامعة الملك فهد للبترول والمعادن بالظهران الدكتور **بكر أحمد حسن**.

والفنيقيين، وحضارة بلاد ما بين النهرين، وآثار اليمن والسودان وليبيا.

ومن المقرر أن يتم ترجمة الفيلم إلى اللغات: الإنجليزية والفرنسية والأسبانية.

أسبوع ثقافي كويتي

تستضيف دمشق خلال الفترة بين ١٥ ــ ٢٠ أيلول (سبتمبر) ١٩٩٢م **أسبوعاً ثقافياً كويتياً**.

يضم الأسبوع **معرضاً للكتاب** يشمل نحو ٣٠٠ عنوان، **وآخر للفن التشكيلي** يحتوي على خمسين عملاً فنياً. **وثالث للأزياء الوطنية الكويتية، ورابع للصور الضوئية** قبل الغزو وبعد التحرير، إلى جانب أمسيات شعرية وعروض فنية شعبية.

كتب جديدة

● **مجلاتنا العربية وفن التحرير الصحفي**، تأليف **ياسر الفهد**، صدر في دمشق.

ياسر الفهد

● **الصهيونية وأوراقها السوداء**، تأليف **سعيد فارس السعيد وقاسم محمد الخيرات**، صدر عن منشورات اتحاد الكُتّاب العرب في دمشق.

● **التفسير التوراتي للتاريخ**: بحث في تشكيل العقل اليهودي، تأليف **نزيه الحسن**، صدر عن دار المجد للطباعة والنشر والتوزيع بدمشق.

● **المجتمع الدولي والعلمنة**، تأليف **محمد كامل الخطيب**، صدر عن دار الينابيع بدمشق.

● **لغة الشعر عند سميح القاسم**، تأليف **جمال يونس**، صدر عن مؤسسة النوري في دمشق.

● **المرايا**، مسرحية للدكتور **نذير العظمة**، صدرت عن المركز الحضاري بدمشق.

لبنان: بيروت تحتفل بالذكرى العشرين لاستشهاد كنفاني



غسان كنفاني

مرت ــ مؤخراً ــ الذكرى العشرون لاستشهاد الكاتب الفلسطيني **غسان كنفاني**، وبهذه المناسبة أقام **اتحاد الكُتّاب اللبنانيين ومؤسسة غسان كنفاني برنامجاً استمر يومين**، اقيمت خلالهما **ندوتان** تتناولان أدبه وفكره، شارك فيهما عدد من الكُتّاب والنقاد العرب.

تضمن البرنامج أيضاً عرض الشريط السينمائي **«المخدوعون»** الذي أخرجه **توفيق صالح** عن رواية الشهيد **«رجال في الشمس»** إلى جانب تقديم مسرحية مقتبسة من أعمال وتنظيم معرض لرسومه.

ويذكر أن كنفاني ولد في ٩/ ٤/ ١٩٣٦م بعكا، واستشهد في ٨/ ٧/ ١٩٧٢م ببيروت أثر تفجير سيارة ملغومة، وقد تلقى تعليمه بعد نكبة ١٩٤٨م في دمشق، وحين أكمل دراسته الجامعية انتقل إلى الكويت مدرساً، ومنها إلى بيروت حيث عمل بالصحافة وقام بتأسيس مجلة «الهدف». وهو قاص وروائي وكاتب مسرحي وناقد، من مؤلفاته في مجال النقد: **«أدب المقاومة في فلسطين المحتلة»**، و**«في الأدب الصهيوني»**، و**«الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال»** وفي مجال القصة: **«عالم ليس لنا»**، و**«موت سرير رقم ١٢»**، و**«أرض البرتقال الحزين»**، وفي مجال الرواية: **«رجال في الشمس»**، و**«ما تبقى لكم»**، و**«عائد من حيفا»**، و**«أم سعد»** فضلاً عن ثلاث روايات غير مكتملة، كما كتب ثلاث مسرحيات هي: **«الباب»** و**«القبعة والنبي»** و**«جسر إلى الأبد»**.

مسابقة لأدب وفن الطفل

تنظم دار نشر **هزار غرافيكس** بمناسبة صدور العدد الأول التجريبي من مجلتها **«أطفال»** مسابقة ثقافية.

تمنح المسابقة **أربع جوائز** في المجالات الآتية: جائزة أفضل كاتب قصة للأطفال في لبنان، جائزة أفضل رسام للأطفال في لبنان جائزة أفضل رسام للشريط المصور في لبنان، جائزة أفضل رسام كاريكاتير في لبنان.

كتب جديدة

● **اليمن الجنوبي: الحياة السياسة من الاستعمار إلى الوحدة**، للمؤرخ الكاتب **علي الصراف**، صدر عن دار الريس للكتب والنشر في بيروت.

● **الانتفاضة وتقرير المصير**، تأليف الدكتور عدنان حسين، صدر عن دار النفائس.

● **«مفهوم الحداثة عند رواد النهضة»** عنوان محاضرة ألقاها في قاعة مسرح مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بلندن بدعوة من النادي العربي الدكتور **علي شلش**.

● **«الغزو الثقافي»** موضوع ندوة نظمها نادي الخريجين المصري بالقاهرة، وشارك فيها الدكاترة: **عاطف العراقي، مرسي سعد الدين، ومحمود فهمي حجازي**، وأدارها **نسيم مجلي**.

● **مجموعة محمود فون «النهر أنت والبحر مداك»** كانت محور ندوة أقيمت في ندوة الخميس ببعلبك، شارك فيها **علي شرف وسلمان زين الدين**.

● **«إعادة كتابة التاريخ العربي»** محاضرة ألقاها في مركز دراسات الوحدة العربية ببيروت الدكتور **عبد العزيز الدوري**.

● **«حقيقة ما حدث في البوسنة والهرسك»** عنوان محاضرة جماعية أقيمت في المجمع الثقافي بالإمارات تحدث فيها كل من: **عيد خميس المهيدي، محمد عبد الله الظريف، وعبد الحي يوسف**.

● **«المستقبل الاقتصادي للخليج العربي»** عنوان محاضرة ألقاها في دار الندوة ببيروت **جاسم السعدون**.

● **«الأدب في فترة الحروب الصليبية»** عنوان محاضرة ألقاها في النادي الأدبي بالمنطقة الشرقية بالسعودية الدكتور **محمد العناني**.

● **«الذكاء الاصطناعي»** موضوع محاضرة ألقاها في الغرفة التجارية الصناعية بالمنطقة الشرقية بالسعودية البروفيسور **وارن بوقز**.

● **«المأساة في البوسنة والهرسك»** عنوان محاضرة ألقاها على مسرح وزارة الإعلام في أبوظبي الشيخ **صالح أحمد صالح جولاكوفيتش**.

● **«السينما العربية: رؤية مخرج»** عنوان محاضرة ألقاها في المركز الثقافي في الشارقة **توفيق صالح**.

● **«التلوث والمخاطر في المشاعر المقدسة»** عنوان محاضرة ألقاها في صالة المحاضرات بالعزيزية في مكة المكرمة الدكتور **عبد اللطيف العجمي**.

● **«المسجد النبوي وتواريخه والتوسعات التي جرت له عبر التاريخ»** موضوع محاضرة ألقاها في مدينة مراوي الفلبينية **مصطفى عطار**.

الحركة الثقافية

● **بنية القصيدة الجاهلية : الصورة الشعرية عند أمرىء القيس**، تأليف الدكتورة **ريتا عوض**، صدر عن دار الآداب .

● **العلوم الاجتماعية المعاصرة**، تأليف **بيار نصار**، ترجمه إلى اللغة العربية **نخلة فريفر**، صدر عن المركز الثقافي العربي في بيروت .

● **جبران خليل جبران في الميزان**، تأليف **كعدي فرهود كعدي**، صدر عن منشورات كعدي .

● **الرؤية الإبداعية في شعر أحمد زكي أبو شادي**، تأليف الدكتور **محمد عبد المنعم خفاجي** والدكتور **عبد العزيز شرف**، صدر عن دار الجيل في بيروت .

● **أفكار عن عالم جديد**، تأليف **سليمان تقي الدين**، صدر عن درا الحداثة في بيروت .

● **الخيار الأخير**، مذكرات السياسي الإسرائيلي **ديفيد كمحي**، صدرت عن مكتبة بيسان في بيروت .

● **المثقف العربي والسلطة**، تأليف الدكتور **سماح الريس**، صدر عن دار الآداب في بيروت .

● **مؤامرة الغرب على العرب**، تأليف الدكتور **ياسين سويد**، صدر عن المركز العربي للأبحاث والتسويق .

● **سيمياء المسرح والدراما**، تأليف **كير إيلام**، ترجمه إلى اللغة العربية، **رئيف كرم**، صدر عن المركز الثقافي في بيروت .

● **براعم على حطب الجليل**، ديوان للشاعر **مصطفى سبيتي**، صدر عن المركز الثقافي للبحوث والتوثيق بصيدا .

● **منهجيات في علم الاجتماع المعاصر، قراءات ونصوص**، تأليف الدكتور **علي سالم**، صدر عن دار الحمراء في بيروت .

تونس ▼ دار لثقافات البحر المتوسط

قررت وزارة الثقافة تغيير مسمى **«المركز الثقافي الدولي»** في الحمامات ليصبح **دار البحر الأبيض المتوسط** بحيث تتواءم التسمية مع المهمة الجديدة التي تقررت للدار والمتمثلة في جعلها ملتقىً تونسياً للثقافات المتوسطية يعمل على إثرائها ويسهم في حفظها .

المشروع يتضمن أيضاً تهيئة قرية الفنانين بالدار لاستقبال فناني وأدباء بلدان البحر المتوسط للإقامة فيها، وتحويل الحديقة الكبيرة الموجودة بالمركز إلى حديقة للنباتات المتوسطية ، وإنشاء متحف حي للمهن الفنية وعادات المنطقة .

معرض كتاب متنقل

بدأت تونس في تنفيذ فكرة جريئة، فبعد انتهاء المعرض الأول الحادي عشر الذي أقيم هناك مؤخراً، قررت وزارة الثقافة أن يتجول المعرض في مختلف مدن تونس عبر انطلاق **٢٠ حافلة تضم كل منها مكتبة متنقلة إلى ٢٠ ولاية** .

وتضم كل حافلة ٦٢٦ عنواناً قدمتها ١٤ داراً للنشر، ٦٠٪ منها كتب أطفال، وتباع الكتب جميعاً بتخفيضات تصل إلى ٤٠٪ من السعر الأصلي .

من الكتب الجديدة

● **بلادة**، رواية تاريخية للروائي التونسي الراحل **البشير خريف**، صدرت عن بيت الحكمة في تونس .

المغرب ▼ الفائزون بجوائز الاستحقاق والمغرب الكبرى

في احتفال كبير، قام ولي عهد المغرب، **الأمير سيدي محمد** بتسليم **جائزة الاستحقاق الكبرى وجائزة المغرب الكبرى** لعام ١٩٩١م للفائزين بها .

الأمير سيدي محمد

فاز **بجائزة الاستحقاق** الكبرى الكاتب الراحل السوسي سيدي **محمد بن عبد الله الروداني**، تقديراً لقيامه بجمع كل المؤلفات الأدبية والدينية للعلامة المغربي **مختار السوسي** في كتاب واحد .

وتحصّل على جائزة المغرب الكبرى في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية **حمو النقاري** عن مؤلفه **«المنهجية الأصولية والمنطق اليوناني من خلال أبي حامد الغزالي وتقي الدين ابن تيمية»** وسعد **الركراكي** عن مؤلفه **«واجب تقديم المساعدة الأجنبية للشعوب المهددة بالخطر»** .

وأحرزت **حورية بنيس سيناهر** جائزة المغرب الكبرى في مجال العلوم البحتة والتجريبية عن مؤلفها **«حقول الإنتاج»**. وشاركها الفوز في نفس المجال الدكتورة **ليلى زنيبر** والدكتور **أسد الشعرة** عن مؤلفهما **«تخطيط صدى القلب بالدوبلير الملون في الاعتلالات القلبية الخلقية»** .

وفي مجال الآداب والفنون، فاز **محمد الماكوي** عن كتابه **«الشكل والخطاب : مدخل لتحليل ظاهراتي»** **ومحمد زنيبر** عن مسرحيته «عروس أغمات» .

كتب جديدة

● **في الثقافة الإسلامية والآداب القرآنية**، تأليف **عبد الكريم غلاب**، صدر عن مطبعة النجاح بالدار البيضاء .

عبد الكريم غلاب

● **الاستشراق في أفق انسداده**، تأليف **سالم حميش**، صدر عن المجلس القومي للثقافة العربية في الرباط .

الجزائر ▼ حملة ضد الفرانكوفونية

يقود الروائي الجزائري **الطاهر وطار** من خلال **«الجمعية الجاحظية»** التي أسسها قبل سنوات مع مجموعة من أنصار التعريب حملة ضد انتشار تيار الثقافة الفرانكفونية .

الطاهر وطار

ويتهم **وطار** بعض الجهات المسؤولة بتشجيع نمو الثقافة الفرانكوفونية، وعدم دعم الثقافة المعربة .

من ناحية ثانية نفى **المجلس الاستشاري الجزائري** أن يكون قرار تجميد قانون التعريب الذي اتخذه المجلس ــ مؤخراً ــ له غاية سياسية .

وأكد المجلس في بيان أصدره أن القرار هدف لتوفير الظروف الموضوعية لتعريب سليم يراعي قدرات الوطن البشرية والمادية دون أي تراجع أو مساس بقانون التعريب .

الأردن ▼ مؤتمر النقد الأدبي

اختتم **مؤتمر النقد الأدبي الرابع** أعماله ــ مؤخراً ــ في العاصمة الأردنية، بحضور أكاديميين وباحثين ونقاد من الجامعات العربية في المملكة العربية السعودية، وسورية، وقطر، والعراق، والإمارات، وفلسطين، واليمن .

ناقش المؤتمرون عدة موضوعات من أبرزها قضية الاستشراق، وما أنجزه المستشرقون في مجال دراسة اللغة العربية وآدابها.

كتب جديدة

● **التاريخ المصور لمدينة رام الله**، إعداد **نسيب شاهين**، صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

● **مدخل إلى السيمياء**، تأليف **زياد جلال**، صدر عن وزارة الثقافة.

● **طه حسين روائياً**، تأليف **خالد الكركي**، صدر في بيروت وعمان عن دار الجيل ومكتبة الرائد العلمية.

تركيا

مؤتمر لرابطة الأدب الإسلامي

تستضيف مدينة استنبول في الثالث والعشرين من آب (أغسطس) ١٩٩٢م أعمال **المؤتمر الثالث للهيئة العامة لرابطة الأدب الإسلامي**.

يناقش المؤتمر بحضور أعضاء الرابطة عدداً من القضايا المتعلقة بالأدب الإسلامي وتأصيله.

سيرلانكا

معرض عالمي للمصاحف

افتتح الشيخ **عبد الله العقيل** الأمين العام المساعد للمجلس الأعلى العالمي للمساجد **معرضاً في كوالالمبور** عرضت فيه آلاف من **المصاحف النادرة** تعود إلى عصور مختلفة وطبعت في ستين دولة.

وتم عقب افتتاح المعرض توزيع جوائز على المتفوقين في المسابقة التي نظمتها جمعية القرآن الكريم بسيرلانكا.

الهند

مؤسسة غاندي الثقافية

افتتحت في العاصمة الهندية دلهي الجديدة **مؤسسة ثقافية** باسم رئيس الوزراء الراحل **راجيف غاندي**.


راجيف غاندي

تهتم المؤسسة بجمع وتسجيل المخطوطات التاريخية القديمة أو ذات القيمة الفكرية، وتضم نحو ٥٠ ألف مخطوط عن الحياة في الهند.

قبرص

من أحدث الكتب

● **الخسوف**، عمل روائي واحد منشور في أربعة كتب، تأليف الروائي الليبي **إبراهيم الكوني**، صدر عن دار تاسيلي للنشر والإعلام في قبرص، ودار التنوير في بيروت.

فرنسا

جامعة إسلامية في باريس

قرر **المركز الأوروبي للبحوث الإسلامية** والإعلام التابع للاتحاد الوطني لمسلمي فرنسا تأسيس **جامعة إسلامية فرنسية مستقلة** في العاصمة باريس تفتتح أبوابها اعتباراً من أيلول (سبتمبر) ١٩٩٣م.

تهدف الجامعة إلى تكوين كوادر متخصصة وتدريبها لخدمة المجتمع الإسلامي الفرنسي، وسيكون التدريس بها باللغة الفرنسية، ويتوقع أن تبلغ موازنة العام الأول للجامعة نحو **٢٠٠ ألف فرنك فرنسي**، جميعها من تبرعات المسلمين..

الجامعة لن يكون لها في مرحلتها الأولى مقر ثابت حيث يتوقع أن تعقد ندواتها التعليمية في مختلف جوامع باريس. كما أنها لن تعمل في مرحلتها الأولى طوال العام الدراسي، إذ سيقتصر العمل فيها على مدى ١٥ أسبوعاً ينتظم التعليم خلالها يومي السبت والأحد من كل أسبوع لفترة ١٠ ساعات يومياً. وسيعمل أساتذتها متطوعين دون أجر.

مركز للتراث العالمي

أنشأت منظمة اليونسكو العالمية **مركزاً دولياً في باريس للتراث العالمي**.

يهدف المركز إلى الحفاظ على المواقع الطبيعية والثقافية للتراث العالمي، واطلاع العالم عليها بصورة أفضل، حيث سيستضيف معارض عالمية للدول الأعضاء في المنظمة تقدم تراثها الوطني.

معرض للجسور المعدنية المعلقة

أقيم ــ مؤخراً ــ في العاصمة الفرنسية معرض بعنوان «الجسر المعلق المعدني».

قدم المعرض ٤٥ نسخة أصلية تمت استعارتها من المجموعات الخاصة والأجنبية لأعمال كبار المعماريين في مجال المعمار المعدني ومنهم **جوستاف إيفل**، صاحب «برج إيفل» الشهير **وفرانز جوردان**، وغيرهما.

كذلك تضمن المعرض الوثائق التي تحكي تاريخ إنشاء تلك الصناعات الهندسية المعدنية، وأشهر وأجمل الجسور **مثل جسر مرسيليا المعلق**، و«**جسر بنزرت**» **في تونس**، وجسر «**نيوبون**» **في بريطانيا** وغيرها من الجسور الشهيرة.

مركز لبحوث الفنون المغاربية

أسس أربعة شباب مغاربة يدرسون في فرنسا **مركزاً للتوثيق والبحث في الفنون المغاربية اسموه «أوشام»**.

تتركز مهمة المركز في جمع وتصنيف التراث الخاص بالفنانين المغاربة، ووضع أول معجم يتعلق بهم، ونشر برنامج سنوي للأنشطة الفنية بدول المغرب العربي.

ويسعى المركز إلى تنظيم ندوات ومهرجانات حول الفنون الخاصة بالدول المغاربية، وصولاً إلى ربط فناني تلك الدول بنظرائهم في فرنسا وأوروبا.

تحقيق صحافي يكشف أسرار الجوائز العالمية

في أول تحقيق صحفي من نوعه قامت صحيفة «**لوفيجارو**» بإجراء تحقيق لا يخلو من الجدة والإثارة، حول ترشيحات الجوائز العالمية، والدوافع المحيطة بهذا الترشيح، ومعظمها ــ كما قالت الصحيفة ــ لا يمت إلى الأدب بصلة.

تركز التحقيق بصورة خاصة حول جوائز: «**نوبل**»، و«**جونكور**»، و«**الأكاديمية الفرنسية**».

ولم يفت الصحيفة الإشارة إلى كتاب صدر مؤخراً بعنوان «**جوائز نوبل الأدبية**» حيث اشتمل الكتاب على حصر دقيق للأسماء التي فازت بهذه الجائزة منذ إنشائها وإلى اليوم، مع نبذة عن أعمالهم وسيرتهم.

وكشف الحصر أن الأدباء الذين فازوا بها في بداياتها كانوا من المحافظين، بعكس الوضع حالياً حيث صار من يسمون بـ «التقدميين» يحصلون عليها.

يوم الشعر

تحت رعاية وزير الثقافة الفرنسي، احتفلت الأوساط الثقافية الفرنسية ــ مؤخراً ــ **بيوم الشعر**.

تضمن الاحتفال الذي أقيم في **مدينة مرسيليا** لقاءات مع بعض الشعراء المعاصرين وندوات شعرية فضلاً عن معرض ضم نحو ١٢٠ صورة لشعراء فرنسا المعاصرين، وآخر عن تاريخ الشعر الفرنسي منذ عصر التروبادور في القرن الحادي عشر الميلادي.

الحركة الثقافية

كما أقيمت في نهاية الاحتفال مسابقة للشعراء الشبان أشرفت على تحكيمها الأديبة الفرنسية المصرية الأصل **أندريه شديد**.

أفضل كتاب سياسي

فاز الصحافيان **بيير فافيه ومارتا نرولان** «**بجائزة أسباس ٨٩**» التي تمنح عادة لأفضل كتاب سياسي عن كتابهما «**عشر سنوات من حكم ميتران**».

كما منحت لجنة تحكيم الجائزة جائزة خاصة في العلوم السياسية للبرفسور **ايتي ميني** عن كتابه «**فساد الجمهورية**».

دعوة لاعتبار مخطوطات «زولا» آثاراً تاريخية

دعا وزير الثقافة الفرنسي **جاك لانج** إلى اعتبار الوثائق والمخطوطات التي كتبها الروائي الفرنسي الراحل **أميل زولا** (١٨٤٠ ــ ١٩٠٢م) آثاراً تاريخية لفرنسا.

وجاءت دعوة الوزير في محاولة منه لمنع تسرب تلك المخطوطات إلى خارج فرنسا، بعد أن عرضها للبيع في صالة مزادات درووا الفرنسية.

جائزة لابو لبريهال

منحت جائزة **فالري لابو** الأدبية في عامها السادس والعشرين للروائي والكاتب الفرنسي **نيكولا بريهال** عن روايته «**سوناتا في ضوء القمر**».

وتعد الرواية الفائزة خامس رواية يكتبها بريهال ويغلب على فكرتها الطابع الإنساني.

ويذكر أن الجائزة تحمل اسم الكاتب الفرنسي الشهير فالري لابو (١٨٨١ ــ ١٩٥٧م).

الحيوانات المفترسة على شرائط فيديو

صدرت مؤخراً سلسلة من شرائط الفيديو تحت عنوان «**الحيوانات المفترسة**».

تتضمن السلسلة التي أعدها **دينيس كان**، لقطات مصورة للحيوانات المفترسة في جميع القارات، حيث يحتوي كل شريط على تحقيقين مصورين مدة كل منهما ٢٦ دقيقة، أحدهما مخصص لاكتشاف حياة الحيوان المفترس في عالمه الخاص، والثاني يقدم المنطقة التي يعيش فيها الحيوان.

معرض لفناني أمريكا في فرنسا

أقام المتحف الأمريكي بباريس معرضاً بعنوان «**الفنانون الأمريكيون في فرنسا**».

يضم المعرض أعمال عدد من الفنانين الأمريكيين الذين عاشوا في فرنسا خلال الفترة ما بين عامي ١٨٦٥ ــ ١٩١٥م، ويستمر المعرض حتى غرة تشرين الثاني (نوفمبر) المقبل.

أحدث الكتب

● **بريجيتا** تأليف الروائي النمساوي **ادالبرت ستيفر** ترجمتها إلى الفرنسية **ماري هيلين كليمونت**، وصدرت في باريس.

● الأعمال الكاملة للشاعر **جاك بريفير**، صدر الجزء الأول منها ضمن سلسلة لابلياد عن دار جاليمار في باريس.


إلياس الخوري

● **الوجوه البيضاء**، رواية الكاتب اللبناني **إلياس خوري**، صدرت ترجمتها الفرنسية بقلم المستشرق **لوك باريو ليسكو**، عن دار ارليا.

● **كلارا مالرو**، تأليف **إيزابيل دوكورتيجرون**، صدر عن منشورات لوليفييه.

● **الأكراد والمشتات**، كتاب عن محنة الأكراد - صدر بالفرنسية ضمن منشورات لارماتان.

الأرجنتين
رحيل البرتو جيري

توفي ــ مؤخراً ــ في بونيس إيريس الشاعر الأرجنتيني **البرتو جيري** عن عمر يناهز ٧١ عاماً.

ويعد جيري المولود عام ١٩١٩م أحد أبرز شعراء الأرجنتين وأغزرهم إنتاجاً حيث صدر له عشرون ديوان شعر خلال رحلته الأدبية، كان أولها عام ١٩٤٦م بعنوان «الشاطىء الخالي».

وهو حائز على «**جائزة ليوبولد ولوجونيس للفنون**» عام ١٩٦٠م عن كتابه «**الشرط الأساسي**»، و«الجائزة

رسائل جامعية

● «**حقوق الإنسان في الإسلام**» موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة اكستر ببريطانيا، تقدم بها **إبراهيم المرزوقي**.

● «**مآخذ البيانيين على النص الشعري حتى نهاية القرن الرابع الهجري**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة أم القرى بمكة المكرمة تقدم بها **صالح سعيد الزهراني**.

● «**التربية الإسلامية في القرآن الكريم: مجالاتها وأسسها وأساليبها**» موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، تقدم بها **عبد الحليم بن إبراهيم العبد اللطيف**.

● «**استخدام الحاسب الآلي في تدريس العلوم**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية التربية بفرع جامعة الملك عبد العزيز في المدينة المنورة، تقدم بها **محمد علي مصلوخ**.

● «**مواقف المستشرقين من قدرة اللغة العربية على استيعاب مصطلحات العلوم التجريبية**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في المعهد العالي للدعوة الإسلامية بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمدينة المنورة، تقدم بها **أبو سعد الأعظمي بن حافظ جمعة**.

● «**المرأة الداعية بين العهد النبوي الشريف والعصر الحاضر**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في جامعة الملك سعود بالرياض تقدم بها **أحمد يعقوب**.

● «**تصنيع الألبان ومنتجاتها في المملكة**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب للبنات في الدمام. تقدمت بها **شريفة بنت معيش القحطاني**.

● «**دراسات تشريحية على جهاز التغذية لنوعية من الطيور ذات عادات تغذية مختلفة**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية العلوم

الوطنية للشعر» عام ١٩٦٧م وله العديد من المؤلفات في مجال البحث والنقد، ويعد ديوانه «القيم اليومية» أكثر أعماله انتشاراً.

بريطانيا: معجم لأعلام الفلسفة العربية

تعد دار لونجمان البريطانية لإصدار «**معجم أعلام الفكر الفلسفي العربي**» باللغة العربية.

المعجم من المقرر أن يطرح في الأسواق بحلول شهر تشرين الثاني (نوفمبر) **وقام بإعداده ٦٢ باحثاً بإشراف الدكتور عاطف العراقي.**

يهدف المعجم إلى إيضاح منجزات الفلسفة العربية قديماً وحديثاً. وأن الفلسفة لا تعني المعنى الضيق المشهور، لكنها تعني الفكر بمعناه الواسع. لذا يضم المعجم أسماء أدباء ومفكرين وفقهاء ولغويين، ممن كانت لهم رؤية فلسفية أثرت في الفكر العربي مثل **العقاد وطه حسين والحكيم ولطفي السيد** من مصر، **والشيخ محمد عبد الوهاب** من السعودية، **وجبران ونعيمة** من لبنان، **والكواكبي** من سورية، **ومالك بن نبي** من الجزائر وغيرهم.


لطفي السيد


جبران خليل جبران

معرض للتشكيليات العربيات

نظم الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية في قاعة الكوفة بلندن معرضاً مشتركاً للفنانات التشكيليات العربيات.

ضم المعرض أعمالاً للفنانات: **ابتسام الأنصاري، فدوى بزاري، عبير حسن حماد، فريال الأعظمي، سلمى الريس، ثريا السيد، ومريام جبريل.**

يوميات جوبلز تثير جدلاً

خصصت صحيفة «ديلي ميل» عدة صفحات لما وصفته بأنه يوميات جوزيف جوبلز المسؤول عن الدعاية والإعلام في عهد النازي الألماني أدولف هتلر.

وأشارت اليوميات إلى أن جوبلز استعد بعد مؤامرة (الجنرالات) اللواءات الفاشلة لاغتيال هتلر عام ١٩٤٤م لتولي القيادة بدلاً من **هتلر** الذي وصفه جوبلز بأنه «**أصبح عجوزاً جداً**».

أثار نشر اليوميات جدلاً حول إذا ماكانت مذكرات جوبلز، أم أنها مثل تلك التي أعلن عنها قبل سنوات بأنها مذكرات هتلر ثم اتضح زيفها.

وفاة جون بيير

فقدت الحركة الفنية التشكيلية في بريطانيا آخر **الوجوه التقليدية في الفن البريطاني من مدرسة رواد ما قبل الحرب العالمية بوفاة الرسام جون بيير** عن عمر يناهز ٨٩ عاماً.

بدأ بيير حياته الفنية تجريدياً، ثم ما لبث أن وجد طريقه الحقيقي كرسام رومانسي متأثراً بالطبيعة الخصبة الثرية، فكان الفنان الحديث الوحيد الذي يجد أبناء الطبقة المتوسطة أنفسهم معه.

كتب جديدة

- **أطفال الظلام**، رواية للكاتبة **دانيل توماس**، صدرت عن دار ماكميلان.
- راسين؛ **قراءة مسرحية**، تأليف الناقد المسرحي **ديفيد ماسكيل**، صدر عن دار نشر كلارندون.
- **الأصالة أو سياسة الهروب من الواقع**، تأليف **عزيز العظمة**، صدر عن دار الساقي بلندن.
- **العرب بين الحجر والذرة: فسوخ في ثقافة سائدة**، تأليف **حازم صاغية**، صدر عن دار السلفي في لندن.

ألمانيا: معرض إعادة إحياء بابليون

في المركز العلمي بمدينة بون يقام معرض «**إعادة إحياء بابليون**» يعرض فيه نموذج لحصن بابليون الشهير والتطويرات التي يمكن أن يتخذها شكل الحصن بعد تجديده.

والمعروف أن مدينة بابليون أقيمت على حدود نهر الفرات وبالتحديد على بعد ١٦٠ كيلو متراً جنوب شرق بغداد في عصور ما قبل الميلاد، وقامت بدور كبير مؤثر في المنطقة على مدار التاريخ القديم.

معهد للدراسات الأدبية

أقيم ـــ مؤخراً ـــ في مدينة ليبيتزج الألمانية معهد للدراسات الأدبية الحديثة، ساهمت في إنشائه جامعة

للبنات بالدمام، تقدمت بها **نورة بنت عبد العزيز الجلعود.**

- «**العودة إلى الإجرام لبعض المسجونين**» موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في قسم علم النفس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية تقدم بها **أحمد بن عبد الله محمد السعيد.**
- «**اتجاهات المفسرين في توجيه القراءات**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية أصول الدين التابعة لجامعة الإمام محمد بن سود الإسلامية بالرياض، تقدم بها **أحمد جبريل سيسي.**
- «**دراسة مقارنة للنظامين الإداري والمالي لمؤسسات المعاقين في المملكة العربية السعودية وجمهورية مصر العربية**» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية التربية بجامعة الملك سعود بالرياض، تقدمت بها **هند بنت عبد العزيز بن إبراهيم العيسى.**
- «**القواعد الفقهية عند الحنابلة**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت بكلية الشريعة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، تقدم بها **عبد الرحمن بن محمد آل فريان.**
- «**المنهج النقدي عند عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين**» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في جامعة تشرين السورية، تقدمت بها **ريم عبد القادر هلال.**
- «**الفروق في مسائل الحكم عند الأصوليين: دراسة نظرية تطبيقية**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض تقدم بها **راشد بن علي الجابي.**
- «**منهج القرآن الكريم في تثبيت الرسول ﷺ وتكريمه**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقدم بها **عبد الله بن عبد الجبار هوساي.**
- «**الحرية والعدالة في فكر الدكتور محمد حسين هيكل**» موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الدراسات الإنسانية بالقاهرة تقدمت بها **سميرة أحمد حامد.**

الحركة الثقافية

المدينة، ويديره الشاعر برنت زينتش.

يقبل المعهد الراغبين في دراسة الشعر والأدب، حيث يقوم بالتدريس فيه كوكبة من الأدباء والشعراء، على غرار مدرسة الشعر التي كانت قد افتتحت عام ١٩٥٥م في ليتبنرج.

العيد المئوي لفن التصوير

احتفلت ألمانيا ــ مؤخراً ــ **بالعيد المئوي لنشأة فن التصوير الفوتوغرافي**.

أقيم ــ بهذه المناسبة ــ معرض في مدينة ميونيخ عن فن التصوير يوضح مدى التطور الذي حدث في هذا المجال على امتداد المائة عام.

ضم المعرض أيضاً لقطات مصورة لأشهر المصورين في ألمانيا.

متحف لأفلام السينما الألمانية

أقيم في مدينة فرانكفورت أحدث **متحف يضم الأفلام السينمائية الألمانية**، التي تم تجميعها من عدة جهات فنية وأكاديمية.

يهدف المتحف إلى أن يعيد سجلاً وثائقياً تاريخياً في مجال السينما الألمانية، حيث يعرض مراحل تطور هذا الفن، والوثائق والصور المتعلقة بهذا المجال.

ويذكر أن الأفلام التي تم تجميعها ترجع إلى مختلف سنوات هذا القرن بدءاً من مطلعه وإلى اليوم.

جائزة ألمانية لبول بارين

منحت جائزة «**ايريك فرايد**» الأدبية عن العام الحالي للأديب السويسري **بول بارين** تقديراً لنتاجه الأدبي، ونشاطه في مجال الخدمات الإنسانية.

وبارين من مواليد عام ١٩١٦م، وهو حاصل على درجة الدكتوراه في الأدب، وله رحلات شهيرة في أفريقيا سجلها في مؤلفاته، ومن أبرز كتاباته الروائية: «**لا تزال الحياة مستمرة**»، «**الذهاب إلى الحرب**»، و«**الشياطين في المدينة**».

جائزة عالمية لـ «السعودية»

تحصل الشريط التسجيلي «**قصة نجاح**» الذي أنتجته الخطوط الجوية العربية السعودية على الجائزة الثالثة في مسابقة الأشرطة التسجيلية التي عرضت على هامش مؤتمر الاتحاد العالمي لتموين الطائرات الذي عقد - مؤخراً - في مدينة برلين بعد منافسة حامية بين ١٣٨ شركة عالمية.

جائزة ألمانية لشاعر سوري

فاز الشاعر السوري **عادل قرشولي** المقيم في لايبزيج جائزة شاميو للأدب لعام ١٩٩٢م التي تمنحها الأكاديمية البافارية الألمانية للفنون الجميلة إلى الكتّاب الأجانب الذين لا تعتبر الألمانية لغتهم لكن أعمالهم تنتمي من حيث موضوعها وشكلها وقارئها إلى الأدب الألماني.

وقرشولي شاعر مقل، وُلد في منتصف الثلاثينيات الميلادية، وبدأ اهتمامه بالشعر عام ١٩٥٣م، ثم غادر موطنه عام ١٩٥٩م في رحلة طويلة إلى باريس ثم برلين بشطريها، وبدأ محاولاته كتابة الشعر باللغة الألمانية. والترجمة بين اللغتين العربية والألمانية.

أما **أديلبرت نون شاميسو** الذي تحمل الجائزة اسمه فهو أديب فرنسي كتب أعماله باللغة الألمانية، وصار أحد أعمدة الأدب الألماني في القرن التاسع عشر الميلادي.

تكريم المستشرقة آنا ماري شيمل

كرمت جامعة فريدريس فيلهلم في بون في حفل كبير المستشرقة الألمانية آنا ماري شيمل بمناسبة بلوغها السبعين، تقديرًا لإسهاماتها في تطوير علم الاستشراق والدراسات الإسلامية في جامعة بون وعدة جامعات أوربية وآسيوية أخرى.

ويذكر أن **المحتفى بها تتحدث ١٨ لغة منها العربية والفارسية والأوردو**، وقد عملت أستاذًا في عدة جامعات في أمريكا وألمانيا وتركيا، وبلدان آسيوية أخرى، ونشرت عددًا كبيرًا من الكتب والبحوث في مجال الثقافة الإسلامية والدراسات العربية والتركية بأكثر من لغة، ودارت بحوثها حول ثلاثة مبادئ رئيسة هي: الأصول الإسلامية الكلاسيكية، ومظاهر الفن الإسلامي، والفلسفة والتصوف في الإسلام.

النرويج: معرض لآثار الفايكنج

أقيم في متحف الآثار التاريخية بمدينة أوسلو **معرض لآثار الفايكنج**.

ضم المعرض قطعاً ومقتنيات أثرية تعود إلى الفايكنج في القرن السابع الميلادي من بينها الملابس التي كانوا يرتدونها ونماذج للسفن التي استخدموها، وأبرزها السفينة «**جوستاد**» التي كان يبلغ طولها ٢٤ متراً.

مؤتمر لمشكلات الطفل

في مدينة برجن، التقى ــ مؤخرًا ــ علماء ومتخصصون في شؤون الأطفال من ٨٥ دولة في مؤتمر نظمته اليونيسيف بالتعاون مع مركز أبحاث الطفل في النرويج تحت شعار «**الأطفال في خطر**».

ناقش المؤتمرون مشكلات الطفل الأسرية، والثقافية، والتعليمية والصحية، والبيئية.

ويذكر أن المؤتمر شارك فيه أيضا أطفال من مختلف بلدان العالم.

النمسا: جائزة باسم فالدهايم


كورت فالدهايم

قررت مجموعة من أصدقاء الرئيس النمساوي السابق **كورت فالدهايم** بمناسبة انتهاء فترة رئاسته **إنشاء جائزة باسمه لتسوية النزاعات**.

من المقرر أن يتم منح الجائزة اعتباراً من العام المقبل، وتبلغ قيمتها ٢٠ ألف دولار.

إيطاليا: جائزة ستريغا لكونسولو

منحت **جائزة ستريغا الأدبية** في عامها السادس والأربعين للكاتب الصقلي **فنشنزو كونسولو** عن روايته «**بيتا بيتا في زمن الليل**».

ويذكر أن الرواية تدور حول أستاذ صقلي شاب أجبر على مغادرة بلاده بسبب معارضته للفاشية.

الولايات المتحدة: معرض فرعوني

بدأ **معرض آثار مصري** يضم أكثر من ١٤٠٠ قطعة نادرة ترجع إلى عصر الفرعون امنحتب الثالث جولة تشمل مدينتين أمريكيتين، يطير بعدها **إلى باريس** في آذار (مارس) المقبل ١٩٩٣م ليعرض هناك.

مدينة **كليفلاند** كانت المحطة الأولى للمعرض حيث افتتح بها مؤخراً، وسيستمر بها حتى ٢٧ أيلول (سبتمبر) ينتقل بعدها إلى مدينة **فورث بورث** بولاية تكساس.

تشمل المعروضات صوراً للعائلة الفرعونية المالكة وبلاط **الملك امنحتب الثالث** محفورة على ألواح من الحجر والخشب.

بلغاريا - جائزة لشاعرة بلغارية

منحت مؤسسة «غوتغريد فون هيردر» جائزتها السنوية للشاعرة البلغارية **بلاغاديمتروفا**، تقديراً لمكانتها الأدبية في الأدب البلغاري الحديث، ولما أظهرته في حياتها الخاصة من قيم أخلاقية متميزة، ونضالها السياسي من أجل الديموقراطية.

ويذكر أن **بلاغا** التي تحتل حالياً منصب **نائب رئيس الجمهورية** في بلادها، كانت من بين أوائل المثقفين البلغار الذين تزعموا حركة المعارضة الديموقراطية ضد الحكم الشيوعي في البلاد، وكانت قصائدها ممنوعة من النشر لمدة طويلة.

بلجيكا - مؤتمر دولي للمجامع اللغوية

انعقد - مؤخراً - في بروكسل **المؤتمر السنوي للاتحاد الدولي للمجامع اللغوية**، بمشاركة ممثلين عن المجامع اللغوية العربية.

ناقش المؤتمر عدداً من الشؤون الخاصة بالعلاقات بين المجامع اللغوية في العالم، والأطالس اللغوية، والإشراف على بعض الطبعات الخاصة بالآثار الفكرية ذات المكانة العالمية، ومنها الأعمال الكاملة للفيلسوف الإسلامي الأندلسي ابن رشد في طبعاتها العربية واللاتينية.

تاريخ أوروبا.. في كتاب

أعدت **لجنة مشكلة من ١٢ مؤرخًا أوروبيًا** ينتمون لكل دول المجموعة الأوروبية **باستثناء لوكسمبرج، فضلا عن** مؤرخ من **تشيكوسلوفاكيا** كتابًا عن **تاريخ أوروبا منذ العصر الحجري وحتى سقوط برلين**.

استغرق إعداد الكتاب **أربع سنوات**، ومن المقرر أن يصدر في كل دولة من دول المجموعة باللغة الرسمية فيها.

تأليف الكتاب لم يكن عملية سهلة بالتأكيد، حيث شهدت تلك السنوات مناقشات مطولة وجدلاً كثيرًا بين المؤرخين، لاختلافهم إما حول حقيقة الأحداث أو الكيفية التي وقعت بها، أو أسلوب صياغتها، إلا أن المشاركين سعوا في النهاية بصدق إلى صياغة الأحداث بصورة متوازنة تؤكد على التكامل والوحدة الأوروبية.

هولندا - قاموس عربي / هولندي

صدر في هولندا - مؤخرًا - أول قاموس عربي / هولندي من إعداد الشاعر المصري **أنطوان سعد**.

ضم القاموس نحو **خمسة آلاف مادة**، وقد نفدت طبعته الأولى في هولندا، ويعد لإصدار طبعة ثانية في القاهرة.

ويذكر أن المؤلف قد حصل عام ١٩٩٠م على الجائزة الأولى في هولندا في مجال الشعر عن قصيدته.. **«سيمفونية المجاعات الخامسة»**.

مهرجان لأعمال بيكيت


صموئيل بيكيت

نظم في لاهاي على امتداد أحد عشر يومًا **مهرجان لأعمال الكاتب الإيرلندي الراحل صموئيل بيكيت الحائز على جائزة نوبل للأدب عام ١٩٦٩م**.

ضم المهرجان عروضًا مسرحية من كتاباته وأعماله وحياته، فضلاً عن مجموعة أشرطة سينمائية وفيديو تتناول إبداعاته.

ويذكر أن بيكيت توفي في باريس عام ١٩٨٩م.

من أحدث الكتب

- **جسري ثقافتين**، مجموعة من الأشعار العربية والهولندية باللغتين، صدرت عن مؤسسة الهجرة العربية الهولندية بمناسبة اللقاء الشعري الأول العربي / الهولندي.

سويسرا - معرض لأعمال جورج براك

استضاف **معهد بيير جينادا** بمارتيني معرضاً للفنان الفرنسي الراحل **جورج براك** (١٨٨٢ - ١٩٧٣م) أحد مؤسسي الأسلوب التكعيبي.

ضم المعرض مجموعة من أعمال الفنان معظمها لوحات المناظر الطبيعية التي برع واشتهر بها، ومن المقرر أن يستمر المعرض حتى الثامن من تشرين الثاني (نوفمبر) المقبل.

وفاة زوخريه

توفي - مؤخرًا - الروائي والأديب السويسري المعروف **جان غابرييل زوخريه** إثر إصابته بالسرطان عن عمر يناهز ٤٧ عاما.

وكان زوخريه قد أصدر عدة روايات ناجحة لعل أشهرها روايته **«الأجساد»** التي نشرت عام ١٩٩٢م.

الصين - معرض للفن المعماري

تستضيف العاصمة الصينية بكين في منتصف شهر تشرين الأول (أكتوبر) المقبل **«معرض الفن المعماري»**.

ينتظر أن تشارك في المعرض مائة دولة من مختلف القارات حيث تقدم كل دولة أحدث ما توصل إليه علم العمارة فيها، فضلاً عن نماذج لتطور المعمار منذ أقدم العصور، وسوف تقام على هامشه سلسلة من الندوات حول فن المعمار القديم والحديث من بينها ندوات عن فكرة أهرامات مصر والخلود المعماري، والمعمار الأندلسي والإسلامي واليوناني والفرنسي.

كولومبيا - كولومبيا تكرم أوبريجون

نظم **متحف الفن المعاصر** في بوجوتا معرضاً للأعمال الكاملة للفنان الكولومبي الكبير **اليخاندرو أوبريجون**، الذي توفي قبل فترة قصيرة.

ويحتل اليخاندرو مكانة مرموقة في مسيرة الفن التشكيلي الكولومبي المعاصر، وقد استوحى الطبيعة في معظم أعماله حتى لقب بـ **«آسر الطبيعة»**. وقد بدأ حياته تكعيبياً ثم اتجه إلى الرمزية، وحصل عام ١٩٦٢م على **الجائزة الوطنية الكبرى للإبداع التشكيلي**، كما منح **وسام «بوماكو»** أعلى الأوسمة في كولومبيا.

مالطا - من أحدث الكتب

- **قضية لوكربي ومستقبل النظام الدولي: الأبعاد السياسية والاستراتيجية والقانونية**، تأليف مجموعة من الخبراء والباحثين، صدر عن مركز دراسات العالم الإسلامي.

على موعد



كيف ننشط شهيتنا العلمية؟

ظاهرة مجلاتنا الأدبية تغلب على مجلاتنا الثقافية العامة. وحتى مجلاتنا الثقافية العامة هذه تغلب عليها المواد الأدبية. وهذا شيء مفرح للأدباء وشداة الأدب بالطبع، وربما يعني أننا أمة تقدر الأدب حق قدره، أو أن الأدب عندنا بلغ درجة رفيعة من النضج والأثر، وربما يعني هذا أيضا عكس ما ذكرناه حالاً فيكون شاهدا على ضعف أدبنا ورغبتنا في إنعاشه وحقنه بالجيد في كل مكان عن طريق الإكثار من المجلات. وفي جميع الحالات، الإيجابي منها والسلبي، نجد أن غلبة الأدب على مجلاتنا الثقافية، عامة أو متخصصة، تشكل ظاهرة لافتة للانتباه.

وقد حاولت إحصاء مجلاتنا الثقافية ذات مرة، من الخليج إلى المحيط، فتبين لي أنها تتراوح بين ٧٠ و ٨٠ مجلة، منها ٨٠٪ على الأقل مجلات أدبية، والباقي مجلات للعلوم أو الفنون أو الثقافة العامة. وبمقدار ما فرحت بهذه النتيجة أحزنني أن المجلات العلمية أقلية محدودة جدا، لا تزيد على مجلتين في الوطن العربي كله. كما أحزنني أن مجلات الفنون لا تزيد على خمس، في حين أن المجلات الطبية صارت بضاعة رائجة.

لا أحد يحسد الأدب على حظه العالي، ولا أحد يريد له أن ينزوي في مجلة أو مجلتين. ولكننا جميعا ـ فيما أعتقد ـ نريد لبقية فروع الثقافة أن تزدهر. وإذا كانت مجلاتنا الثقافية العامة تهتم بالعلوم، فنحن نريد لمجلات العلوم أن تزيد وتزدهر، لأنه يوم يحدث هذا سيكون معناه أننا أمة تقدر العلم وتنتجه، وأن قراءنا لا ينقصهم شيء في عصر العلم هذا الذي نعيش فيه. وإذا كنا حديثي عهد اليوم بالعلوم العصرية فلا بأس من ترجمة هذه العلوم وتبسيطها وتقريبها إلى الأذهان، إذا لم يكن عندنا ما ندلي به في دلوها. ونحن نعرف أن العلم إبداع قبل أن يكون تجارب ومعامل ومشاهدة وبرهانا. وهذا ما يدعونا إلى التساؤل:

ما الذي يجعلنا مبدعين في الأدب، ومقلدين ناقلين في العلم؟ هل قوة تراثنا الأدبي وغزارته هما سر نشاط أدبائنا؟ ولكننا نعلم أن من أسرار هذا النشاط الأدبي أنه منفتح على آداب الآخرين. فكيف لا ننشط في العلم ونحن منفتحون على الآخرين منذ بداية العصر الحديث، وقبل أن ننفتح على آداب الغير؟ والأهم من هذا كله هو كيف ننشط شهيتنا العلمية، ونجعلها مفتوحة عند أكبر عدد من مواطنينا؟

هذه أسئلة للطرح لا للجواب الفوري. ولعلها تشغلنا، وتحظى بردود عملية تقينا شر السؤال. وما أدراك ما شر السؤال!

د. علي شلش